حسن سير

obeikan.com

حسن سير

رواية

معتز شرباش

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : محمد عبد السلام
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع :٢٠١٦/٢١٤٨
رقم الترقيم الدولي : 978-977-798-031-9

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

معتز شرباش

حسن سير

الحلم للنشر والتوزيع

obeikan.com

obeikan.com

إلى حبيبة روحي.. ومُلهمتي الوحيدة.. أنتِ كالشمس، ولكنك لا تغيبي.

إلى ابني يحيى.. يظنون أن لولاي ما كنت أنت، والحقيقة أن لولاك ما كنت أنا.

obeikan.com

obeikan.com

١

ليل الثُلاثاء ١١ يناير سنة ٢٠٠٥

ليلة ممطرة من ليالي شتاء القاهرة. تلمع أضواء باهتة لبعض أعمدة الإنارة على الأسفلت، بعد انطفاء مُعظمها، لتأخر صيانة، أو انعدامها. صوت ارتطام حبّات المطر بالأرض يملأ فراغ صمت الشتاء الكئيب.

فتاة في أوائل العشرينات، تسير في خطوات أقرب إلى الجري، في محاولة للوصول للشارع الرئيسي، على أمل أن تجد ما يقلّها لمنزلها، الذي بدى لها كحلم بعيد المنال.
تترك الرصيف الضيق، الممتلئ بالوحل، غير الصالح للمشي حتى في الظروف العادية. تسير بمحاذاة السيارات المتراصة على جانبي الطريق في نظام وكأنها حرس شرف في استقبال ملكي.

obeikan.com

تسمع صوت احتكاك عجلات سيارة مُسرِعة بالأرض، في محاولة يائسة للتمسُك بالأسفلت المُبتل، لتوقف اندفاع السيارة في اتجاه الفتاة، التي لم تستوّعب بعد ما يحدُث. يهدُر الرعد في اللحظة التي تصدم السيارة جسد الفتاة في تواطؤ مُخزي، ليُغطي على صوت الاصطدام، والصرخة المذعورة التي اطلقتها. يسكُن كل شئ للحظات ماعدا المطر، ويهدُر الرعد مُجدداً بصوت أعلى من صوت صرخته السابقة، وكأنه يعترف نادماً على فِعلته، ويبكي الضحية.

يغادر السائق السيارة، وتفضح خطواته المُترنحة مدى سُكره، يسير في اتجاه الجثة التي همدت تماماً، على عكس أنفاسه المتسارعة. ينظر حوله في كل اتجاه مفزوعاً ليتأكد من أن أحداً لم يلحظ ما حدث. يقف بجوار الجثة لثواني بدَت له كساعات طويلة، تأكد أنها لا تراه، لم يجرؤ على لمسها للتأكد من موتها. نظر حوله مُجدداً، ولما تأكد من أن إضائة الطريق لن تسمح لأي شاهد من أي نافذة برؤية أرقام السيارة. ركب سيارته وغادر المكان، تاركاً الجثة مكانها في وسط الطريق.

obeikan.com

٢

ليل الأثنين ٩ ديسمبر سنة ٢٠١٣

كعادة أي مسرح جريمة لم يُكتشف بعد، من قِبل جارة متطفلة، أو مُحصّل كهرباء سئ الحظ؛ السكون والهدوء يملأن المكان. وكأن الزمن وقف مأخوذاً بقُدرة البشر على خلق مثل هذه البشاعة.

الموت حاضراً بوضوح، يكاد أن يكون مرئياً. هل يتمكن حقاً الشخص الذي انتهى عمره من أن يرى الموت قبل أن يعيشه؟ هل يترك الموت أثراً منه في المكان الذي تحدث فيه عملية قتل بشِعة؟ أو موت بطريقة مؤلمة؟ هل هو ذلك الشعور الذي ينتاب كل من يخطو في مكان يعلم إنه شهد جريمة قتل أو انتحار؟ وكأن الموت ترك بصمته فيه؟ وهل كان سيشعُر بنفس الإنقباض لو مرّ من نفس المكان، دون أن

obeikan.com

يعلـم بالجريمـة؟

كان كل شئ في مكانـه، ماعـدا داليـا بالطبـع. ففـي هـذا الوقـت مـن كل يـوم، تكـون داليـا في السريـر، تقـرأ، إن لم تكـن نامـت والكتـاب قـد سـقط عـلى صدرهـا مفتوحـاً عـلى أخـر صفحـة رأتهـا عيناهـا، ولم تصـل كلماتهـا لوعيهـا الغـافي. ولكـن الليلـة داليـا كانـت مجـرد جثـة هامـدة، الـدم مُتجلـط عـلى بعـض الكدمـات والجـروح في وجههـا، مُلقـاه دون عنايـة عـلى ظهرهـا، في صالـة شـقتها المؤجـرة، التـي تعيـش فيهـا وحيـدة، بعـد وفـاة كل مـن يمكنهـا تحمُّـل العيـش معـه.

٣

قبل منتصف ليل الأثنين ٩ ديسمبر سنة ٢٠١٣

أسرع الرائد عصام ناجي رئيس مباحث قسم حدائق القبة، يغلق صوت هاتفه المحمول، للتخلص من رنينه المُزعج، قبل أن تستيقظ زوجته. باب غرفة النوم المُغلق بسبب البرد منعه من ملاحظة رنين هاتف المنزل الأرضي -الموجود في الصالة- عِدة مرات بإصرار. ولكن سكون ليل الشتاء ساعد في أن يصل له صوت الرنين بعد عدة مرات، انتفض من السرير مسرعاً ليلحق بالمكالمة، التي كان واثقاً إنها تحمل له حالة طارئة خاصة بالعمل.

خرج عصام مُسرعاً على ضوء صاعق الحشرات الطائرة المُعلق أعلى باب الشقة، التقط سماعة الهاتف اللاسلكية التي تركتها زوجته في الخارج لتشحن بطاريتها، وقال وهو يجاهد حتى لا

obeikan.com

يظهر على صوته النُعاس الذي بدأ بالفعل في التبخُر:
-دالوقت؟؟!! ليه فيه أيه؟؟!!
ثم قال بعصبية وهو يعود في اتجاه الغرفة:
-هات العنوان طيب.
ثم يقول بنفاذ صبر قبل أن يغلق الخط:
-خلاص.. عارف العنوان فين.. جاي حالاً.

ألقى سماعة الهاتف بإهمال على كنبة قريبة. وعاد عصام للغرفة هادئاً، وكأنه لم يكن يصيح منذ لحظات، سحب منشفة كبيرة، وغطى بها نصفه الأسفل، وهو ينظر لزوجته التي استيقظت عندما غادر السرير كعادتها، وملامحه تنطق بالأسف لاضطراره النزول في مثل هذا الوقت. كانت رضوى هي أول من قطع الصمت، قالت بصوت مبحوح:
-عصام.. ماتقولش نازل.
التفت لها وهو يتجه للحمام المُلحق بالغرفة وقال وهو يرفع كتفيه:
-انتي اللي اتجوزتي ظابط.. في واحدة عاقلة تعمل كده في نفسها؟
-ماشي يا عصام.. اللي يشوفك وانت بتتحايل عليّ زمان مايشوفكش النهاردة. وابتسمت بحُب.
نظر إليها وعلامات الذهول المُصطنع على ملامحه:
-مالك يا رضوى؟؟ مانتي عارفة.. كنت بجيب رجلك وطمعان

في فلـوس ابوكي.
ضحكت بدلال وقالت:
-وانا كنت واثقة من كده.
ضحك بصوت عالي في طريقه للحمام وقال:
-بحبك.
ثم أضاف من الحمام بصوت عالي لتسمعه:
-ابقي اطمني على مَلَك، زمانها طَلّعت عين أمك الغلبانة.
-زمانها نامت أصلاً.

خـرج مـن الحـمام ليجـد زوجتـه جالسـة عـلى طـرف السريـر تلـف جسـدها بمنشـفة كبـيرة اسـتعداداً للإسـتحمام، وتتحـدث عـبر الهاتـف، وقـد جهّـزت لـه ملابسـه:
-حـاضر يـا مامـا.. لـو محتاجـة حاجـة تانيـة وانـا جايـة بُكـرة.. كلمينـي الصبـح.. وانـا كـده كـده هكلمـك قبـل مانـزل.. تصبحـي عـلى خـير.
ثم قالت لعصام:
-ماتنسـاش بُكـرة عيـد ميـلاد ريـم.. انـا بقولـك علشـان بتقـول فاجئتينـي.
قال وهو يرتدي ملابسه:
-إن شاء الله هكون موجود.
عـلى بـاب الشـقة، وقفـت رضـوى، تُقبّـل زوجهـا قبـل خروجـه، غمـزت بـدلال وقالـت:

-هستناك.

-لا.. نامـي انتـي يـا رضـوى.. ماعتقـدش هاجـي عـلى طـول.. ده لـو جيـت الليلـة دي.

-لـولا عنـدك شـغل.. ماكنتـش سـيبتك تنـزل الليلـة دي.. إلا عـلى جُثتـي.

فقال وهو يفتح باب الشقة:

-مـا بـلاش سـيرة الجُثـث.. مـش كفايـة الجُثـة الـلي رايـح اشـوفها دلوقتـي؟؟

ضربته في كتفه بقسوة مُصطنعة وقالت:

-فصلتني.

ضحك وأغلق الباب خلفه واتجه للمصعد.

عصـام ناجـي هـو واحـد مـن أصغـر رؤسـاء المباحـث في الـوزارة، كان يعلـم منـذ أن كان عمـره عـشرة سـنوات إنـه سـيكون ضابـط مباحـث مثـل عمـه الشـهيد اللـواء البطـل مصطفـى عزيـز حلمـي الـذي تـوفي قبـل عـام واحـد، في تبـادل لإطـلاق النـار مـع مُلثمـين، هاجمـوه غـدراً كعادتهـم. ذكاء عصـام سـاعده كثـيراً في تحقيـق أحلامـه، حيـث تميّـز بإتخـاذ أقـصر الطُـرق لتحقيـق طموحاتـه منـذ أن كان طفـلاً. اسـتعان بعمـه مُسـتغِلاً حبـه الشـديد لـه كثـيراً في الكليـة، ثـم اسـتعان بـه مُجـدداً لمسـاعدته أن يتـم تعيينه في المباحـث، ثـم اسـتعان بـكل السـحر الـذي اسـتطاع تسـخيره، ليتمكـن مـن الـزواج مـن رضـوى التـي عشـقها منـذ أن وقعـت

عليهـا عينـاه. برغـم مـن أنهـا إبنـه رجـل الأعـمال الملياردير الشـهير راشـد غريـب، وبالرغـم مـن معارضـة أمهـا لزواجهـا منـه في البدايـة، إلا إنـه اسـتطاع أن يملـك قلبهـا ويسـحرها.

نظـر عصـام لنفسـه في مـرآة المصعـد، بطولـه الفـارع، وجسـده الريـاضي، وملامحـه الوسـيمة، التـي لا تخلـو مـن الجديـة، وشـعره الأسـود. كانـت نظرتـه لنفسـه تحمـل بعـض القلـق مـما ينتظـره في حدائـق القبـة، وكان مُحِقـاً دون أن يـدري.

obeikan.com

obeikan.com

٤

ساعات الثُلاثاء الأولى ١٠ ديسمبر سنة ٢٠١٣

خرج عصام من باب العمارة، واضعاً يداه في جيوب سترته الجلدية، شعر بلفحة برد بمجرد خروجه من الباب، وبدأت السماء تُمطر، فجأة، وبقوة، وكأنها ربة منزل تحتفي بضيف عزيز، فتُخرج كل ما لديها لإسعاده.

شوارع القاهرة بعد منتصف الليل في شهر ديسمبر لها سحرها الخاص. يحاول عصام الإستمتاع بالطريق برغم البرد والمطر وبِرك المياة التي بدأت تتكون على الأسفلت غير المُستوي، فلطالما أحب القاهرة في ليل الشتاء.

يقود عصام سيارته متمهلاً، بعد اتخاذه طريق جسر السويس بدلاً من صلاح سالم. يستمع لمحمد منير يُغني بصوت خفيض، وكأنه يخشى أن يوقِظ صوته القاهرة النائمة، يتفرج على الناس في الشوارع، فهُم برغم قلة عددهم يملأون

obeikan.com

الشـوارع بالحيـاة، عـلى عكـس هـؤلاء الذيـن يمـلأون الشـوارع طـوال سـاعات النهـار، فهُـم كالمـوتى الأحيـاء، يشـعر وكأنهـم أجسـاداً بـلا أرواح.

وصل للعنـوان في وقـت قصـير، وتجنـب الدخـول للشـارع الضيق، لعلمـه اسـتحالة وجـود مـكان ليـترك فيـه سـيارته، كعـادة أحيـاء القاهـرة كلهـا تقريبـاً. تـرك سـيارته -صـفّ تـاني- عـلى الشـارع الرئيـسي، وأسرع الخُطـى نحـو بـاب المنـزل المقصـود. لاحـظ وقـوف سـيارة شرطـة تسـدّ الطريـق بوقاحـة، وبعـض الأهـالي تبـدو عليهـم علامـات الفضـول والـبرد والانزعـاج.

كان المنـزل داخـل حـارة مـن حـارات حدائـق القبـة، تلـك الحـارات التـي تشـعر فيهـا كأنـك تسـير داخـل منـزل واحـد كبـير. واحـدة مـن تلـك المناطـق التـي يمكـن لأي سـاكن فيهـا أن يعـرف مـا يحـدث في المنـازل المجـاورة دون اضطـراره لخفـض صـوت التلفزيـون. لا أحـد غريـب، لا أحـد غـير معـروف أصلـه وفصلـه وتفاصيـل حياتـه الخاصـة للـكل. المنـازل كلهـا متراصـة بجـوار بعضهـا البعـض، وكأنهـا تحـاول التـماس بعـض الـدفء وسـط الـبرد والمطـر.

صعـد عصـام للـدور الأول، وقـف عـلى بـاب الشـقة المقصـودة، اقـترب منـه الأمـين رأفـت مـن داخـل الشـقة. سـأله عصـام وهـو

يُشعل سيجارته:
-حد لَمس حاجة؟
-لا يا عصام بيه.
-محدش من القسم وصل يعني!!
-انا بلّغت النقيب رامي والنقيب هشام.. رامي بيه هيفوت على هشام بيه علشان عربيته بتتصلح لسة.
-شايفك من تحت بتشرب سيجارة في الشباك.. انت اللي فتحته؟ ولا كان مفتوح لما جيت؟
-كان مفتوح.
نظر له عصام مُشكِكاً، فقال رأفت مؤكداً:
-قسماً بالله كان مفتوح.. دي الشقة كانت تلج لما دخلنا.
-وقعت منك طافية؟ ولا تلاقيك طفيت السيجارة جوّا.
-عيب عليك يا عصام بيه.. دانا تربيتك. قالها وضحك ببلاهة.
نظر له عصام بجدية وأخفى شبح إبتسامة جاهدت لتظهر على ملامحه، وقال بجدّية:
-ماترغيش.. مين اللي اكتشف الجثة؟
أشار رأفت للشقة الوحيدة بخلاف شقة القتيلة في الدور الضيق، وقال:
-عم نجيب.
نظر عصام للشقة المقابلة بدون اهتمام، لمح بابها مفتوح ورجل شبه منهار يجلس قرب الباب لا يتحرك. التفت لرأفت وقال:

obeikan.com

-خليك معاه.. ماينامش.. وطلّع كل اللي في الشقة برة على ما اخلص السيجارة.. عايز أَلِفّ فيها لفة.

-مش عايز تعرف معلومات عن القتيلة يا عصام بيه؟؟

قال له عصام وهو يلقي سيجارته بجوار الحائط:

-لما أخلّص

وقف عصام عند باب الشقة يدور بعينه في كل مكان فيها. بدا وكأنه يبحث عن شئ يعلم إنه موجود، أي شئ في غير موضعه، غلطة تساعده في تحديد القاتل. يرى الجثة في المساحة الوحيدة الفارغة في صالة المنزل الضيقة، مُغطاه بملاءة بيضاء. الشباك الوحيد في الصالة على يسار عصام. في مواجهة عصام، وعند رأس الجثة، مائدة طعام. أمام الشباك وعلى يسار عصام كنبة كبيرة قديمة، وكرسي بجوار باب الشقة مباشرة. على يمينه في مواجهة الكنبة، توجد مكتبة خشبية صغيرة، عليها جهاز تلفزيون، وجهاز استقبال، وبعض الكتب. بجوار المكتبة، وعلى يمين عصام، بين المكتبة الصغيرة وبين باب الشقة، خلف ستارة خفيفة لا تخفي ما ورائها يوجد ممر ضيق به بابان الى اليسار، وباب الحمام في أخره، والمطبخ بدون باب إلى اليمين. إحدى غُرف النوم بلا أثاث ولا إضاءة، ولاحظ على الضوء القادم من الخارج أنها لم تحظى بالنظافة منذ زمن.

الغرفة الثانية الأقرب للحمام مُرتبة بعناية، ولا يبدو أن دار

فيهـا أي عـراك، أو أن الضحيـة حتـى دخلتهـا اليـوم.

استمر عصام لعـدة دقائـق يـدور في الشـقة، وراعـى اسـتخدام منديلـه عنـد اضطـراره لمـس أي شـئ. ثـم خـرج مـن الشـقة، أشـار لرأفـت أن يـأتي وسـأله:

-الملايـة البيضـاء الـلي جـوا دي مـين الـلي غطـى بيهـا الجثـة؟ وجابهـا منـين؟

-عم نجيب.. قبل ما نيجي.. بس فاتتني اسأل جابها منين.

-طب أحكي لي بسرعة أيه حكاية البنت دي.

يفـرد رأفـت ورقـة كانـت في يـده، ويبـدأ سرد المعلومـات التـي تحصّـل عليهـا في الدقائـق الماضيـة:

-داليـا محمـود الجنـدي.. ٢٦ سـنة.. عازبـة.. معاها ليسـانس أداب جامعـة المنصـورة.. كل الـلي قـدرت اعرفـه عنهـا أنهـا بتشـتغل سـكرتيرة في مستشـفى في مـصر الجديـدة.. وأنهـا قاعـدة لوحدهـا مـن سـاعة مـا جـت مـن البلـد. قلـب الصفحـة وأكمـل:

-الطب الشرعي بيقول غالباً ماتت مخنوقة النهاردة الصُبح.

أنصت له عصام باهتمام ثم وقال:

-تمـام.. اتـصرف لي في كوبايـة شـاي تقيلـة.. وهاتهـا لي عنـد عـم نجيـب.

التفـت عصـام وهـو في طريقـه لشـقة عـم نجيـب، يلقـي نظـرة عـلى رجـال المعمـل الجنـائي، والطـب الشرعـي، وهُـم يرفعـون

obeikan.com

البصمات، ويلتقطون الصور لمسرح الجريمة، قبل نقل الجثة للمشرحة، وتشميع الشقة.

وقف على باب شقة عم نجيب، وطرق عليه بهدوء، ودخل دون أن ينتظر الإذن بالدخول:

-بعد أذنك ياعم نجيب محتاجك في كلمتين.. ومش هطوّل عليك.. تسمح لي ادخل؟

-يا بني بيتك.. اتفضل.

-انت اللي لقيت داليا يا عم نجيب.. مش كده؟؟ قولي بقى.. أيه اللي دخّلك شقتها متأخر كده؟؟

نظر له عم نجيب نظرة سريعة تحمل لوم واضح، ثم نظر إلى الأرض، وأشاح بيده وقال بصوت حزين:

-ولا دخلت ولا حاجة يا حضرة الظابط.. باب الشقة كان متوارب.. و دي مش عادتها..ناديت عليها من ورا الباب محدش رد.. خبّطت على الباب محدش رد.. قِلقت وقلت يكون جرالها حاجة.. زقيت الباب شوية شوفتها زي مالقيتوها كده.

بدا على صوته وكأنه يجاهد ألا يبكي، وأكمل:

-جريت طلبت النجدة.

-والملاية اللي عليها دي.. من عندك؟ ولا جبتها من عندها؟

-لا.. من عندي.. ماجاليش قلب ادخل.. دانا عمري ما دخلت عندها وهي عايشة.. هدخل وهي... ولم يستطع

إكـمال الجملـة، وكأن عـدم اعترافـه لفظـاً بمقتلها يكفـي لعودتهـا.
نظر عصام لسلم العمارة وهو يأخذ الشاي من رأفت:
-مين ساكن تاني في البيت؟
أجـاب نجيـب بصـوت يجاهـد حتـى لا تبـدو عليـه محـاولات منـع البـكاء:
-الـدور الـلي فـوق شـقتين الحاجـة زينـب اللـه يرحمهـا.. مقفولين مـن سـاعة مـا ماتـت.. حـد مـن ولادهـا بييجـي كل فـين وفـين يلـم الإيجـار.. ماهـو البيـت بتاعهـم.. وانـا بدفـع لهـم فواتيرهـم لـو جـت.. والأوضـة الـلي فـوق السـطوح فيهـا كراكيبهـا.
سأله عصام وهو يحاول أن ينظر في عينه:
-كنت راجع منين ياعم نجيب لما لقيت داليا؟
أجـاب نجيـب بتلقائيـة، وقـد بـدأ يتقبـل فكـرة أسـئلة الظابـط السـخيفة:
-انـا بشـتغل في محطـة مـصر.. بخلّـص ورديـة بالليـل.. وأقعـد ع القهـوة شـوية أخـد حجريـن زي كل ليلـة.. وأرجـع متأخـر عـلى ١١.. عـلى كـده كل ليلـة.. انـا قاعـد لوحـدي زي مانـت شـايف مـن سـاعة مـا ماتـت المرحومـة.. وابنـي الوحيـد عايـش في السـعودية.. شـغال مهنـدس هنـاك عُقبـال ولادك.
هز عصام رأسه شاكِراً وابتسم ثم قال بجدية:
-أخر مرة شوفت داليا فيها كانت إمتى؟
-النهـاردة الصبـح وانـا نـازل اجيـب الجُرنـان.. صبّحِـت عـليّ.. ونزلِـت في ميعادهـا بتـاع كل يـوم.. عـلى ٧ الصبـح.

obeikan.com

قال عصام وهو يشرب أخر رشفة من الشاي:

-أخـر سـؤال وهسـيبك تنـام.. تعـرف أيـه عـن داليـا.. شـغلها.. صُحابهـا.. صاحـب.. حـد كان بيجيلهـا؟

قال عم نجيب بصوت أنهكته الليلة التي لن ينساها:

-داليـا كانـت زي النسـمة في البيـت.. ولا تسـمع لهـا حِـس.. ولا أعـرف عـن صحابهـا ولا علاقتهـا مـع حـد أي حاجـة.. ومافيـش بينـا غـير صبـاح الخـير وصبـاح النـور.. وكلمتـين كل فـين وفـين.. وعمـري مـا شـوفت حـد بيزورهـا ولا بيجيلهـا هنـا.. اللـي اعرفـه أنهـا مقطوعـة مـن شـجرة بعـد مـا ماتـوا أهلهـا كلهـم في البلـد.. وأن واحـدة صاحبتهـا شـافت لهـا شـغلانة في المستشـفى.

-تعرف صاحبتها اسمها أيه؟؟ وياريت لو معاك تليفونها.

-ولا دي ولا دي يـا بيـه.. كل اللـي أعرفـه أنهـا هـي اللـي جابـت لهـا الشـغل.

قال عصام وهو ينهض:

-شـكراً يـا عـم نجيـب.. هسـتناك تعـدي عـليّ بكـرة في القسـم علشـان ناخـد أقوالـك وتمـضي عـلى المحضر..السـلام عليكـم. قالهـا ثـم غـادر الشـقة.

مـن عـلى بـاب شـقة عـم نجيـب رأى عصـام النقيـب رامـي فخـر الديـن، والنقيـب هشـام عبـد النـور، يصعـدان السـلم، وينظـران لـه بملامـح أسـف باسـمة، بسـبب تأخُرهـما. نظـر لهـما نظـرة لـوم واضحـة، وإن كانـت تحمـل الـوِد في طياتهـا، فهُـم مـن أكفـأ

الضباط الذين عمل معهم منذ فترة.

بدون مقدمات، بدأ يتحدث عن القضية:
-البنت مضروبة جامد وغالباً مخنوقة.. فيه علبة سجاير واقعة تحت مكتبة التلفزيون في الصالة.. تحرّزوها يمكن تلاقوا عليها حاجة.. وشوفت شاحن تليفون في الكهربا.. بس مفيش تليفون.. حاولوا تلاقوه.. وشوفوا لو ليها حد يعرفها قريّب في المنطقة.. علشان نسمع منهم بكرة.. مع أني أستبعد ده.. شكلها في حالها.. وياريت التقرير يكون جاهز بدري شوية الصبح علشان نبعته المديرية.. دي جريمة قتل.. يعني فريق بحث.. والعين هتكون علينا من المديرية.. شدّوا حيلكم.

نادى عصام على رأفت، فوجده في الدور الأرضي، يُدخن ويتحدث مع أحد الأهالي الفضوليين. استوقفه قبل أن يصعد ونزل هو له، ونظر للرجل المدني الواقف مع رأفت دون أن يتحدث، فأدرك رأفت مُراده، طلب من الرجل المُغادرة على وعَد بإعادة كوب الشاي الفارغ له. أعطى عصام كوب الشاي الفارغ لرأفت وهو يقول:
-لو لقيتوا زبالتها افحصوها يمكن تلاقوا فيها حاجة.. وقلّبوا الشقة كويس.. ومحدش يلمس حاجة بأيده.. ولا يحرك حاجة من مكانها.. يمكن نحتاج نيجي تاني.
اتجه ناحية باب العمارة، ثم توقف والتفت لرأفت قائلاً:

-انـا هـروّح.. مـا تمشـيش إلا لمـا الشـقة تتشـمّع.. وماتكلمنيـش إلا لـو فيـه مصيبـة.

ثم استدرك وقال:

-قصدي غير المصيبة اللي فوق يعني.

obeikan.com

٥

السبت ١٢ فبراير سنة ٢٠٠٥

«الحاج»المهدي عبد الغفور غانم -كما يُطلقون عليه- يجلس مُنتشياً أمام معرض غانم للسيارات، الذي يحتل الدور الأرضي كاملاً، في عمارة على ناصية كبيرة في منطقة أمبابة. يتابع حركة العُمال التي تبدو وكأنها لن تنتهي أبداً، مثل الشيشة التي يُدخنها بشراهة منذ الصباح. أوراق الجرائد التي تُغطي الزجاج الذي يحتل واجهتيّ المعرض، تمنع العيون المُتطفلة من معرفة ما يدور بالداخل، ولكن المشهد يوحي بأن عملية تجديد واسعة النطاق تجري لمعرضه.

التاريخ ٢٥ فبراير سنة ٢٠٠٥

تقرير تحقيق مدني:

obeikan.com

بعـد الإطـلاع والتحقيـق في معرفـة سـبب انهيـار العقـار محـل الدراسـة، تبـين الآتي:
قيـام صاحـب معـرض السـيارات، الـذي يحتـل الـدور الأرضي كاملاً، بإزالـة أحـد ركائـز المبنـى الرئيسـية، وهـو عامـود خرسـاني مسـلح ٥٠*١٢٠، مـما تسـبب في تركيـز الإجهـاد اتحـول مـكان الفـراغ الـذي تسبب مـن إزالـة العمـود كلياً، ونتـج عنـه تشـعب الـشروخ مـن هـذا المـكان لتصـل الى الحوائـط والبلاطـة بأكملهـا.
وعليـه؛ فـإن المسـئول جنائيـاً عـن هـذا الإنهيـار المفاجـئ، الـذي تسـبب في مقتـل سِـتة أشـخاص تحـت الأنقـاض، ه وصاحـب معـرض السـيارات أسـفل العقـار.

التاريخ ٢٩ فبراير سنة ٢٠٠٥

تقريـر مُقـدم لوكيـل النيابـة، مـن محامـي المدعـو مهـي عبدالغفورغانـم:
نرجـو مـن سـيادة وكيـل النيابـة، أن ينظـر بعـين الحكمـة والعدل، في تقريـر الدفـاع عـن المُتهـم ظُلـماً بإزالـة عنـصر رئيـسي مـن عنـاصر العقـار الرئيسـية، وغـير القابلـة للتعديـل أو التدخـل، دون موافقـة لجنـة الاستشـاريين المعتمديـن، والمسـئولة عـن كافـة الأمـور وتطبيـق شروط المواصفـات الفنيـة، والمعتمـدة لتطبيـق الأمـن والسـلامة.

سيادة الوكيل، كلمات مذكره، وتقديمه، من لجنة المهندسين من توضيح سبب انهيار العقار هو أمر واقعي وتم بالفعل. لكن الخطأ في اتهام موكلي.

لأن الفاعل الحقيقي، ومن يجب اتهامه، هو المالك الأول للمعرض، الذي اشتراه منه موكلي، المدعو تحسين غالي شاهين والذي قام مُتعمداً بإزالة عامود خرساني، بغرض توسيع المحل قبل بيعه، لزيادة سعره، وتوزيع الأحمال على بعض الأعمدة غير المطابقة للمواصفات، مما أدى لإنهيار العقار بعد حين.

وبعد التحري والتحقيق من جانبنا، تبيّن أن المدعو تحسين غالي شاهين، المالك السابق للمحل، سافر خارج البلاد منذ أكثر من سنة، ولم يعود لمصر حتى تاريخه، ولم يُستدل على مكان إقامته الحالي.

مرفق طيّه قائمة بأسماء بعض من سُكان العقار، وبياناتهم كاملة، ليؤكدوا في شهادات موثقة، مسئولية المالك السابق للمعرض عن إزالة العامود، وبراءة موكلي.

obeikan.com

obeikan.com

٦

الخميس ١٢ ديسمبر سنة ٢٠١٣

قبل موعده اليومي المُعتاد، يصل عصام للقسم، وتبدو عليه ملامح الضيق. يجد الأمين رأفت في انتظاره، وملامحه تحمل ابتسامة المُنتصر، التي تعني غالباً إنه يحمل خبراً سعيداً لعصام. قال عصام وهو يدخل مكتبه:

-أيه يا رأفت؟ مسكتوا القاتل واعترف وانا نايم ولا أيه؟

-تشرب قهوتك الأول يا عصام بيه.. وبعدين اجيبلك الشُغل.

وهمّ بمغادرة الغُرفة، ولكن عصام استوقفه قائلاً:

-لا لا لا قول الأول.. أيه الجديد؟

-عرفنا بتشتغل فين يا عصام بيه.

نظر له عصام باهتمام وهو يُعلق سترته الجلدية على الحامل الخشبي في ركن مكتبه، وقال:

-أخيراً؟؟ فين؟؟

obeikan.com

-في مستشفى «الكرامة» اللي في مصر الجديدة.
جلس عصام على مقعده، وسأل وهو يُشعل سيجارته:
-وعرفتوا مين صاحبتها اللي جابتلها الشغل هناك؟
-لا يا عصام بيه.. زمايلها هناك علاقتها معاهم سطحية جداً.. ومدير الموارد البشرية قال أن زميل في مستشفى تانية اللي كلمه عليها.. ولما كلمه رامي بيه.. قاله إنها قدّمت عنده في المستشفى.. وهو ماعندوش مكان.. فكلّم لها زميله.. وكل حاجة في التقرير قصاد سعادتك.
-طيب شكراً يا رأفت.
وبدأ يقرأ تقارير البحث التي أمامه.
-أوصّي على القهوة؟؟ قالها رأفت وهو يهمّ بمغادرة الغُرفة.
استوقفه عصام قائلا:
-أيه أخبار أهلها في البلد صحيح؟
-المحضر وصل الصبح وعلى مكتب سعادتك.. القسم هناك استدعى خالها.. وهو قريبها الوحيد اللي فاضل.. وعرفنا إنه مكانش بيطيقها ولا هي بتطيقه.. علشان كده سابت البلد بعد ما خالتها سافرت السعودية لجوزها.. وجت على القاهرة.. وهو مايعرفش عنها حاجة.

بدأ عصام يُطالع المحضر الذي يحتوي على أقوال خال داليا وتقرير البحث هناك، وسأل دون أن يرفع رأسه:
-سألوه كان فين يوم الأثنين؟

-كان في الشغل هناك لحد أخر النهار.. وكمّل اليوم على القهوة وفي بيته.. ماخرجش من البلد يومها.

هزّ عصام رأسه مُتفهماً، وأشار له بيده لينصرف، وهو يطفئ سيجارته، وبدأ بمراجعة التقرير قبل إرساله للمديرية.

فتح رأفت الباب، ليجد فتاة في أواخر العشرينات، تحمل ابتسامة عريضة على وجهها، وتنظر بفضول إلى الداخل وتقول:
-عصام بيه فاضي؟

سمعها عصام، فأشار لرأفت -الذي يمنعها من الدخول بجسده انتظاراً لتعليمات رئيسه- أن يسمح لها بالدخول. فتح رأفت لها الباب وتنحى جانباً ليسمح لها بالدخول، ولم يحرم نفسه من ملاحظة مفاتنها لثواني.

هي فتاة جميلة ذات جاذبية ساحرة، شعرها إسود طويل، ولكنه ملفوف خلف رأسها دون عناية، عيون واسعة بُنية اللون، فم وأنف دقيقان، وجسد متناسق، يجعل منها مع جمال ملامحها، حلم يسير على قدمين. تحمل حقيبة جلدية من النوع المتعدد الأغراض. ملابسها الكاچوال لم تتمكن من إخفاء مفاتنها، بالرغم من إنها كانت غير ضيقة أو مفتوحة.

obeikan.com

أشار عصام لها أن تجلس وهو يقول:
-أيه يا غادة؟ انتي بتراقبي تليفوني؟ ولا في حد بيبلغك باللي بيحصل من القسم؟
-يا عصام بيه انا بشم ريحة الحوادث من بعيد.. أمال صحفية ازاي بس؟
ابتسم بودّ، ثم كست الجدية ملامحه وقال بلهجة من لا يرغب في أي مُعارضة:
-طب اتقلي شوية وتعالي.. ولا اقولك؛ انا هكلمك.
-يا عصام مانت قُلت أن في حاجة.. عايزني اتقل ليه بس؟ مش بحب الأخبار بايتة.
قالتها بملامح شِبه متوسلة.
لاح الضيق على ملامحه، وتنهد وهو يشيح بنظره بعيداً، ثم عاد لها بنظره وقال:
-هو احنا هنعيد الكلمتين كل مرة يا غادة؟ مانتي عارفة أني مش بحب أي قضية تنزل جرايد إلا لما تخلص.. لزومه أيه نخوّف الناس؟ وبعدين انا اديتك كلمة.. تخلص وهكلمك.
ابتسمت لتتجنب مضايقته، وقالت وهي تنهض:
-ماشي كلامك.. هستنى تليفونك بُكرة.
رفع عينه دون أن يحرك رأسه وهمّ بتذكيرها إنه سيتصل بها، بعد حلّ القضية، «مش بُكرة»، لكنها لاحظت نظرته فأكملت:
-يا عصام بيه.. يا عصام بيه.. قضية أيه دي اللي هتاخد

obeikan.com

منـك يومـين؟ انـا هكلمـك بُكـرة وهتكـون القضيـة خلصانـة.. وابقـى قـول غـادة قالـت.. عـن إذنـك.
وقامت مُسرعة قبل أن يعترض.

فتح رأفـت بـاب مكتـب عصـام ودخـل، بعـد طرقتـين سريعتـين، وأسرع يفتـح ملـف كان يحملـه معـه ويضعـه أمـام عصـام، لتظهر صـورة شـخص في منتصـف الثلاثينـات، يحمـل وجهـه عـدة جـروح قديمـة، يصلُـح ليكـون تجسـيد للفـظ «بلطجـي». طالـع عصـام الملـف لثـواني، وظهـرت عـلى ملامحـه علامـات التسـاؤل.
قال رأفت وهو يدور حول مكتب عصام ليقف بجواره:
-جـمال عبـد الشـكور.. الشـهير ب «تذاكـر».. سـوابق.. اتحبـس في سرقـة بالإكـراه.. واتمسـك كـذا مـرة حيـازة بـلا أزرق.. وسـاعات إتجـار.. وبلطجـة.
-أمممـم.. والباشـا هـو صاحـب البصـمات الـلي لقيتوهـا عـلى علبـة السـجاير في شـقة داليـا؟؟
-تمام يا عصام بيه.
قال عصام وهو ينهض:
-فين رامي وهشام؟؟
-بيحضّروا القوة سعادتك.. علشان نروح نجيبه.
-طب استنى انت هنا.. وبلّغني لو حد سأل عليّ.
قالهـا وهـو يلتقـط سـترته مـن عـلى الحامـل في ركـن الغرفـة، في طريقـه للخـروج.

obeikan.com

obeikan.com

٧

منتصف نهار الخميس ١٢ ديسمبر سنة ٢٠١٣

ظهرت قوة عددها غير قليل من أفراد الأمن، عند أول الحارة التي يسكنها «تذاكر»، قوة تليق بسُمعة بلطجي مثله. تسير بالخطوة السريعة، وتكتسي ملامح كل أفرادها بالجدية الواضحة. يتقدمهم عصام، بعد إضطرارهم لترك سيارات الشرطة في الحارة الأكبر نسبياً التي تتفرع منها حارة «نجيبة»التي يسكُنها «تذاكر»، لإستحالة بسبب ضيقها فتح أبواب أي سيارة تتمكن بمُعجزة من دخولها. فالحارة بالكاد تسع لهيكل سيارة صغيرة الحجم.

أسرع كل من كان في الحارة يفسح الطريق للقوة من الأهالي، حتى الأطفال، كان تحركهم أشبه بنفور طرف المغناطيس

obeikan.com

الموجب من مثيله. وبرغم الصمت الذي ساد الحارة، علِم تقريباً كل أهلها بصعود القوة للبيت الذي يسكن «تذاكر»سطحه. وظهرت السيدات في النوافذ المتقابلة، التي يسمح لهم ضيق الحارة بتبادل العبارات الهامسة، وأحياناً استعارة الأغراض من خلالها بسهولة، يسألن بعضهن البعض عن سبب الزيارة غير المرغوب فيها.

طلب عصام من رجاله كسر باب الغرفة، بعد عدة طرقات قوية على الباب دون استجابة. وبعد أقل من دقيقة كان عصام يقف أمام جُثة المدعو «تذاكر». ولم يستطع أياً من سيئي الحظ -ممن سمحت لهم مساحة الغرفة الضيقة برؤية الجثة- الكلام. الغرفة تتكون من صالة بالكاد تكفي لكنبة ومائدة طعام صغيرتين، إلى اليمين يوجد حمام ضيق للغاية بدون باب، أمامه ستارة مفتوحة، تحل محل بابه في الغالب. وفي مواجهة باب الغرفة، مدخل غرفة النوم، بها سرير صغير عليه جثة «تذاكر». تسقط الشمس على وجهها، وكأنها مأخوذة بما تراه حالها مثل حال كل من في الغرفة.

كانت جثة «تذاكر»على ظهرها فوق السرير مفتوحة العينان، تحمل ملامحها علامات فزع شديد وشحوب من تعرض للقتل على يد مصاص دماء. على جبهتها العريضة توجد ثلاث جروح قطعية، تجلط الدم عليها لتبدو ككتابة بقلم

obeikan.com

أحمر قاتم، سالت الدماء منها ولكنها لم تطمس الرسالة التي يبدو وأن القاتل تعمّد توصيلها، وهي تشبه (٧١١). وكان كل ذراع مفرود على إمتداده ومربوط في قائم السرير برباط قوي من البلاستيك الليّن. قُطعت شرايين اليدين مما تسبب في تسرب دماء الجثة كلها تقريباً على السرير والأرض بجوار السرير من الناحيتين، مما يُفسر شحوب الجثة.

لم يقطع الصمت سوى صيحات قادمة من سطح البيت، انتفض كل من كان بالغرفة -تقريباً- فزعاً، فمعظمهم كان لايزال تحت تأثير مشهد الجثة. التفت عصام لرجاله وقال بقوة:

-محدش يلمس حاجة.. كله يطلع برة الأوضة.. دي بقِت مسرح جريمة.

خرج كل من كان في الغرفة، وكأنهم كانوا ينتظرون هذا الأمر بفارغ الصبر. خرجوا مندفعين وكأنهم يهربون من الموت ذاته، الذى كان حاضراً بقوة على جبهة وملامح «تذاكر». لدرجة إنه حاز على تعاطف بعضهم بالفعل برغم سمعته السيئة، وتاريخه الطويل من البلطجة. كان عصام أخر من خرج من الغرفة، وكان يحمل هاتف محمول أحمر اللون بأطراف أصابعه، ملفوفاً في قطعة قماش التقطها مما يشبه المطبخ في ركن صالة غرفة «تذاكر». خرج ليجد أربعة من

رجاله الذين كانوا خارج الغرفة يقيّدون شخصاً ويمنعونه من التوجه للغرفة، التي أصبحت لتوها مسرحاً لجريمة بشِعة.
توقف الرجل عن المقاومة عندما رأى عصام قادماً نحوه، والسبب كان هيبة عصام الواضحة، ولكنها لم تمنعه من الصراخ، قائلاً:
-عملتوا أيه في «تذاكر»يا باشا؟؟ وليه مش عايزيني اشوفه؟؟ «تذاكر»عمل ايه علشان كل ده؟؟
رفع عصام يده وصفعة بقوة وصاح به:
-انت جاي تحقق معايا يا روح أمك؟؟
ثم نظر لأحد رجاله الذين يُقيدون الرجل وقال:
-فتّش الحيوان ده.
ثم جذب الرجل من ياقة قميصة بقسوة، وصاح به:
-انت مين ياض؟؟
تكلم أحد رجال عصام وقال:
-ده «كربونة»يا عصام بيه.. شهرته كده.. عيل لَبَط.. وشرَف عندنا في الحجز كتير.
تكلم «كربونة»بصوت أشبه بالنحيب:
-يا باشا انا اسمي حمدي.. «تذاكر»ده صاحب عمري يا باشا.. أخويا.. راضع عليه.. لما سمعت أنه عنده زيارة جيت اشوفه.. بس سمعت حد خارج من الأوضة بيقول قتيل.. مين اللي قتيل يا باشا.. وحياة ولادك يا باشا تقولي «تذاكر»ماله.
وسقط على الأرض عند قدمي عصام وانهار يبكي.

همّ أحد الرجال يلتقطه ليمثُل أمام عصام، ولكن عصام استوقفه بيده. ونظر له وقال بصبر نافذ:

-هو ده تليفون «تذاكر»؟؟ انت يا بني آدم رُد عليا وبلاش شغل النسوان ده.. ده تليفونه؟؟ شكله تليفون سِت!!

نظر له «كربونة»بعيون مليئة الدموع بعدما تيقّن أن كلمة «قتيل»التي سمِعها منذ دقائق، كان المقصود بها صديق عمره بالفعل، وقال:

-لا يا بيه.. تليفون «تذاكر»سايبه عندي من أول امبارح.

كست علامات الدهشة ملامح عصام لثواني، ثم التفت لرامي وقال:

-خليك انت يا رامي.. ارفعوا البصمات.. والجثة تروح المشرحة.. اقلبوا المخروبة دي.. عايزين أي حاجة عن القاتل.. دي كده دخلت في الجَدّ.. المديرية هتتقلب.

ثم أشار ل»كربونة» -الذي كان لايزال يبكي على الأرض- بضيق، وقال لرجاله:

-تعالى معايا يا عفت انت ومجدي.. كلبشوا الواد ده وهاتوه معانا.

واتجه مُغادراً سطح البيت وهو ينتفض من الغضب والقلق والتوتر، فهو كان يعلم يقيناً أن القضية تحوّلت لتوّها لقضية من أكبر القضايا التي مرّت على المديرية في تاريخها.

obeikan.com

٨

عصر الخميس ١٢ ديسمبر سنة ٢٠١٣

كان القسم مُزدحماً بالمواطنين، منهم من له حق، ومنهم من يظُن أن له حق، ومنهم من يدّعي هذا زوراً. فالمأمور يصفع سائق أتوبيس سياحي على وجهه، ليسقط أرضاً هو والكرسي الذي كان جالساً عليه، بعد رفضه تشغيل التكييف -المدفوع ثمنه ضمن ثمن التذكرة- للرُكاب، برغم طلب المأمور ذلك منه -بأدب- عدّة مرات، لينصاع السائق أخيراً، وكأن التكييف لا يعمل إلا بالصفع، ولكن على وجه سائقه. وفي الممر المؤدي لمكتب رئيس المباحث، سيدة لا تبدو عليها أي إصابة، تتوعد زوجها -الذي أصابته بعاهة مستديمة بالفعل- بقطع كل أطرافه إذا تجرأ و»فكّر يمِدّ أيده عليها تاني»!! أما عند باب غرفة رئيس المباحث، يقف رجل وقور تخطى الستين سُرقت سيارته، وهو يعلم من سرقها، لأنه تحدث معه عبر الهاتف

obeikan.com

عِـدة مـرات، ليطلـب منـه مقابـل رجوعهـا، وكأنـه عليـه أن يُعيـد شراء سـيارته، كل مـرة ينجـح أحدهـم في سرقتهـا. ونصحـه أحـد أُمنـاء القسـم بدفـع الفديـة المطلوبـة، لأنهـا «لحُسـن حظه»حسـب تعبـيره، لا تسـاوي ربـع ثمـن السـيارة، وبقـى أن يحـاول الأمـين إقناعـه بمـدى رِقـة قلـب سـارقها، ليطلـب منـه فقـط هـذا المبلـغ البسـيط. تخطـى عصـام كل هـذا الزحـام، بملامـح جامـدة، ليصـل لمكتبـه.

جلـس عـلى مكتبـه ودق الجـرس ليحـضر لـه فـوراً الأمـين رأفـت، الـذي لم يلحـظ وصـول رئيسـه بسـبب الزحـام، اندفـع رأفـت للمكتـب قائـلا:

-محـدش سَـأَل عـلى سـعادتك. رفـع عصـام سـمّاعة هاتـف مكتبـه، وقـال لرأفـت دون أن ينظـر لـه:

-روح هاتـلي علبـة سـجاير.. ووصّي ع القهـوة.. بسرعـة.. دقيقـة تكـون هنـا.. وخـد التليفـون ده ارفـع مـن عليـه البصـمات وهاتـه تـاني عـلى طـول.. محـدش يشـغّله.. والـواد كرتونـة ده يفضـل بـرة لحـد مابعتلـه.

أخـد رأفـت التليفـون داخـل كيسـه البلاسـتيكي واتجـه للبـاب وقـال مُصحّحِـاً:

-كربونة يا عصام بيه.

طلب عصام رقماً، وانتظر ثواني قبل أن يقول لمُحدثه:

-مساء الخير يافندم.. معاك الرائد عصام ناجي رئيس مباحث قسم حدائق القبة.. كنت محتاج...
قاطعه الصوت الآخر قائلاً:
-عصام ناجي؟؟ مش انت أبن أخو اللواء مصطفى الله يرحمه؟؟
-بالظبط يا فندم.. مظبوط.
-ماشاء الله عليك سمعتك كويسة في الوزارة يا عصام.. مشرّف عمك الله يرحمه.
-الله يخليك يافندم.. يارب نكون عند حُسن الظنّ دايماً.. كنت محتاج اكلّم اللواء أشرف من فضلك.. قضية القتل اللي عندي فتحت على قضية قديمة كبيرة.. ومحتاج ابلّغ سعادته.
-أيه؟؟ خير يا عصام؟؟
-يا فندم لو تفتكر سعادتك القضية اللي اتقتل فيها تسعة من كام سنة.. كانت الصحافة مسمّياه سفاح الأرقام؟
-فاكره طبعاً.. مش ده اللي عمك الله يرحمه كان ماسك قضيته؟؟
-تمام يا فندم هو ده.. واضح أنه رجع يشتغل تاني.. لقينا جثة مشتبه فيه في جريمة قتل عندنا.. مقتولة بنفس طريقته.
-يا ساتر.. هي البلد ناقصة؟؟ طب سيبني ابلغ اللواء أشرف وأكيد هيكلّمك.. وياريت تبعتلي تقرير الجريمة بسرعة.
-تمام يا فندم.. في انتظار تليفون سعادته.. وهشتغل على التقرير أول ما توصلني صور مسرح الجريمة.. مع السلامة يا

obeikan.com

فندم. ويغلق الخط.

يرن هاتفه المحمول ويظهر أسم زوجته على الشاشة، يرد عليها ودون أن ينتظرها تتكلم يقول:
-أيوة يا حبيبتي.. فاكر الحفلة.. ومش هتأخر.
فقالت متفهِمة:
-ماشي.. انا قلت افكّرك.. سلام يا عصام.
بعدما أدركت أنه مشغول بحُكم العِشرة.
-سلام.

دخل رأفت المكتب بعلبة السجائر الميريت الزرقاء، التي لا يُدخن غيرها عصام بعد إصرار زوجته أن يتوقف عن التدخين، وموافقتها تغيير المارلبورو الحمراء لميريت كخطوة أولى. قال لرأفت والتوتر بادياً على ملامحه:
-أول ما الرجالة توصل تجيني.. وهات لي الواد اللي برة.. هوّ اسمه أيه؟؟
-كربونة.

أجرى عصام اتصالاً من هاتفه المحمول وقال بمجرد سماع صوت الطرف الأخر:
-أيوة يا غادة.. لو عايزة تبقي الصحفية نمرة واحد في مصر من بكرة.. تكوني عندي في القسم في نُص ساعة.. عندي

obeikan.com

مواعيـد مـش هقـدر اتأخـر.
-أيوة بقى.. هوا هكون عندك.
-ماشي.. سلام.

دخـل رأفـت ومعـه «كربونة»الـذي بـدا أكـبر سـنّاً مـما كان عليـه منـذ سـاعة واحـدة. حقـاً يشـيخ الشـخص الحزيـن أسرع مـن غـيره. قـال عصـام لرأفـت:
-محـدش يدخـل عـليّ ولا يقاطعنـي إلا رامـي وهشـام بيـه لمـا يرجعـوا.. فُـك الكلبشـات وابعتـلي... ونظـر لكربونـة سـائلاً:
-شاي؟
هـز كربونـة رأسـه أن نعـم دون أن يرفـع عينـه عـن سـجادة المكتـب الكئيبـة باهتـة اللـون. أكمـل عصـام:
-ابعت شاي مع حسين.. شكراً يا رأفت.

أشار عصام لكربونة أن يجلس وهو يشعل سيجارته:
-مـش هعـزم عليـك بسـجاير النسـوان الـلي بشربهـا دي.. مـش هتنفعـك.. لمـا حسـين يجيـب الشـاي.. اطلـب منـه واحـدة سـوبر لـو عايـز.
أراح ظهـره عـلى الكـرسي، ونظـر لكربونـة متفحصـاً، ثـم قـال محـاولاً تحويـل تفكـير كربونـة عـن مـوت صديـق عمـره:
-أيه حكاية اسم كربونة ده؟؟ جديد عليّ.
ظهر شبح ابتسامة على ملامح كربونة، وتنهد بحُرقة وقال:

-تذاكـر اللـه يرحمـه الـلي سـمّاني كربونـة.. عشـان وأنـا صغـير كنـت بقلّـد الممثلـين والمشـاهير.
وصل الشـاي وطلـب كربونـة مـن حسـين سـيجارة وأشـعلها. قـال عصام:
-كربونـة.. ركـز معايـا شـوية بقـى علشـان عايـز اسـألك سـؤالين.. لمـا سـألتك عـن تليفـون تذاكـر قولتـلي سـايبه عنـدك بقالـه يومـين.. هـو متعـوّد يمـشي مـن غـيره؟؟
-لا يـا بيـه.. هـو بقالـه كام يـوم مـش عـلى بعضـه.. ييجـي إسـبوع كـده.. ومـن يومـين سـعادتك لقيتـه بيقـولي هغطـس يومـين وبعدهـا هاخـدك يـا كربونـة ونغـور مـن الحـارة.. وسـاب تليفونـه مقفـول عنـدي.. وسـألته ليـه.. قـالي دي تعليـمات البيـه صاحـب الشُـغلانة.
ظهرت ملامح الإهتمام على عصام:
-ماقالش مين البيه ده؟؟ ولا أيه هي الشُغلانة؟؟
قال كربونة بحسرة:
-لا واللـه يـا بيـه.. انـا كـمان خـدت منـه جنـب سـاعتها ومامسـكتش فيـه عشـان يقـولي.. أصـل عمـره مـا طلـع طلعـة مـن غـيري.. أخرتهـا ييجـي يعاملنـي زي مراتـه؟؟ زعلـت منـه يابيـه.. ياريتنـي كنـت مسـكت فيـه ولا كـسرت رجلـه سـاعتها وماسـيبتوش ينـزل.
وبدا وكأنه على وشك البُكاء.
-كانت إمتى أخر مرة قابلته فيها؟؟

-أول أول الصبح.. جالي ماقعدش ربع ساعة قال الكلمتين دول ومشي.. وانا عشان زعلان مسألتش فيه من ساعتها.. لحد ما جالي خبر أن الحكومة طالعة عنده.. جيت جري.

دخل رأفت بعد طرقة سريعة على الباب، ليعلن وصول كل من النقيب رامي والنقيب هشام من مسرح الجريمة. وأعطى الهاتف المحمول الذي وجده عصام في غرفة تذاكر لعصام داخل كيسه بعد رفع البصمات من عليه وإرسالها للفحص. صرف عصام كربونة من مكتبه وطلب منه الإنتظار في القسم لتُثبت أقواله في محضر رسمي.

بمُجرد جلوس عصام مع رامي وهشام، رنّ هاتف مكتبه، فالتقط السماعة بسرعة:
-ألو.. ثم ظهرت الجدية على ملامحه عندما جاءه الرد.
-معاك اللواء أشرف عتمان يا عصام.. مش عصام معايا؟؟
-أيوة يا فندم الرائد عصام ناجي مع سعادتك.
-انت متاكد يابني من أن اللي قتل المرة دي هو نفسه الراجل بتاع زمان زي ما وصلني؟؟
-أيوة يا فندم متأكد.. كل التفاصيل هي هي.
-طب انا هستناك السبت الصبح في مكتبي ١٠ الصبح.. ربنا معاكم.
أوما برأسه وهو يقول:

obeikan.com

-حـاضر يـا فنـدم.. عـشرة الصبـح هكـون عنـد سـعادتك ومعايـا فريـق البحـث هنـا. وأغلـق الخـط.
فتـح الكيـس الشـفاف وأخـرج منـه الهاتـف المحمـول الـذي حصـل عليـه مـن غرفـة تذاكـر، وفتحـه، وقـال دون أن يحـوّل نظـره عـن المحمـول في يـده، وهـو يشـير لهاتـف المكتـب:
-اللـواء أشرف عتـمان رئيـس مباحـث المُديريـة مسـتنينا السـبت الصُبـح السـاعة ١٠ في مكتبـه.. حـد فيكـم فاكـر القضيـة الـلي قلبـت مـصر كلهـا مـن كام سـنة؟؟ الـلي كانـت مشـهورة بإسـم سـفاح الأرقـام؟
قال هشام:
-أيوة طبعاً.
أضاف رامي:
-مـش دي عمٌـك اللـواء مصطفـى اللـه يرحمـه كان ماسـكها؟؟ اسـمع أنهـا القضيـة الوحيـدة الـلي ماعرفـش يحلّهـا في مشـواره كلـه.
قال عصام:
-مظبوط.. حد فيكم يعرف تفاصيل عن القضية دي؟؟
نظـرا لبعضُهـم البعـض في رد صامـت عـلى سـؤاله أن لا. وقبـل أن يكمـل عصـام كلامـه قـال رامـي:
-حضرتك شايف ربط بين جريمة النهاردة والقضية دي؟؟
تنهد عصام وقال:
-جريمـة النهـاردة تمّـت بنفـس طريقـة القاتـل الـلي قتـل بيهـا ٩

قبل كده في القضية دي قبل ما يختفي.. انا حافظ القضية دي.. ياما سهرت مع عمّي وهو بيراجع تفاصيلها وكنت بساعده.. نفس الرباط البلاستيك اللي حوالين الأيدين.. نفس النومة.. قطع الشرايين في نفس المكان.. وأخيراً التاريخ اللي مكتوب على راس الضحية بالمقلوب.. والمراية المكسورة.

ظهرت علامات الدهشة والإنفعال على ملامح كل من رامي وهشام. نظر عصام في ساعته وهبّ واقفاً، وقال:

-تسهروا الليلة دي.. تطلعوا تفاصيل القضية دي من الجرايد أو الأرشيف.. اتصرّفوا.. تحفظوها.. عايزين السبت نكون جاهزين في الإجتماع مع سيادة اللواء في المديرية.. ولو اتزنقتوا في حاجة كلّموني.. وقبل ماتمشوا من القسم خلّصوا تقرير جريمة تذاكر دي.. ابعتوا هاتوا جيرانه.. وكربونة صاحبه ده.. وشوفوا البصمات اللي ع التليفون اللي لاقيته في أوضته بتاعة مين.. وحاولوا تجيبوا من على التليفون بيانات صاحبه.. كل ده يكون جاهز السبت.. وياريت نتقابل نُص ساعة بدري علشان اقرا التقارير قبل مانقابل سيادة اللواء.. سلام علشان عندي مشوار ضروري.. وماتتأخروش بكرة.

ثم أعطى الهاتف المحمول لرامي، وغادر.

فتح عصام باب سيارته ليجد من يُناديه:

-كده يا عصام بيه؟؟ بتبعتني؟؟

obeikan.com

التفت ليجد غادة الصحفية قادمة من ناحية القسم وقال:
-انا قُلت نُص ساعة من ييجي ساعة.
قالت وهي تضحك:
-احنا اللي بينّا اكبر من نُص ساعة تأخير.. أيه الموضوع اللي هيركبني على راس الصحافة في مصر في يوم وليلة؟؟
نظر في ساعته، ونظر لها، وفكّر ثواني ثم قال:
-عندك اختيار واحد.. تركبي معايا.. افهّمك الحكاية في السكة.. وترجعي لوحدك في تاكسي.. ها؟؟
قالت وهي تدور حول السيارة:
-ودي عايزة سؤال.. معاك يا باشا.

obeikan.com

٩

ليل الثُلاثاء ٢١ مارس سنة ٢٠٠٥

يجلس الشاب محمود شعبان عبد الدايم، على رمال شاطئ أبو قير، يغطي نصف وجهه بشال مُلتف حول رقبته ليقيه من البرد، ينظُر الى البحر، الذي تحول لونه للأسود تحت غطاء الليل الطويل. يطلق تنهيدة طويلة مُحمّلة بدُخان سيجارته. يكاد يرى نفسه في الجانب الآخر، في صحبة شقراء جميلة، عيناها تنطِق بحبه، يتحدث معها بالإيطالية بطلاقة، التي لا يعرف منها بَعد سوى كلمة صباح الخير، ولا يتذكرها بسهولة. يرى نفسه مُرتدياً ثياباً فاخرة، ويضحك كما لم يضحك من قبل.

يبتسم دون وعي، وهو يتخيّل حلمه الذي ظَل يراه ليس فقط طوال رحلته من القاهرة للأسكندرية، ولكن منذ أن

obeikan.com

علِم مـن صديـق لـه عـن عـم رفاعـي غريـب الصيـاد. لا يعلـم أحـداً إن كان لقـب الصيـاد مُكتسـب بحُكـم مهنتـه، أم هـو لقـب عائلتـه بالفعـل.

ينتزعـه صديقـه مـن حلمـه ليلحـق بـه عنـد الشـط، حيـث تنتظرهـم (غاليـة) وهـو الإسـم الـذي اختـاره عـمّ رفاعـي لمركبتـه، التـي لا تصلُـح للسـفر لإيطاليـا عـلى عكـس مـا أقسـم بـه عـم رفاعـي مـرات، وهـو يقبـض ثمـن رحلـة المـوت مـن كل شـاب.

الخميس ٢٣ مارس سنة ٢٠٠٥

خبر صغير في صفحة الحوادث:
غـرق خمسـة شـباب ظهـرت جُثثهـم عـلى شـواطئ أبـو قـير في الأسـكندرية بعدرحلـة صيـد انتهـت بمأسـاة.

obeikan.com

١٠

وقـت الغـروب الخميـس ١٢ ديسـمبر سـنة ٢٠١٣

دخلـت غـادة مكتـب مجـدي كارم رئيـس تحريـر جريـدة الملامـح المصريـة، دون اسـتئذان، عـلى غـير العـادة. نظـر لهـا باسـتغراب، وأسرع ينهـي مكالمتـه مـع أحـد العُمـلاء، لأنـه بحُكـم معرفتـه الجيـدة بهـا، كان واثقـاً أنهـا جـاءت لـه بأخبـار سـعيدة، التـي تعنـي بسـبب طبيعـة عملهـا؛ مصيبـة.

بمُجرد أن أغلق الخط، قالت له غادة بزهو:

-صفحـة أولى.. واسـمي ينـزل عـلى التحقيـق.. ومـش هتاخـده منـي ولـو عـلى جُثتـي.. قُولـت موافـق؟

نظـر لهـا باسـتغراب، وتبسّـم، وقبـل أن يقـول أي شئ، اتجهـت ناحيـة البـاب وهـي ترفـع كتفيهـا، وتقـول مُهـدِّدة:

obeikan.com

-مش موافق؟ انت الخسران.. انا دالوقت ألف جرنال يتمناني.. ها؟ قولت موافق؟
-لا طالما ألف جرنال يتمناكي.. موافق.. بس والله العظيم الموضوع لو طِلع ما يستاهلش لاخصملك إسبوع.. قولت موافق؟؟ مُقلداً إيّاها.

ضحكت ومشيت في اتجاه الحائط المجاور لمكتبه من ناحية اليسار، وقفت أمام مقالة مُعلقه على الحائط داخل إطار خشبي بسيط ويبدو عليها القِدم. تطلّعت إليها لثواني، ثم التفتت له، وأشارت للمقالة وقالت:
-شكلها مش هتكون أخر مقالة تكتبها عنه.
نقل مجدي نظره بين غادة والمقالة عِدة مرات دون فَهم، ثم هزّ رأسه كمن يحاول أن يستفيق من غفوة:
-غادة.. واحدة واحدة عليّ.. مش فاهم حاجة.
اقتربت من مكتبه وقالت بحماس:
-الراجل بتاعك رجع يقتل تاني يا مستر مجدي.. وكمان معايا صور مسرح الجريمة.. وأخدت الـOK من عصام بيه أني انزّلها من بكرة.

كسى الذهول ملامح مجدي كارم، وتحركت عيناه تلقائياً صوب المقالة الوحيدة المُعلقة على الحائط في مكتبه، الحائط المُكتظ بإطارات متعددة تحوي داخلها صور لحظات تكريمه

في عـدة أماكـن مُختلفـة، وشـهادات تقديـر، وجوائـز.
قال بصوت بحّه الذهول:
-مش ممكن طبعاً!!!!
قالت له وهي تُخرج ملف من حقيبتها:
-نفس التكتيفة.. قطع الشرايين.. الكتابة بالمقلوب.
خطـف منهـا الملـف بلهفـة وانفعـال، فتحـه، وبمجـرد أن وقعـت عينـاه عـلى أول صـورة لجُثـة تذاكر الشـاحبة، نظر لغـادة وظهرت عليـه ملامـح تجمـع مـا بـين الذهـول والانفعـال الشـديد. جلـس عـلى مكتبـه ونظـر مـرة أخـرى للصـورة التـي كانـت لاتـزال في يـده، ثـم رفـع عينـه للمقالـة المُعلقـة عـلى الحائـط، وكأنـه ينظُـر لصديـق عائـد بعـد غيبـة طالـت.

كانـت تلـك المقالـة التـي كتبهـا أثنـاء عملـه في جريـدة حكوميـة كُـبري، السـبب في طـرده مـن العمـل بهـا، واتهامـه بالتحريض على القتـل، وخروجـه بأعجوبـة بحكـم مـع إيقـاف التنفيـذ. والسـبب في تغيُر حياتـه كلهـا. وكانـت السـبب غير المبـاشر في النجـاح الذي وصـل لـه، بعدمـا قـرر أن يبـدأ مـشروع جريـدة الملامـح المصريـة. كان ولايـزال يطـرح يوميـاً عـلى نفسـه نفـس السـؤال، والـذي اختـاره عنوانـاً المقالـة «هـل سـفاح الأرقـام مجـرد قاتـل؟»ولم يصـل لإجابتـه بعـد.

مقالة بتاريخ ٦ ديسمبر سنة ٢٠٠٥

هل سفاح الأرقام مُجرد قاتل؟
بقلم: مجدي كارم
نعـم، هـو ذلـك الخيـط الرفيـع بـين مـا هـو صـواب ومـا هـو خطـأ. تلـك المنطقـة الرماديـة، التـي لـن تتمكـن مهـما كنـت واثقـاً مـن نفسـك، أن تضُمهـا بضمـير مرتـاح للمنطقـة البيضـاء، أو السـوداء.

فهوقاتل،بـدم بـارد، يهاجـم ضحيـاه ليـلاً، يغـدُر بهـم، ينتـزع أرواحهـم، وغالبـاً يقـف ليشـاهد مُستمتعاً بريـق الحيـاة ينطفـئ تدريجيـاً في عيونهـم. الآن عزيـزي القـارئ، انـت -وبضمـير مرتـاح- قـد وضعتـه في دائـرة الـشر، دون لحظـة تفكـير.

ولكـن، مـاذا لـو كان مـا فعلـه بهـم، كان بالظبـط، مـا فعلـوه هـم بأبريـاء، لم يملكـوا مـن المـال، أو يتمتعـوا بالجـاه، أو السـلطة، التـي تسـمح لهـم أن يدافعـوا عـن أنفسـهم؟ مـاذا لـو كانـوا كل ضحايـاه يسـتحقّون القتـل بحكـم قضـائي لَـم يُنطَـق؟ لعـدم كفايـة الأدلـة، أو لـثراء الجـاني.. إلـخ. أيـاً كان السـبب ،فالنتيجـة واحـدة؛ نجـاة المجـرم بجريمتـه، ليعـود لحياتـه الطبيعيـة، بعـدأن حـرم منهـا أبريـاء، لم ينصِفهـم غـير هـذا «القاتـل».

أكاد أراك عزيـزي القـارئ وانـت تُعيـد الرجُـل للدائـرة الرُماديـة. بـل أن البعـض قـد يقـوم بنقلـه مباشرة للدائـرة البيضـاء.

سيكرهه البعض، ويحبه أخرون. سيكون بطلاً في نظر البعض، وخارج عن القانون في نظر غيرهم. سيوافق أحدهم على ما يفعله ويختلف على طريقة التنفيذ. سيوافق غيره على كل شئ، وسيرفض غيرهم كل شئ.
ولهذا سيبقى في المنطقة الرمادية، شئتم أم أبيتم.

فهو مُجرد عَرض من أعراض مرض تفشى في جسد الدولة. ومحاربة أعراض المرض، لاتُشفي الجسد، أنما تُزيد من ألامه، وتطيل أمد مُعاناته. حاربوا المرض، لتختفي الأعراض.

أرجوكم لا تُحمّلوا فشلكُم لمن يرفض أن يتحمّل الضعفاء وحده من تيجته.

قطع صوت غادة سيل الذكريات الذي هاجم مجدي كارم وفصله لدقائق عن الواقع، قالت:
-تصدق يا مستر مجدي، انا ممكن اعمل معاك انت شخصياً Interview.
وقبل أن يتمكن من استيعاب الفكرة، أكملت هي بحماسة تدُل على اقتناعها الكامل بالفكرة، وهي تُشير بيدها وكأنها ترسم المانشت بعرض الغُرفة:
-اقرأ في العدد القادم «حوار مع مجدي كارم.. الذي اتهمته

السُلطات أنه على علاقة بالقاتل يتحدث بعد عودة القاتل».
أراح مجدي ظهره على كُرسيه، وظهرت على وجهه علامات التفكير المُتأنّي، ثم قال بعد دقيقة من الصمت:

-انا مش عارف افكر دالوقت في موضوع الInterview، ممكن بس ماتستعجليش.. الموضوع مش هيّن.. ماتنسيش أنه قاتل يا غادة.. محتاجة تفكير شوية الحكاية دي. وأكمل قبل أن تعترض:

-اسمعي الكلام يا غادة.. انزلي بالموضوع زي ما طلبتي.. بس عايز اشوفه الأول قبل ما ينزل المطبعة.. أو Online.. معلش بلاش مناقشة في الموضوع ده بالذات.

غادرت مكتبه وكانت في مُنتهى السعادة لسماحه لها بتولّي الموضوع، ونزوله في الصفحة الأولى.

obeikan.com

١١

ليل الخميس ١٢ ديسمبر سنة ٢٠١٣

يتذكر عصام وهو يقود سيارته عائداً لمنزله، جلساته الطويلة مع عمه التي كان يشاركه فيها بأخبار قضية «سفاح الأرقام»، ويناقشه، ويطلب رأيه. تذكر أول مرة قال لعمه إنه يكاد يؤيد هذا القاتل في بعض جرائمه، وتذكر ثورة الغضب التي ثارها عمه عليه، كانت كلمات عمه تدوي في رأسه:

-لو فعلاً شايف أن من حق أي مريض نفسي يقتل، لمُجرد إنه بيقتل مُجرمين، يبقى انت اخترت الطريق الغلط، والمفروض تطلع مُحامي، علشان تساعد المُجرم ده لما نقبض عليه وترجّعه الشارع يقتل تاني.

-ياعمو انا ماقصدتش أنهو صح، انا قصدت أن فيه ناس من دول يستاهلوا يتقتلوا.

-محدش يستاهل يتقتل يا عصام، انت هتكون ظابط

obeikan.com

مباحث، مش قاضي، اللي يستاهلوه فعلاً هو القبض عليهم وتقديمهم للمُحاكمة، القاضي هو اللي يقول يستاهلوا يتقتلوا أو لأ. افتكر كلامي كويس يا عصام، اللحظةاللي هتبتدي تكره فيها المُشتبه فيه، هيا اللحظةاللي هتتحول فيها من ظابط مباحث، لجلّاد، بيسخّر القانون علشان ينتقم من الناس. هتبتدي بإجبار المتهم على الاعتراف، وهتنتهي بتلبيس ناس بريئة قضايا مش عارف تحلّها. افتكر كلامي ده كويس لو بتخاف من ربنا.

أفاق من ذكرياته عندما قالت زوجته:

-كان لازم يعني تفتح سيرة الكلام في السياسة قصاد ريم وانت عارف إنها مجنونة ودماغها طاقّة؟

نظر لها و قال بسُخرية:

-مجنون مين ده اللي يفتح سيرة السياسة قصاد اختك؟؟ هي اللي فتحتها طبعاً.

-وانت استفزيتها يا عصام.. انت عارف هي أد أيه مُتعصِّبة لرأيها.. كان لازم تخرّجها عن شعورها كده؟؟

ثم ضحكت كطفل انتهى لتوّه من تنفيذ مقلب في زميل لا يطيقه، وقالت:

-بصراحة.. كنت هموت من الضحك لما علّت صوتها وقالت «هتفضلوا طول عُمركم عصاية في أيديهم.. انت عصاية يا عصام»قالتها بشكل مسرحي مُقلِدة اختها.

ضحك عصام، وقال:
-وبتقولي عليّ انا اللي شرير؟؟ دانتي شمتانة في اختك.. على فكرة.. تقريباً كل اللي كانوا في العيد ميلاد بيقولوا عليها مجنونة.. دي لَسعِت خالص يا عيني.
-بس انت بالراحة عليها بعد كده.. هي بتحبك والله.. وانا عارفة إنك بتحبها.. وإلا ماكنتش كل مرة تتخانق معاك وترجعوا تتصالحوا.
-يا حبيبتي انا كنت واقف مع ابوكي والدكتور حازم صاحبه.. وهي اللي فجأة لقيتها جاية تسألني عن احتمالية أن تكون الداخلية هي اللي بتفجر مقرّاتها.. لا بس بنت حلال.. قالتلي قول وانا مش هجيب سيرة. قالها وضحك بصوّت عالي.
قالت رضوى وهي تضع يدها على فمّها:
-ششششش هتصحّي البنت.
ونظرت للمقعد الخلفي لتتأكد من أن مَلَك مازالت نائمة. ثم اعتدلت لعصام وقالت:
-مش بقولك لَسعِت؟؟ طب وانت قولتلها أيه؟؟
-قولتلها طبعاً احنا اللي بنعمل كده.. زي ما حرقنا عربياتنا.. وقتلنا ظُباطنا.. وحرقنا الأقسام.. واقتحمنا السجون.. وهرّبنا الإخوان.. وانتخبناهم.. أصلاً خُرم الأوزون الداخلية هي اللي خرمته.
ضحكت رضوى رغماً عنها بصوت عالي، وقالت وهي تخفض صوتها وتنظر لمَلَك النائمة في المقعد الخلفي:

-طب ما طبعاً كانت لازم تتجن عليك.. انت مُشكلة.

أوقف عصام سيارته أمام مدخل العمارة التي يسكن بها، وقال لزوجته:
-حبيبتي انا هتمشى شوية.. استني اطلّع معاكي البنت.
-انا عارفة.. عندك قضية كبيرة.. يبقى لازم تسهر على النيل.. هتكلم شريف؟
-من ساعة ما ساب الداخلية.. مش عارف اتلمّ عليه.
-خلاص روح انت.. هي هتصحى.. ماتنزلش.. يالا يا مَلَك. ثم نظرت له وهي تغلق باب السيارة:
-ياريت متتأخرش.

تحرك عصام بسيارته في اتجاه وسط البلد، أخرج هاتفه المحمول واتصل بصديق عمره، شريف ناجي، الذي طالما اعتقد زملائهم إنهما توأم بسبب تشابه إسم الأب، وبسبب قُربُهم الشديد من بعضهما، برغم اختلاف شخصياتهما تماماً، إلا أن صداقتهما تمكنت من بناء جسر بينهما، يصعُب هدمه. انتظر حتى توقف الهاتف عن الرنين، مُعلناً عدم رد شريف، فألقى الهاتف بجواره. ثم فتح درج السيارة وأخرج منه شال صغير لفّه حول رقبته، وقفاز لتدفئة يداه، وفتح زجاج السيارة برغم البرودة القارصة. وصل لميدان عبد المنعم رياض، ترك سيارته في ساحة انتظار تحت الكوبري، ونزل

منها والشال يخفي نصف ملامحه، يحمل في يده كوب من النوع الذي يحتفظ بحرارة ما بداخله. تحرك سيراً في اتجاه النيل، يسير بخطوات بطيئة، منكمش على نفسه من البرد، تتحرك عيناه يميناً ويساراً، يتابع حركة السهَارى في الشوارع. منهم من أجبرته ظروف عمله على التواجد في الشارع للآن رغماً عنه، وهؤلاء يراهم يُسرِعون الخُطى وينظرون أمامهم، لا يحاولون الاستمتاع بالشوارع التي تكاد ألا تستطيع أن ترى الأسفلت بها أثناء النهار بسبب الزحام. ويرى السهارى بإختيارهم، مثله، معظمهم صغير السن والعقل، وشبه معدوم الوعي، قليل منهم يسير ببطء مثله، يستمتع بما لا يمكن حتى مُجرد رؤيته أثناء النهار. يصل عصام عند السور الأسود ويسير يساراً ناحية كوبري قصر النيل، يحمل النسيم البارد له رائحة حُمص الشام الدافئ.

يقف قُرب (فرشة) شاي، ينطلق من خلفها صوت محمد مُنير بأُغنية «شئ من بعيد». يلمحه رجل في مثل سنه يقف خلف (الفرشة) فيبتسم، قصير القامة، مُمتلئ قليلاً، يقف خلف السور الأسود -الذي يمتد في تلك المنطقة على جانبي النيل- ظهره للنيل ووجهه للسور والشارع، أمامه مائدة مُغطاه بأكواب زُجاجية من نفس الحجم، لا يمكنك معرفة عددها من كثرتها، ومن الدُخان المتصاعد منها، ومن البراد الكبير، الذي لا يتوقف شمس عن صبّ الشاي منه

بهـا، فكلـما يأخـد مُسـاعده بعضـاً منهـا للزبائـن، ويضـع الأكـواب الفارغـة عـلى المائـدة جانبـاً داخـل بعضهـا البعـض، يقـوم شـمس بآليـة، بإفـراغ مـا تبقـى داخلهـا مـن شـاي عـلى الأرض تحتـه، ثـم غسـلها سريعـاً بمـاء نظيـف مـن برميـل كبـير بجـواره، ثـم رصّهـا بجـوار باقـي الأكـواب، وتزويدهـا بالشـاي والسـكر، ويلتقـط الـبراد الكبـير، ويملأهـا بالمـاء المغـلي، لتبـدأ العمليـة كلهـا مـن جديـد، يبتسـم لـه عصـام، ويقـول:

-ازيّك يا شمس؟

-تمام يا عصام بيه الحمد لله.. وانت؟؟

نظر له بلوم:

-ماقولنـا بـلاش بيـه دي هنـا. قالهـا وهـو يفتـح غطـاء الكـوب ويناولـه إيّـاه. ثـم أكمـل:

-الشغل كربس وعايز افصل.

وضـع شـمس بعـض الشـاي والسـكر ثـم صَـبّ المـاء المغـلي في الكـوب وهـو يقـول:

-وفين شريف بيه صاحبك؟؟

-مش فاضي ياعم.. من ساعة ما ساب الداخلية وهو مشغول.

-معقول؟؟ ساب الداخلية؟؟

-شُفت؟؟ شغال مدير أمن في شركات راجل أعمال كبير.

قال شمس باسماً وهو يُعيد الكوب لعصام:

-عُقبالك.

-لا ياعـم.. الشـغلانة دي كانـت معروضـة عـليّ.. وانـا مارضيتـش..

وهـو لما عـرف.. شَـبَط.. البلـد محتاجـة كل واحـد فينـا النهـاردة.. وبعديـن انـا طـول عمـري كنـت عايـز اكـون كـده.. فَقَـري بعيـد عنـك.. شـوية وجـاي.
ثم دار ليُكمل سيره ناحية قصر النيل.
قال شمس:
-هتلِف طبعاً على الكوبري زي كل مرة وترجع.

هـزّ عصـام رأسـه مؤكـداً عـلى كلامـه وهـو يبتسـم، ثـم دار وتوجه ناحيـه كوبـري قـصر النيـل وهـو يغلـق غطـاء الكـوب. وصـل لمكانـه المُفضـل، في منتصـف الكوبـري تمامـاً، أخـرج سـمّاعات هاتفـه المحمـول، ووضعهـا في أُذنيـه، ولمس زر التشـغيل لينطلـق صـوت موسـيقى بصـوت يـكاد يكفـي لمنـع صـوت الأغـاني المُزعجـة التـي تدخُـل أذنـه قـصراً، قادمـة مـن المراكـب التـي تنشـط ليـلاً فـوق النيـل. فمُنـذ ظهـور تلـك النوعيـة مـن الأغـاني وهـو يكرههـا ويكـره مـن يُغنيهـا ومـن يسـمعها بصـوت عـالي، ليـس لإختـلاف ذوقـه عنهـم، ولكـن لأنهـم اقتحمـوا عليـه مكانـه، الـذي اعتـاد أن يسـتمتع فيـه بهـدوء وبـرد الشـتاء، بعيـداً عـن ضوضـاء النهـار، وموتـاه الأحيـاء.

يُشـعل سـيجارته بصعوبـة بسـبب قُفـازه الـذي يقيـه مـن الـبرد، ويسـند مرفقيـه عـلى سـور الكوبـري، ويغـرق في تفكـير عميـق في القضيـة التـي لم تكـن في حُسـبانه بتاتـاً، يسـترجع كل تفاصيـل

القضيـة كعادتـه، ومحادثـة نفسـه كـما علّمـه عمـه، الـذي تعـوّد أن يسـأل نفسـه بصـوت مسـموع عـن القضيـة ويُجيـب، لأن سـماع السـؤال يجعـل العقـل في حالـة انتبـاه، عـلى عكـس التفكير الصامـت، الـذي يسـمح للعقـل أن يـسرح احيانـاً، كـما علّمـه عمّـه، ولذلـك اسـتعان بـه كثـيراً عندمـا كان يـزوره في منزلـه، ليتحـدث معـه حـول القضيـة. لم ينـسى عصـام إنـه سـاعد عمـه بحـواره معـه، عـلى حـل لُغـز الأرقـام، التـي كان يكتبهـا القاتـل عـلى جبهـات ضحايـاه. وتذكـر يومهـا كيـف كان في قمـة الفخـر عندمـا تنبـأ لـه عمّـه أن يُصبـح ضابـط مباحـث عبقـري. ولكنـه لم يتوقـع أبـداً أن يـأتي عليـه اليـوم ليكـون مُطالـب بتحقيـق مـا عجـز عنـه عمـه شـخصياً. ابتسـم عندمـا تذكـر تلـك الليلـة، وشـعوره يومهـا، وحماسـته.

غـادر عصـام مكانـه مُتجهـاً للفرشـة مـرة أخـرى، وصـوت محمـد مُنـير في أذنيـه:

بالظبط الشعر اللي بحبه.. الطول واللون والحرية..

ده مهفهف على وشك لعبه.. اوصف لك أيه يُغم عليّ..

مش عايز احبك مش عايز.. مش داخل سجنك مش جايز..

اسـتوقفه مشـهد غريـب عليـه، مـع أنـه دائـم الحضـور لتلـك البقعـة ولكنـه لم يصادفـه مـن قبـل. رجـل عجـوز يبـدو عليـه الفقـر ولكنـه نظيـف الملبـس، يتكِـئ عـلى عصـاه التـي تبـدو

وأنها لـن تحتمـل ثُقلـه كثـيراً، يسـير وحيـداً ببـطء عـلى رصيـف الكوبـري قادمـاً مـن ناحيـة ميـدان التحريـر. كان الرجـل يتحـدث بصـوت واضـح دون توجيـه الـكلام لشـخص بعينـه. نـزع عصـام السـمّاعة اليمنـى واقـترب مـن الرجـل بفضـول ليسـمع مـا يقـول. سـمع صوتـاً قويـاً ملـئ بالعِـزة لا يتناسـب مـع هيئتـه الفقـيرة، وظهـره المحنـي، يقـول:

ولا حد هَمّه غيره حاله أيه..
كله يهمّه هوّ هيهبش أيه..
سفينة معيوبة وليها ١٠٠ قبطان..
عايزينها توصل بالسلامة بأمارة أيه؟؟

أعجـب الـكلام عصـام فاقـترب مـن العجـوز، وسـار خلفـه ببـطء عـلى بُعـد ذراع منـه ليسـمع كلامـه مُجـدداً. ولكـن العجـوز لم يُكَـرر كلامـه، ولكنـه قـال بنفـس الصـوت ولكـن مـع لمسـة حُـزن ملحوظـة:

ولا ربنا غفلان ولا حكمته غايبة..
لكل حاجة أوان الدنيا مش سايبة..
اعمل لربّك وانسى الدنيا زايلة معاك..
واللي متبّت فيها ماسك حبال دايبة.

توقـف الرجـل فجـأة حتـى كاد عصـام أن يصطـدم بـه وتوجـه الرجـل لسـور الكوبـري ووقـف في نفـس المـكان الـذي كان يقـف

obeikan.com

فيـه عصـام تقريبـاً ينظـُر للنيـل. وقـف عصـام عـلى بعـد خطوات منـه، ونظـر لملامحـه الطيّبـة، فلمـح نظـرة أسى وكأنـه يقـف في عـزاء أعـزّ النـاس إلى قلبـه.

بعـد دقائـق مـن الصمـت، غـادر عصـام مكانـه وعـاد في اتجـاه الفرشـة التـي قابـل فيهـا شـمس. مـا أن لمحـه شـمس قادمـاً نحـوه مـن ناحيـة كوبـري قـصر النيـل، حتـى مسـح يـده بفوطـة، وذهـب لجهـاز تشـغيل الأغـاني الموصّـل بسـماعات كبـيرة، واختـار أغنيـة «عنيـكي تحـت القمر»التـي يطلُبهـا عصـام دائمـاً كلـما يـأتي هنـا. ابتسـم عصـام وهـو يسـمع صـوت محمـد مُنـير بمُجـرد أن خلـع سـمّاعات هاتفـه وهـو يقـترب:

عنيكي تحت القمر.. كيف الكلام والخوف..
فيهم كلام للقدر.. متداري مش مكشوف..
بودّي ازرع شجرة.. شجرة حنان وضِل..
ترخي عليكي يا سمرة.. تلمّ شمل الكُل..

نظـر لشـمس وهـزّ لـه رأسـه شـاكراً، وقفـز فـوق السـور الأسـود برشـاقة، وجلـس عـلى أحـد الكـراسي المرصوصـة خلـف السـور في المسـاحة الضيّقـة بينـه وبـين المنحـدر المـؤدي لميـاة للنيـل. أطلـق تنهيـدة طويلـة وكأنـه يحـاول أن يُخـرج التوتـر والقلـق مـن داخلـه مـع هـواء صـدره الدافـئ، الـذي تحـوّل لدُخـان أبيـض بفعـل الـبرد. ينظـُر للنيـل وكأنـه يبحـث فيـه عـن إجابات للأسـئلة

التـي تؤرِقـه. هـل سـيتمكن مـن القبـض عـلى السـفاح وفِعـل مـا عجـز عنـه عمـه؟ لمـاذا توقـف السـفاح عـن القتـل؟ ولمـاذا عـاد؟ ومـن أيـن يبـدأ؟

الكون اصُرّه بحاله.. واجيبوه ليكي يا غالية..

ده انتي جماله ودلاله.. يا نخلة بكرية عالية..

سـند رأسـه عـلى السـور خلفـه ونظُـر للسـماء، كأنـه يطالبهـا بمـا بَخَـل بـه النيـل مـن إجابـات. أغمـض عينـه وتـرك نفسـه لـبرودة الهـواء التـي يعشـقها، والهـواء النقـي، وصـوت مُنـير.

مفيش كسوف في المحبة.. ولا للمحبة شروط..

عمرك ما تشعر بغُربة.. إلا في حنين مكبوت..

وانتي يا سامعه وشايفة.. أحلامي فوق الوصف..

من غير ما اقول انتي عارفة.. فاهمة اللي فيه بالحرف..

obeikan.com

obeikan.com

١٢

صباح الجمعة ١٣ ديسمبر سنة ٢٠١٣

يخرج حسن الشريف من العمارة التي يسكُن بها، تخطى الخامسة والثلاثين ولكنه يبدو أصغر سِناً، يرتدي بنطلون من الچينز الأزرق الباهت، وتي شيرت أبيض، وسترة جلدية تبدو غالية الثمن. جسده رياضي قوي، ملامحه بشوشة، برغم الحزن الواضح عليها. العمارة لها باب كبير من الحديد، مفتوح على مصراعيه، ويبدو أنه لا يُغلق أبداً. خارج الباب، ممر واسع مرصوف ببلاط أحمر باهت، تبدو فيه تشقُّقات كتجاعيد الشيخوخة، يمر بين حديقتين صغيرتين، في نهايته بوابة صغيرة وسط سور خرساني، يحيط بالعمارة، بطول متر واحد.

وقف حسن أمام كنبة خشبية تجلس عليها راضية، زوجة بواب العمارة، التي ورثت بوابة العمارة عن والدها الذي

obeikan.com

تـوفى منـذ سـبعة سـنوات، تتحـدث مـع أمـل مثيلتهـا في العـمارة المجـاورة. يبتسـم ويقـول بـوِدّ:

-صباح الخير يا راضية.

تقـوم راضيـة وتحمـل الجرائـد التـي تشـتريها خصيصاً لـه يومياً، وتناولهـا لـه:

-صباح الخير يا بشمهندس.

-الولاد في المدرسة؟

-يـوووه يـا سـعادة البيـه.. مـا خـلاص.. كانـت وزّة شـيطان وراحـت لحالهـا.. واللـه ماحـد منهـم هيقعـد مـن المدرسـة تـاني.. اللهـي يعمـر بيتـك يـارب ويكـرم أصلـك.. لـولا دفعـت مصاريـف المدرسـة كانـت راحـت عليهـم السـنة.

-خلي بالك منهم يا راضية.. يالا.. السلام عليكم.

وتحـرك سـيراً في اتجـاه النـادي الـذي يقـضي فيـه النهـار كلـه تقريبـاً بشـكل يومـي.

جلست راضية وهي تنظر له بامتنان، وتقول لأمل:

-الراجل ده جواه خير.. يكفي مصر بحالها.. ربنا يبارك له.

-مش ده يابت يا راضية اللي السفاح قتل مراته؟؟

كسى الحُزن ملامح راضية، وقالت:

-هـو يـا حبّـة عينـي.. الراجـل اختـه ماتـت في حادثـة.. وبعدهـا مراتـه جالهـا المـرض الوحـش عشـان اختـه كانـت زي بنتهـا.. وماسـابتش عيّـل يواسـيه.. ومـن سـاعتها عايـش لوحـده.. قتلهـا

السـفاح اللـه يحرقـه مطـرح ماهـو مرمـي.. ماسـتناش أجلهـا ييجـي لوحـده ربـك رحمهـا مـن العـذاب.. زي أول امبـارح كانـت السـنوية بتاعتهـا.. اليـوم الوحيـد الـلي مابينزلـش فيـه مـن البيت.

-بيقولـوا أنـه بيـدوّر عـلى الـلي قتـل مراتـه مـن سـاعتها.. سـاب بيتـه الـلي كان فيـه وجـه هنـا وقعـد مـن الشـغل وبيـدوّر عليـه.

شهقت راضية في استنكار:

-الراجـل في حالـه.. كل يـوم مـن النـادي للبيـت ومـن البيـت للنـادي.. حتـى عربيتـه مـش بتتعتـع مـن مكانهـا غـير كل فـين وفـين.. هـما بـس ولاد الحـرام الـلي لسـانهم مابيسـكتش.. قومـي يابـت شـوفي الـلي وراكي.. وانـا هدخـل عشـان ورايـا هـمّ مـا يتلمّ.

وصـل حسـن للنـادي القريـب مـن منزلـه، مسـافة ربـع سـاعة سـيراً، يقطعهـا كل يـوم بنشـاط منـذ تـرك عملـه. يجلـس في مكانه المُفضـل، وهـو حديقـة النـادي التـي تطـل عـلى ملاعـب التنـس. حيـث تعـرّف أول مـرة عـلى زوجتـه ناديـة يـوم ٢١ مـن يوليـو سـنة ١٩٩٦ وحيـث كان يجلـس في أيـام الأجـازة معهـا، قبـل مقتلهـا عـلى يـد سـفاح الأرقـام منـذ ثمان سـنوات.

بعـد مقتـل أختـه الوحيـدة، التـي كانـت بمثابـة أبنتـه -حيـث لم يُـرزق بأطفـال- سـنة ٢٠٠٣ في حادثـة سـير، ومقتـل زوجتـه عـلى يـد القاتـل المُلقـب بسـفاح الأرقـام سـنة ٢٠٠٥. تـرك عملـه، وبـاع شـقته التـي شـهدت أسـوء ذكرياتـه، وعـاد لأول شـقة سـكنها مـع

زوجته.
جاء النادل «عم عِفت»بالقهوة مباشرة، لعِلمه بطلب «حسن بيه»كما يناديه. شكره حسن باسماً وبدأ يقرأ الجرائد في روتين يومي لا يتغيّر إلا نادراً.

كعادته، يبدأ بقراءة مقال مجدي كارم اليومي في جريدة الملامح المصرية، ولكنه اليوم بمجرد أن وقعت عينه على المانشيت الرئيس أعلى الصفحة الأولى، اهتز كيانه كله، وكأن صاعقة أصابته. تسارعت أنفاسه وهو يقرأ المانشت مراراً ليتأكد مما يراه، وبعد التأكُد من أنه لا يتخيّل، بدأ يقرأ الموضوع:

«عودة سفاح الأرقام بعد اختفاء ثمان سنوات»
تحقيق بقلم: غادة عثمان

بعد حل لُغز مقتل الفتاة د. م. التي عُثر على جُثتها يوم الإثنين الماضي، عاد لُغز قديم مُجدداً للظهور. حيث عثرت قوة مباحث قسم حدائق القبة، وعلى رأسها الرائد عصام ناجي، على جُثة قاتل الفتاة، عندما توجهت لمنزله للقبض عليه. فيحادثة شهدت عودة «سفاح الأرقام» لممارسة هواية القتل بعد ثمانية عاماً من الاختفاء غير المُبرر. حيث تخلّص من قاتل الضحية الأولى، بنفس طريقته المُعتادة في القتل.

obeikan.com

التفاصيـل في الصفحـة ١٢.

انتقـل للصفحـة ١٢ لمتابعـة القـراءة، ولكنـه بمجـرد رؤيتـه لصـورة جثـة تذاكـر، بالقطـع الواضـح عـلى جبهتـه، الـذي يكتـب الرقـم (١١٢) منعكِسـاً، أغلـق الجريـدة، وتـرك حسـاب القهـوة تحـت فنجانهـا الـذي لم يلمسـه، وقـام مُسرعـاً وكأنـه لاعـب في غرفـة خلـع الملابـس استـدعاه مدربـه فجـأة لإجـراء تغيـير اضطـراري لم يكـن في الحسـبان.

فتـح حسـن بـاب شـقته، واتجـه مُسرعـاً لغرفـة النـوم الصغـيرة غـير المُسـتعملة. تلـك الغُرفـة التـي لم يدخُلهـا غـيره منـذ أن عـاد ليسـكن تلـك الشـقة، المُغلقـة دومـاً بالمُفتـاح. ولا يسـمح حتـى لراضيـة التـي تقـوم إسـبوعياً بتنظيـف الشـقة كلهـا أن تدخُلهـا، تحـت ادعـاء أنهـا مليئـة بالكراكيـب وغـير مُسـتخدمة. ويقـوم هـو شـخصياً بتنظيفهـا. يضـئ النـور، تظهـر إضائـة قويـة ولكـن كلهـا موجّهـة ناحيـة الحائـط يسـار الداخـل مـن البـاب، حيـث مـلاءة كبـيرة تُغطـي مُعظـم الحائـط، خطـى نحوهـا ورفـع المـلاءة بحـذر. ظهـرت لوحـة كتابـة كبـيرة لونهـا أبيـض، كالتـي تُسـتخدم في المـدارس، مُقسّـمة بالطـول بقلـم أسـود، لثمانيـة أجـزاء، مكتـوب في أعـلى كل عامـود رقـم، ثـم تحتهـا صـورة مُقطتعـة مـن الجريـدة لجُثـة، ثـم تحتهـا كُتبـت تفاصيـل كثـيرة عـن صاحـب الجثـة. كانـت كل الصـور تحمـل نفـس القطـع الواضـح عـلى الجبهـة،

وإن اختلفت الأرقام المكتوبة بالمقلوب، وكان الرقم المكتوب في أعلى كل عامود، هو نفس الرقم المنقوش انعكاسه على رأس الضحية في الصورة المُلصقة تحته.

فرد جريدة الملامح المصرية، وذهب لركن الغرفة المقابل للسبورة، حيث مكتب صغير به دُرج واحد، وضع الجريدة على المكتب، فتح الدرج وأخرج منه مقص، وبدأ في قص تحقيق غادة عن جريمة مقتل تذاكر، ثم التقط قلم أسود من الدرج، وذهب للسبورة وكتب على يسار أخر جريمة ارتكبها السفاح، (١١٢) ثم لصق تحتها الصور المُرفقة بالتحقيق، ثم التحقيق نفسه. نظر للتحقيق في صمت غاضِب عِدة دقائق، ثم كتب بالقلم تحته:

غادة عثمان؟؟

عصام ناجي؟؟

مجدي عبد الشكور او«تذاكر»؟؟

د. م ؟!

ثم رجع للوراء خطوة واحدة ووقف مكانه، لا يتحرك كالتمثال، يتأمل اللوحة وملامحه تنطِق بالغضب.

obeikan.com

١٣

الخميس ١٣ أبريل سنة ٢٠٠٥

مقالة بعنوان: «المدعو إهمال يقتل أولادنا»
بقلم: مجدي كارم

لن تعرف ابداً من المسئول عن قتل الطفل مازن السمري تحت عجلات القطار، مهما تحرّيت أو بحثت في الأمر. ببساطة لأن الحقيقة غائبة، والمُتهمين هم الشهود، والبصير وسطهم اعمى.

لن تعرف أبداً مدى صدق عامل المزلقان، الذى ادّعى أن وسيلة اتصاله الوحيدة لا تعمل منذ فترة. أو إن كان قد قدّم شكوى بالفعل كما قال إنه فعلاً مل. ولن تعلم لماذا لم يُنظر لهذه الشكوى -الذي قيل إنها لم تصِل للهيئة- بعين

obeikan.com

الاعتبـار. ولـن تعـرف إذا كانـت وسـيلة اتصالـه لا تعمـل منـذ فـترة كـما يدّعـي، فكيـف لا تحـدث تلـك المأسـاة يوميـاً.

أيـن الحقيقـة؟ لـن تصل مهـما بحثـت غـير لحقيقـة واحـدة، لأن كل مـا نعرفـه يقينـاً، هـو أن الطفـل مـازن السـمري قُتِـل تحـت عجـلات قِطـار وهـو يعـبر المزلقـان المجـاور لمنزلـه، منـذ يومـين. ولكـن كل شـئ آخـر سـتجد مـن يؤكـده، وأخـر ينفيـه. ولـو اسـتطاعوا، لأنكـروا وجـود طفـل بهـذا الاسـم في كشـوف الأحيـاء مـن الأسـاس.

لـن أتسـائل عـما كان سـيحدث لـو كان مـازن هـو إبـن سـيادة وزيـر النقـل، لأن الطبيعـي ألا يحتـاج إبـن سـيادة الوزيـر لعبـور مزلقـان المـوت هـذا سـيراً طـوال حياتـه، أو إن كان يعلـم معنـى كلمـة مزلقـان. ولكـن سأسـل سـؤالاً أعتقـده مـن حقـي: إلى متـى سـينجو الفاعـل بفعلتـه لعـدم وجـود رقابـة؟ إلى متـى سـننتظر حتـى يتحقـق الحـد الأدنى مـن الرقابـة؟

أرجوكـم، نحـن لانطلـب أكـثر مـن القصـاص العـادل مـن المدعو«إهـمال». إن لم يكـن قريـب أحـد كِبـار المسـئولين في الدولـة بالطبـع.

الثُلاثاء ١٨ إبريل سنة ٢٠٠٥

خبر في نفس الجريدة:

الإفراج عن سيد شعيب السيد عامل المزلقان.

obeikan.com

obeikan.com

١٤

ليل الجمعة ١٣ ديسمبر ٢٠١٣

يخرج شريف ناجي من الحمام المُلحق بغُرفة نومه، يلف النصف الأسفل من جسده الرياضي القوي بمشفة كبيرة، يقف أمام المرآة، وينظُر لنفسه بإعجاب شديد، وكأنه يرى نفسه لأول مرة. يعيش شريف في شقته الجديدة، التي تبدو عليها مظاهر الثراء، والعزوبية، والتي اشتراها ليعيش فيها بمفرده، بعد استقالته من الداخلية، وعمله كمسئول أمني في مجموعة شركات كُبرى مِلك رجل الأعمال الدكتور حازم البدري.

تخرج ميار من الحمام بعده بدقائق، تلف جسدها الرشيق بمشفة بيضاء، زادت جسدها الخمري جمالاً وإثارة. أزاحته بدلال من أمام المرآة، وجلست أمامها. وبدأت تصفف

obeikan.com

شعرها الأصفر المصبوغ خُصلات منه بغير انتظام باللون البُني. رفعت عينها لتنظر لشريف الواقف خلفها، الذي كان قد بدأ يرتدي ملابسه، وقالت:

-انت مجرم يا شريف.. أيه يابني؟؟ انت ماشوفتش بنات قبل كده؟؟

نظر لها في ثقة، وقد أعجبه تعليقها، وقال:

-انتي لسة شوفتي حاجة؟؟ دانا لولا عايز اروح مشوار مهم.. كنت طبّقت معاكي للصبح.

ضحكت بدلال، وقالت:

-انا كنت مبسوطة.. بس مش هكدب عليك.. انت ناشف قوي.. واحدة واحدة بعد كده عشان احبك.

قال وهو يقفل أزرار قميصه:

-ومين اللي قالك أن هيبقى في بعد كده؟؟

توقفت عن تصفيف شعرها، ورفعت حاجبيها ونظرت له في المرآة بغضب، فقال باسماً:

-اتقلي يابت مش كده.

ثم اقترب منها، ومد يده والتقط زجاجة عطر من أمامها، وأغرق بها قميصه. قبّل ميار على جانب رقبتها وهو يُعيد زجاجة العطر، وقال هامساً:

-انا مش نازل من البيت بكرة.. تعالي نتغدى سوا.

ثم غمز لها بعينه في المرأة، فابتسمت في غنج. توجه لباب غرفة النوم، وقال قبل أن يخرج:

obeikan.com

-انـا نـازل.. براحتـك خالـص بـس اقفـلي البـاب وانتـي نازلـة.. سـلام.
-باي يا حبيبي.

خـرج شريـف مـن بـاب عمارتـه، التـي تقـع في شـارع مـن شـوارع مـصر الجديـدة العريقـة، وأخـرج هاتفـه المحمـول واتصـل بعصام صديـق عمره:
-أيـوة يـا صاصـا.. معلـش امبـارح كنـت غرقـان.. ماشـوفتش التليفـون غـير الصبـح.. المهـم انـا في الشـارع وعايـز اشـوفك.
-الدنيـا بـرد ياعـم ومـش قـادر انـزل.. وبعديـن انـت تغطـس وتطلـع فجـأة كـده وعايـزني جاهـز؟؟ انـسى.
-لا ماليـش فيـه.. لـو مانزلتـش هاجيلـك البيـت.. كلهـا نُـص وابقـى عنـدك.
-يابن المجنونة.. طب أجيلك فين؟؟
-لا لا انـا هجيلـك اخـدك وارجّعـك.. عايـز افرجـك عـلى العربيـة الجديـدة.
-يا سيدي يا سيدي.. ماشي ياعم المستشار الأمني.
-انـت شـكلك جـاي تقُـر؟؟ ماقولتلـك خـد انـت الشُـغلانة.. محـدش يرفُـس النعمـة.. عملتـلي فيهـا رأفـت الهجـان.
-غور يا زفت علشان الحق اجهز.. قال رأفت الهجان قال.
-خلاص اجهز على ماجيلك.. سلام.

خرج عصام من عمارته، ليجد شريف منتظراً خارجها بجوار سيارته، سلّم عليه بشوق، واحتضنه وقال:

-شهرين ياجزمة مش عارف اتلم عليك.. بس أيه ياض العربية دي؟؟ انت بتقبض كام يخربيتك؟؟

ضحك شريف وفتح لعصام باب السيارة، وقال:

-أمال لو شوفت الشقة الجديدة هتعمل أيه؟؟ اركب اركب.. دانا هندّمك على شبابك.

انطلق شريف بالسيارة، وقال:

-انا علاقتي حلوة جداً بالدكتور حازم صاحب حماك.. والراجل طلبت منه سُلفة اسددها من مُرتبي ماتأخرش.. قمت جايب شقة وعربية بالقسط تبع البنك بتاع حماك.. والضامن كان دكتور حازم شخصياً.. بس كل ده كوم.. والسكرتيرة بتاعتي كوم تاني يا صاصا.

ضحك عصام، وقال:

-وسكرتيرة كمان؟؟

-صاروووووخ.. اسمها ميار.. كانت بايتة معايا امبارح.. أصلاً قبل ماتكمّل شهر في الشغل كنت شاقطها.

خبط عصام كف على كف، وقال:

-يابني انت مفيش فايدة فيك؟؟ هتفضل كده لحد ماتلاقي نفسك عجّزت بطولك.. اتجوّز يابني علشان تلحق تشوف عيالك وانت بصحّتك.

-بقولك أيه؟؟ انت هتعمل فيها امي؟؟ انا مودي مظبوط

بلاش عكننة على المسا.. بس انت صورتك كانت منوّرة في الجرنان النهاردة.. أيه يابني اللي حصل ده؟؟
تنهد عصام، وقد تذكر المسئولية التي تحمّلها:
-شوفت يا عم؟؟ مين يصدق أن الراجل ده يرجع تاني؟؟
-حاجة فعلاً غريبة.. وكان فين بروح امه كل ده؟؟ محترف في برشلونة؟؟
ضحك عصام، وقال:
-بس مبروك ياض يا شريف.. شكلك مبسوط.. وده المهم.
-الله يبارك فيك يا صديقي.. بس تفتكر هتعرف تمسك الراجل ده يا صُصّ؟؟
-بيني وبينك.. الحكاية صعبة جداً.. وبعدين انت عارف القضية دي كويس.. موضوع أنه مالوش علاقة بالمقتولين ده يخليك بتدوّر عِمياني.. على أمل يغلط.. بس للأسف لازم يقتل تاني وتالت علشان يكون في أمل نمسكه.. إنما لو غطِس تاني.. هتبقى صعبة جداً.
قال شريف وهو يتوقف بالسيارة:
-بس انتوا استعجلتوا ليه كده ونزّلتوا الحكاية في الجرايد؟
-انا اللي كلّمت الجرنال.. الحكاية كده كده هتنزل.. الوضع مابقاش زي الأول.. ايام ماكنا نقول مفيش نشر يبقى مفيش نشر.. فمن مصلحتنا إننا اللي نسرّبها.. علشان نختار أيه اللي يتقال.. بدل ما المواقع تفتي.. وتبقى مش عارف تشتغل ولا تنفي الإشاعات.

obeikan.com

-طب يالا بينا. قالها شريف وفتح باب سيارته لينزل.
فقال عصام:
-إيه ده؟؟ رايح فين؟؟
-تعالى نقعد نشرب حاجة.. الكافية ده فشيخ.. كله ناس من دنيا تانية.
-لا ياعم.. تعالى نروح عند شمس.
قال شريف مُستنكراً:
-شمس مين يابو شمس؟؟ انزل بس شوف الكافية من جوّا.. القمر اللي شغالة جوّا هتنسيك الشمس والمجرّة كلها. قالها ونزل من السيارة.

ضحك عصام، ونزل ليلحق بصديقه. وما أن دخل عصام المكان، حتى شعر وكأنه داخل حلم جميل، وليس مكاناً حقيقياً في الواقع. المكان به إضائة خافتة كافية بالكاد لترى كل شئ، ولكن لا تعرف من أين تأتي تحديداً. موسيقى هادئة تملأ المكان بصوت بالكاد يكفي ليُغطي على أصوات روّاده، فلا يسمح لشخص أن يسمع ما يُقال على المائدة المُجاورة، ولكنه لا يجبر الشخص على رفع صوته ليُحدث من يشاركه المائدة.

قابلتهم فتاة جميلة بإبتسامة لا تقل سِحراً عن المكان، وقالت:
-مستر شريف.. نوّرت.. نفس المكان؟ ابتسم وأوما لها إيجاباً.

obeikan.com

نظرت لعصام، ومدّت يدها لتُسلم عليه، وقالت:

-حورية.. حضرتك أول مرة تشرفنا.

نظر لها متفحصاً، وارتبك عندما ابتسمت بسبب مُلاحظاتها لانبهاره، وقال مُرتبكاً:

-نعم؟؟ أيوة.. مظبوط أول مرة.

ابتسمت ومالت برأسها قليلاً لليمين، لتزيد من سحرها، وقالت بصوت تعمّدت أن تضع فيه كل سحرها:

-واتمنى ماتكونش الأخيرة. ثم دارت لتقودهم لمائدة شريف المُفضلة.

ما أن جلسا وطلب شريف بيرة، وعصام شاي بالنعناع، حتى سأله شريف:

-ها؟؟ أيه رأيك في المكان؟؟

-مريح لدرجة مستفزة.. حاسس كأني عايز انام.. مش ناقصه غير صوت منير.

-منير؟؟ قوم ياض اركب تاكسي وروح لشمس.. انت مكانك مش هنا.

ضحك عصام، وسأل:

-بس واضح إنك زبون هنا.

-أول ماستلمت الشغل.. اتلميت على واحد في الشركة علشان اعرف منه النظام.. هو اللي عرّفني المكان هنا.. ومكانين تانيين في وسط البلد والمعادي.. ومن ساعتها وانا باجي هنا على طول.. علشان قريب.. وارتحت هنا.. وبعدين

انـت تجيـب هنـا أي واحـدة تتثبـت.. خصوصاً لـو عرفـت إنـك معـروف هنـا.

-طمّني على شُغلك.. أيه أخبار الشغل الخاص؟ بتعمل أيه؟

اعتدل شريف وهو يلتقط كوب البيرة المُثلجة، وقال:

-أيه؟؟ بتفكر؟؟

-انسي.

-ده مكتبـي تتـوه فيـه.. اخـترت فرشـه بنفـسي.. مكتـب السـكرتيرة بتاعتـي أكـبر مـن مكتـب الوزيـر شـخصياً.. بشـتغل كل حاجـة ليهـا علاقـة بالأمـن.. بعـيّن الـBodyguards وبحُـط خطـط الحركة للأفـراد الـلي عليهـم حراسـة.. وبراجـع تأمـين المصانـع والمكاتـب والمستشـفيات.. بحـل المشـاكل الأمنيـة الـلي في المواقـع.. بعلاقـات شـوية.. بفلـوس شـوية.. يعنـي: حاجـة كـده زي رئيـس عصابـة.. بـس قانـوني وشـيك شـوية.

-يـا خسـارتك يـا شريـف في الخـاص.. انـت كنـت ظابـط مباحـث عبقـري.

-بـلا عبقـري بـلا قـرف.. ياعـم انـا ماكنتـش عايـش.. انـا أصـلاً ماكنتـش مرتـاح قبـل نكسـة ينايـر.. وماكنتـش لاقـي آكُل.. مـا بالـك بعدهـا؟؟ ولا لسـة مقتنـع أنهـا كانـت ثـورة وكـده؟؟

-بـلاش سـيرة الحكايـة دي.. كل واحـد يشـوفها زي ماهـو عايـز.. مـش طالبـة عكننـة.

-قولي انت عامل أيه؟ والقمر الصُغنن؟

-كله حلو الحمد لله.

-وصلتوا لحاجة في القضية؟

-خالص.. كل اللي في أيدينا أن داليا غالباً اتقتلت بدافع سرقة أو محاولة اغتصاب فاشلة.. والسفاح قتله قبل مانوصلّه.. والتاريخ اللي على دماغه مش موصلّنا لحاجة.

اعتدل شريف وسأل:

-وانت عرفت منين اللي قتل داليا؟؟

-وقعت منه سجايره في شقتها تقريباً وهي بتقاومه.. عليها بصماته.. ولقيت تليفونها في شقته لما لقيناه.

-وانت ناوي تبدأ منين في حكاية السفاح ديه؟؟

تنهّد عصام تنهيدة تنُم عن حِمل ثقيل، وقال:

-بكرة عندي اجتماع انا وفريق البحث في المديرية.. هنشوف هيحصل أيه.. لسة مش عارف افكر أو احدد خطة عمل.

وضع شريف يده على كتف صديقه، وقال:

-انا موجود في أي وقت يا عصام.. لو محتاج تفكر بصوت عالي زي ما عمك الله يرحمه علّمنا.. انا الفترة دي مسحول صحيح.. لكن هتصرف وألاقي وقت.. كلّمني لو محتاج حاجة.

ابتسم عصام وهو ينهي مشروبه، ثم قال:

-هو ده العشم يا شريف.. أكيد مش هكلم غيرك.. وانا ليّ صحاب غيرك ياض؟؟

-صحيح هو مش عيد ميلاد مَلَك الشهر ده؟؟

-كويس إنك لسة فاكر.. لازم تيجي.. يوم ٢٦.

-تمـام.. لمـا تعـرف البنوتـة محتاجـة تشـتري أيـه.. غششـني عشـان مـش بعـرف اشـتري هدايا.

-حاضر.. يالا بقى علشان الوقت اتأخر.

-يالا بينا.

obeikan.com

١٥

صباح السبت ١٤ ديسمبر ٢٠١٣

في تمام العاشرة إلا ربع صباحاً، كان الرائد عصام ومعاونيه أمام مدير مكتب اللواء أشرف عتمان، رئيس مباحث المديرية، الذي رحّب بهم، وطلب منهم الإنتظار دقائق حتى ينضمّ لهم الرائد هادي خلف، الذي طلب منه اللواء أشرف الانضمام لفريق الرائد عصام في تلك القضية. وبعد دقيقة من الرد على بعض الإستفسارات -التي غالباً كان هدفها مرور الدقيقة- وصل الرائد هادي. هو شاب حاد الملامح، بشوش بتحفُظ، اسمر البشرة، جسده ممتلئ قليلاً، وملامحه تنُم عن ذكاء واضح.

دخل فريق البحث مكتب اللواء أشرف، بعد سماح مُدير مكتبه لهم بالدخول. ترك اللواء أشرف جريدة الملامح المصرية من يده، وقام وصافح عصام بحفاوة واضحة، وقال:

obeikan.com

-ازيّك يا عصام؟؟ بقالي سنين ماشوفتكش.. من ساعة أخر مرة كنت عند عمك الله يرحمه.. ييجي من كام سنة.
-مظبوط يا سيادة اللواء.. ده كان من ٣ سنين تقريباً.
قال وهو يشير لمكتبه:
-القضية بتاعتك نزلت صفحة أولى.. العين هتكون عليكم.. ربنا يعينكم.
ونظر اللواء لفريق البحث، فبدأ عصام في تقديمهم:
-النقيب رامي.. النقيب هشام.. والرائد هادي لسة متعرف عليه حالاً.
دار اللواء أشرف حول مكتبه، وأشار لهم بالجلوس، وقال:
-مظبوط.. الرائد هادي يا عصام واحد من اللي سيرتهم سابقاهم.. وانا لما سمعت أن قضية عمك الله يرحمه اتفتحت تاني.. هو أول حد جه في بالي يساعدك.. انا اللي طلبته بالاسم.
قال هادي بابتسامة:
-يا فندم دي ثقة يارب اكون استحقها.
ابتسم له اللواء وقال:
-انا متأكد من كده. ثم نظر لعصام وقال:
-ها يا عصام.. أيه الحكاية؟
اعتدل عصام في جلسته، وقال بجدّية:
-الإثنين بالليل يافندم.. لقينا جثة بنت من المنصورة مقتولة في شقتها في القاهرة.

obeikan.com

ثـم مـدّ يـده لرامـي الـذي ناولـه ملـف، ناولـه بـدوره للـواء أشرف، وأكمـل:

-ده تقريـر فريـق البحـث عـن القضيـة دي يافنـدم.. القضيـة تقريبـاً كانـت محلولـة.. لأننـا لقينـا علبـة سـجاير وقعـت مـن القاتـل وهـو بيخنُقهـا غالبـاً.. روحنـا نجيبـه بعـد وصـول نتيجـة البصـمات اول امبـارح الخميـس.. لقينـاه مقتـول بقاله ٢٤ سـاعة.. بنفـس طريقـة السـفاح إيّـاه.. ومكتـوب عـلى راسـه انعـكاس تاريـخ قديـم.

ثـم التقـط ملـف أخـر مـن رامـي وسـلّمه للـواء أشرف، الـذي تنـاول منـه الملـف ووضعـه عـلى مكتبـه، وسـأل:

-أيه حكاية التاريخ ده؟؟

قال عصام:

-الحكايـة ابتـدت في أول سـنة ٢٠٠٥ لمـا ظهـر السـفاح الـلي قتـل ٩ أشـخاص.. كان بيخدّرهـم بمـادة مّخـدرة مـن بخاخـة مؤقتـاً.. ويربطهـم ويقطـع شرايينهـم.. وكان بيكتـب عـلى دمـاغ كل الـلي قتلهـم رقـم. وأشـار لجبهتـه، وأكمـل: -بـس كان بيكتبـه بالمعكـوس.. وكان دايمـاً بيكسر مرايـة في بيـت الضحيـة.. وعمـي اللـه يرحمـه الـلي حـل اللغـز ده.. لمـا اكتشـف أن الرقـم ده بيكـون معـدول لـلي مكتـوب عـلى راسـه الرقـم لـو شـاف نفسـه في مرايـة.. علشـان كـده كان بيكـسر مرايـة وياخـد منهـا حتـة يحُطهـا قصـاد عـين ضحيتـه علشـان يقـرا الرقـم.. كان فاضـل بـس لغـز الرقـم ده المقصـود بيـه أيـه.. لحـد ماكتشـف عمـي اللـه

يرحمه أن واحد من ضحاياه كان عامل مزلقان.. ولما اتقتل كان مكتوب على دماغه (١١٣). التقط ورقة وكتب عليها الرقم.

ثم أضاف:

-اللي لو قريت انعكاسها في المراية هتكون (٤١١). قلب الورقة ووخط على الرقم المكتوب على الصفحة العكسية.

وأكمل:

-ولو افترضنا إنه تاريخ هيكون (١١/٤) وفي نفس اليوم ده.. حصلت حادثة في المزلقان اللي كان شغال فيه المقتول.. قطر داس طفل.. وساعتها وضحت الصورة.. هو بيقتل ناس كنوع من العقاب.. وقبل قتلُهم بثواني بخليهم يشوفوا تاريخ الغلطة اللي بيعاقبهم عليها مكتوب على دماغهم.

وهنا تدخل هادي:

-وكل الضحايا اللي اتقتلوا كانوا مكتوبلهم تواريخ على راسهم؟؟

أجاب النقيب رامي وهو يفتح ملف كبير أمامه ويُخرج منه بعض الصور، يناولها لهادي:

-كلهم يا سيادة الرائد.. بس مش كلهم المباحث ساعتها قدرت توصل لسبب العقاب.. غالباً هو كان بيقتل أحياناً بدافع شخصي.. أو هو كان عنده معلومات ماقدرناش نوصلها ساعتها.. بس الأكيد.. من خلال تحقيقات الفريق اللي اشتغل القضية ساعتها.. ومن مُراجعتنا.. أنه مفيش حاجة

obeikan.com

تربطه بأي ضحية.. وده اللي يخلي مُهمة القبض عليه شبه مُستحيلة.

قال هادي وهو يُطالع الصور:

-مفيش حد مابيغلطش.. ولا مجرم مابيتمسكش في الآخر.. طالما بيقتل.. هيتمسك.

قال النقيب هشام:

-الخوف يا هادي بيه يرجع يغطس تاني.. انت لو تلاحظ هو فضل تقريباً كام سنة ولا حس ولا خبر.. موضوع إنه يرجع يقتل تاني ده مستمر؟ ولا جريمة فرداني؟ ده اللي محدش يعرفه.

قال اللواء أشرف:

-فعلاً غريبة موضوع إنه يختفي كام سنة ويرجع.. أيه؟؟ جاله عقد عمل في الخليج؟؟

أعاد هادي الصور لرامي، وقال:

-مش يمكن يافندم مش هو اللي قتل أول امبارح؟؟

قال اللواء وهو ينظُر لعصام:

-امم وارد طبعاً.. انت متأكد يا عصام أن هو القاتل؟

رد عصام وهو ينقل بصره بين اللواء وهادي:

-انا استبعدت الاحتمال ده.. ومتأكد إن هو ١٠٠٪ يافندم.. حضرتك عارف انا حافظ القضية دي.. انا تقريباً كنت عضو في فريق البحث ساعتها مع عمي الله يرحمه بشكل غير مباشر.. كنت حاضر معاه القضية خطوة بخطوة.. كنت دايماً

obeikan.com

بسـهر معـاه وهـو بيشـتغلها.. الجريمـة تمت نفـس التفاصيـل.. كل حاجـة.. والصـور تؤكـد كلامـي.. وكـمان حكايـة المرايـة مانزلتـش جرايـد سـاعتها.. علشـان كـده لا يمكـن يكـون حـد بيقلـده.. وإلا كان مـش هيبقـى عـارف المعلومـة دي.

قال هادي:

-إلا لو حد عارف كل تفاصيل القضية من وسيلة غير الجرايد.

قالهـا هـادي ونظـر لعصـام، الـذي ارتبـك لثانيـة سـاد فيهـا الصمـت عـلى المـكان، حتـى قطعـه اللـواء:

-والبنت اللي اتقتلت دي حكايتها أيه؟؟

قال رامي:

-اسـمها داليـا محمـود.. بتشـتغل سـكرتارية في مستشـفى «الكرامـة»في مـصر الجديـدة.. شـخصية عادية جـداً.. تقريـر الطـب الشرعـي بيقـول أن في دم تحـت ضوافرهـا مطرح مـا كانت بتقاومـه.. وانـا متأكـد إنـه هيطلـع دم مجـدي ده أو تذاكـر.. غالبـاً كانـت محاولـة اغتصـاب.. أو سرقـة.. لأنهـا مضروبـة جامـد.. ومالقينـاش أي فلـوس أو مجرهـرات في شـقتها ولا تليفونهـا حتـى.

قال اللواء:

-طب أيه يا عصام خطة الشغل من وجهة نظرك؟؟

قال عصام:

-انـا شـايف إننـا محتاجـين نقسّـم نفسـنا يافنـدم.. الجـزء الأصعب هيكـون مراجعـة القضايـا القديمـة.. والبحـث عـن أي حاجـة ممكـن تكـون فاتـت عـلى فريـق البحـث الـلي كان ماسـكهم.

ثم نظر لهادي وقال:
-وانا شايف ان دي شُغلانة محتاجة حد دماغه صاحية.. ولمّاح جداً عشان يمكن يلاقي حاجة فاتت على فريق البحث ساعتها.
تدخل هادي قبل أن يرُد اللواء:
-تمام يا عصام بيه.. انا هاخد الموضوع ده.
ولكنه لاحظ تدخُله غير اللائق، فقال بصوت مرتبك:
-بصراحة يا سيادة اللواء.. انا معنديش معلومات كفاية عن القضايا القديمة زي باقي فريق البحث.. يعني كده كده هراجع القضايا القديمة علشان احصّل.. فبالمرة امسك انا الحكاية دي.
هز اللواء أشرف رأسه متفهِّماً، ونظر لعصام، وقال:
-أيه رأيك يا عصام؟
قال عصام باقتناع:
-كلام منطقي.. يبقى هادي بيه يمسك القضايا القديمة ويفحصهم.. ويكون معاه النقيب هشام يساعده.. وانا همسك قضية تذاكر ومعايا النقيب رامي وخصوصاً إنها في منطقتي.. وممكن حد من المرشدين بتوعنا يكون شاف حاجة.. ويومياً هنجتمع وهبعت لسيادتك تقرير عن اللي بيحصل.
قام اللواء أشرف، وقال:
-على بركة الله.. ربنا يوفقكم.

obeikan.com

١٦

عصر السبت ١٤ ديسمبر سنة ٢٠١٣

كان كربونـة جالسـاً في غرفتـه الواقعـة تحـت سـلم بيـت قديـم في حدائـق القبـة. التـي عـادة تكـون مُخصصـة للبـواب، ولكـن في مثـل هـذه المناطـق، البـواب نفسـه يُعتـبر رفاهيـة غـير مُتـاح مُجـرد التفكـير فيهـا. الغرفـة تتكـون مـن غرفـة بهـا مرتبـة عـلى الأرض، بجوارهـا «سـبرتاية»لإعداد الشـاي والقهـوة، وتجهيـز الفحـم للجـوزة، الموجـودة بجوارهـا، وحـمام صغـير. يسـمع كربونـة صوتـاً قادمـاً مـن الحـمام، ينتفـض مفزوعـاً عندمـا يـرى صديـق عمـره تذاكـر قادمـاً نحـوّه مـن ناحيـة الحـمام، والدمـاء تسـيل مـن جبهتـه لتُغطـي كل وجهـه تقريبـاً. قبـل أن يسـتوعب كربونـة الموقـف قـال تذاكـر:

-كده يا صاحبي؟؟ تسيبهم يموّتوني يا صاحبي وتقف تتفرج؟؟

يقول كربونة بصوت مرتعش:

-انـا رقبتـي فـداك يـا تذاكـر.. انـت الـلي بيعتنـي يـا صاحبـي

obeikan.com

ولعبت مع الكبار.. من إمتى واحنا بنلعب مع الكبار يا تذاكر؟؟ مش كلامك ده؟؟ الحمار هو اللي يتعارك مع الكبار؟؟

-انت محاولتش تمسك فيّ يوم ماسيبتك ومشيت.. كنت زعلان على نفسك.. شُفت زعلك عمل فيّ أيه؟؟ احنا طول عمرنا بنلحق بعض.. مالحقتنيش ليه؟؟ مالحقتنيش ليه؟؟

وبدأ تذاكر في خبط رأسه في باب الحمام مُحدثاً صوت دقات عالية، وتاركاً بقعاً من الدماء على الباب. وهو يُكَرِر بصوت عميق وكأنه قادماً من بئر:

-مالحقتنيش ليه؟؟ مالحقتنيش ليه؟؟

مازال صوت الخبط يتردد في الغرفة، حتى أفاق كربونة من هلوسته على صوت دقات على باب الغرفة الخارجي وقد اختلطت بالهلوسة في مزيج مُربِك. فنظر مذهولاً ناحية الحمام فلم يجد أثراً لهلوسته، ولا أثار دماء صديقه على باب الحمام. فقعد في جلسته وأمسك رأسه بين يديه وكأنه يحاول أن يحتضن بقايا ذكريات صديقه التي تقبع في ذاكرته وتؤنبه. عادت الدقات على الباب بإصرار، فقام من مكانه وترنح حتى وصل للباب وفتحه. فوجد المهندس حسن الشريف أمامه يبتسم، ثم قال:

-السلام عليكم يا حمدي.

-وعليكم السلام ورحمة الله.. مين سعادتك؟؟

-انا كنت عايزك في كلمتين بخصوص صاحبك جمال.
نظر كربونة ناحية الحمام بتلقائية وكأنه يتأكد من عدم وجود تذاكر، أو وجوده، ولما لم يجده، عاد ونظر لحسن قائلاً:
-عايز أيه يا بيه؟؟
-طب مش هتقولي اتفضل؟؟ مش هنتكلم ع الباب كده.
مد كربونة يده خلف الباب وسحب سيف طويل مُتسخ وصدئ، لا يمكنك التمييز إن كان الإتساخ بسبب دماء من ضُربت به رؤوسهم، أم هو صدأ بسبب قِلة العناية به، ورجع خطوة للوراء ودق الباب بجانب السيف، وقال:
-بقولك أيه يابا.. شوف انت جاي منين بدال ما ماترجعش.
نظر حسن للسيف في لامُبالاه، وقال:
-انت شُفت مني أيه علشان كل ده؟؟
-مش محتاج اشوف.. تذاكر اتلم على اللي شبهك جابوا أجله.. أي حد من ناحيته في نظري هو اللي قتله.
ثم اقترب بحد السيف من كتف حسن ونغزه به في كتفه نغزة لا تكفي لقطع قميصه، ولكن كافية -من وجهة نظر كربونة- لقطع رابطة جأشه. ولكن حسن بقى لا مُبالياً بالسيف، وقال بوِد:
-لا اتلميت على تذاكر ولا اعرف اللي قتله.. بس عايز اعرفه.. وأظن انت كمان عايز تعرف اللي قتل صاحبك.
ظهر الخوف على صوت كربونة وهو يقول:
-انت مباحث يا باشا؟؟ طب ماتقو...

قاطعه حسن وقال:

-انا مش مباحث ولا خطر عليك.. انا واحد عايز يلاقي اللي قتل صاحبك يمكن اكتر منك كمان.. هستنى ربع ساعة في العربية عند الجامع اللي على الطريق برة.. علشان نروح نقعد في حتة عشان مش هنعرف نقعد هنا. قالها وهو ينظر للغرفة خلف كربونة، وأكمل:

-لو عايز تعرف حكايتي وتساعدني حصّلني.. مش عايز.. براحتك.. ماتجيش.. وانا مش هاجي تاني.. السلام عليكم. قالها ودار ليغادر العمارة. فقال كربونة بصوت متوتر:

-انا مش رايح في حتة على فكرة.. ماتستناش.. عارفهم انا الشويتين دول.. ولو جيت هنا تاني مش هعمل حساب حاجة. وأغلق الباب بقوة.

بعد عشرة دقائق فتح كربونة باب سيارة حسن، وقال:

-مش قايلك مش جاي؟؟ استنيت ليه؟؟

ابتسم حسن في سخرية وقال:

-وجودك نفسه إجابة سؤالك.. ولا تقصد عرفت منين انك جاي؟؟

-أيه؟؟ أيوة اقصد عرفت منين؟؟

-ماعرفتش.. بس انا قلت هستنى ربع ساعة.. يبقى هستنى ربع ساعة.

قال كربونة وهو يعتدل في جلسته ويدور بنظره داخل

obeikan.com

السيارة الفارهة:

-ماشي.. ممكن بقى يابيه تقولي أيه الحكاية؟؟

قال حسن وهو يضغط زر محرك السيارة:

-طب ممكن نمشي من هنا.. مشوار مش بعيد وهرجّعك تاني.. وبالمرة نتكلم في السكة.

نظر كربونة لباب السيارة، وكأنه يُفكر في الهروب، لاحظ حسن قلقه فقال مطمئِناً:

-لو عايز تنزل انزل يا حمدي.. انا مش خاطفك.. بس انا فعلاً محتاج مساعدتك.. وانت لو مش مصدقني ماكنتش جيت من الأول.. قلت أيه؟؟

-ماشي يا بيه.. اتكل على الله.. أيه ياخد الريح مالبلاط؟؟ وإعتدل في جلسته.

تحرك حسن بسيارته وسأل:

-تحب نتغدى؟؟ ولا تشرب قهوة.. مانت في حالتك دي ماتنفعش.. انا عايزك مصحصح.

-يا بيه انا شارب سيجارة واحدة.. مش حاجة.. انا بس متاخد من ساعة ما تذاكر الله يرحمه. وسكت ونظر للشارع. احترم حسن ضيقه وسكت. بعد دقائق من الصمت الثقيل، تكلم كربونة:

-ممكن يا بيه ترسيني على الحكاية بقى؟

-ممكن طبعاً.. شوف يا حمدي... انا..

-قولي يا كربونة يا بيه.. حمدي دي بتلخبطني.. بحس إنك

obeikan.com

بتكلم حد تاني.
ضحك حسن ضحكة سريعة وقال:
-حاضر.. شوف يا كربونة.. انا مش عايز الف وادور عليك.. كنت ناوي اقولك اني صحفي وبعمل موضوع عن تذاكر.. بس كنت هتشُك فيّ.. وكنت هتتعبني.. وانا بصراحة عايزك تساعدني.
-رقبتي يا بيه.. بس في أيه؟؟
-انت طبعاً سمعت عن السفاح اللي قتل تذاكر من الجرايد.
-ولا اعرف عنه حاجة.. كل اللي اعرفه أن حد قتله.. انا مابقراش جرايد يا بيه.
-باختصار كده.. في سفاح كان بيقتل من سنين.. الراجل ده قتل ٨ سنة ٢٠٠٥ واختفى.. وظهر تاني فجأة وقتل صاحبك.
بدأت علامات الإهتمام تظهر على ملامح كربونة:
-وهو كان فين الكام سنة دول؟؟ في السجن؟؟
-يا حمد.. قصدي كربونة.. بقولك اختفى.. ماتمسكش.
-لامؤاخذة يا بيه.. طب عرفت منين أن هو اللي قتل تذاكر؟؟
قال حسن وهو ينظر له بضيق:
-ممكن تستنى شوية انا هحكيلك كل حاجة بالترتيب عشان تفهم ؟
-اتفضل يا بيه.
-هو كان له طريقة معينة في القتل.. قتل بنفس الطريقة كل مرة.. واختفى.. ماتقبضش عليه.. محدش يعرف هو مين..

obeikan.com

وفجـأة ظهـر تـاني لما قتـل صاحبـك.. بنفـس الطريقـة.. علشـان كـده عرفـت إن هـو.
-وانت عايز تمسكه ليه يا بيه؟؟
ركن حسن السيارة وملامحه تنطق بالغضب والحُزن، وقال:
-انـا اسـمي حسـن يـا كربونـة.. انـا جـوز الضحيـة التاسـعة للسـفاح ده.. أخـر الـلي ماتـوا عـلى أيـده.
قال كربونة بتأثُر:
-البقية في حياتك يابيه.
نـزل حسـن وكربونـة مـن السيارة، توجـه حسـن ناحيـة قهـوة بلـدي واسـعة تحتـل ناصيتـين في منطقـة الظاهـر، وتبعـه كربونـة، جلسـا في ركـن بعيـد منـزوي، وطلـب حسـن قهـوة سـادة، وطلب كربونـة مثلـه، وهـو يُشـعِل سـيجارة.
قال حسن وهو ينظُر حوله:
-انـا اتربيـت هنـا.. دي منطقتـي.. مابعرفـش اقعـد عـلى قهـاوي غـير في الضاهـر.. قهـاوي الضاهـر ليهـا طعـم مميـز كـده.. مايحسـوش غـير الـلي اتـربى وسـطها.
نظـر كربونـة حولـه، وكأنـه يحـاول أن يكتشـف هـذا الطعـم الـذي يتحـدث عنـه حسـن، ولكنـه لم يجـد مـا يُميّـز المـكان، فأكمـل حسـن:
-كربونة.. انا محتاج اسألك كام سؤال عن تذاكر.
-اتفضل يا بيه.
-الـلي عرفتـه أن انـت وتذاكـر كنتـوا مـع بعـض في كل حاجـة..

يعنـي سِرّه معـاك.. ياريـت ماتخبيـش عـليّ حاجـة.. علشـان تسـاعدني.. وبعديـن مفيـش حاجـة ممكـن تقولهـا تـأذي تذاكـر مطـرح ماهـو موجـود دالوقـت.. فمـن فضلـك ماتخبيـش حاجـة.
قال كربونة وهو ينظُر لحسن بشَك واضح:
-يـا بيـه انـا مـش هخبـي عليـك حاجـة.. بـس الأول انـت عرفـت كل ده عنـي وعـن تذاكـر منـين؟؟
ابتسـم حسـن وقـد أدرك أن تأثـير المُخـدر بـدأ يـزول عـن وعـي كربونـة حيـث بـدأ أن يفكِـر، وقـال:
-مـن القسـم يـا كربونـة.. ورقـة بميتـين جنيـة عملتـلي نسـخة مـن تقاريـر البحـث الجنـائي عـن الجريمتـين والمحـاضر كلهـا في نُـص سـاعة.. مفيـش حاجـة في الزمـن ده مالهـاش تمـن.
رفـع حسـن فنجـان القهـوة وارتشـف منـه رشـفة سريعـة بمجـرد أن وضِعـت أمامـه، ونظـر لكربونـة وأكمـل:
-ها؟؟ مركز معايا؟؟
-معاك يا بيه.
-طبعـاً مسـتحيل تفتكـر تذاكـر كان فـين يـوم ٢ الشـهر الـلي فـات؟؟
-يابيه انت جاي تهزر؟؟ انا بفتكر اسمي بالعافية!!
-طـب تذاكـر قتـل واحـدة يـوم الاتنـين الـلي فـات اسـمها داليـا.. داليـا دي تذاكـر يعرفهـا منـين وقتلهـا ليـه؟؟
فكّر ثواني، وقال:
-تذاكـر مايعرفـش حـد بالإسـم ده يـا بيـه.. وتذاكـر عمـره مـا مـدّ

أيده على مرا لامؤاخذة.. انا مش بالع حكاية أن تذاكر قتل البت دي.

هز حسن رأسه، فهو كان يتوقع دفاع كربونة عن صديقه، وقال:

-بلاش قتلها.. انت متأكد إنه مايعرفش داليا دي؟؟

-يا بيه لامؤاخذة يعني.. تذاكر عمره ما عَطّ من غيري.. وعمره ما كان هيعرف واحدة من ورايا.. ده غير أن اسم داليا ده مش بيجي في طريقنا.. البنات اللي أساميها كده يا بيه.. سِكّتها إصلاح وتهذيب.. واحنا سكّتنا خبط وتقليب.

لم يفهم حسن المُصطلح الذي استخدمه كربونة، ولم يشعر بالرغبة في الاستفسار عن معناه:

-بس هما لقوا بصماته على علبة سجاير وقعت منه في شقتها.. وتليفونها كان في شقته.

-تلبيس يا بيه.. هي جديد عليهم؟

قال حسن بنفاذ صبر:

-يابني لو عايزين يلبّسوه قضية.. هيقتلوه ليه؟ ويفتحوا قضية تانية؟ ما كانوا قبضوا عليه ونفخوه وخلّوه يعترف.. بلاش نظرية المؤامرة دي وركز معايا.

-مغامرة مين يا بيه؟؟

قال حسن بنفاذ صبر:

-لا إله إلا الله.. يابني ركّز معايا.

-محمد رسول الله يا بيه.. كويس انك طلعت مسلم برضه..

كنـت شـاكك فيـك.
-يابني مانا قايلك أن اسمي حسن.. هو في حسن مسيحي؟؟
سكت تذاكر لثواني، ثم قال:
-أيـوة يـا باشـا.. عـادل إمـام كان اسـمه حسـن وكان مسـيحي في فيلـم حسـن وبطـرس.
ضحـك حسـن بصـوّت عـالي، وكاد أن يفقـد توازنـه مـن كـثرة الضحـك، ثـم قـال:
-تصدق غلبتني؟ بس هي تفرق معاك مسلم من مسيحي؟؟
-لا خالص.
فسأل حسن باستغراب:
-أمال بتقول كنت شاكك فيّ ليه؟؟
-عادي يا باشا.. بنكُشك. قالها وضحك.
ضحك حسن بدوره، ثم قال وقد عادت له الجدية:
-طيـب تذاكـر عمـره راح مستشـفى «الكرامة»الـلي في مـصر الجديـدة؟؟
-يابيه تذاكر عمره ما راح مصر الجديدة أصلاً.
-افتكر كويس.. يكون راح يجبّس ايد.. يكشف.. أي حاجة.
-يـا بيـه تذاكـر أخـره لمـا كان يتعـب.. ولّا دماغـه تتفتـح في خناقـة.. كان يـروح الصيداليـة.. أو يكتمهـا بشـويه بُـنّ.
-طـب تذاكـر مقالكـش أي حاجـة عـن حكايـة الشُـغلانة الـلي طلعهـا مـن غـير تليفونـه دي؟؟
-واللـه ماعـرف عنهـا غـير أنهـا شُـغلانة هيطلعلـه مـن وراهـا

obeikan.com

قرشين حلوين.. حلوين قوي زي ما قال.. غير كده مارضيش يقولي.

وفتح علبة السجائر فوجدها فارغة، ولاحظ حسن استيائه فنادى عامل الشيشة الصغير وقال:

-خد يا سيكة.. روح هات علبتين سجاير. ثم نظر لكربونة وسأله وهو ينظُر لعلبة سجائره:

-بتشرب كيلوباترا على طول؟؟ ولا وانت مفلس بس؟؟

-لا يا بيه مابشربش غيرها.

فالتفت حسن للصغير وقال:

-خليهم اربع علب كيلوباترا.. وهات لنفسك حاجة لو عايز.

وتابعه بنظره وهو يبتعِد وهو يحمل ابتسامة حنونة، ثم اعتدل وسأل:

-قولي يا كربونة.. هو تذاكر كان بيشرب سجاير أيه؟؟

ابتسم بسُخرية وقال:

-زي حالاتي يا بيه.. هو يعني اللي كان مدير بنك؟؟

-وانت عايش منين يا كربونة؟؟ سامحني في السؤال.

-لا يا بيه.. براحتك.. كنا ساعات نطلع نمسك شغلة نقاشة.. وساعات شيّالين.. بس بقالنا فترة تذاكر بيجيبلنا شغل.

-فين؟

-كل مرة في حتة.. بلطجة بالأُجرة.. خناقة.. مظاهرة.. اعتصام.. تأمين.. مابنقولش لا.. بتُرزق يا بيه.. ربك مابينساش حتى اللي مش فاكرينه.

obeikan.com

obeikan.com

١٧

الجمعة ٢٦ مايو سنة ٢٠٠٥

خبر في صفحة الحوادث:
«حل لُغز اختفاء أطفال الأقاليم بعد مقتل المُجرم سنارة النونو على يد سفاح الأرقام»
بقلم: مجدي كارم

تمكنت قوات الشرطة المصرية من العثور على أربعة عشر طفلاً، كان كل منهم في عِداد المفقودين، بعد إرسال شخص مجهول لخطاب- يُعتقد إنه سفاح الألفية- أبلغ فيه الصحافة بمكانهم. وأثبتت التحقيقات أن المجرم الشهير«بسنارةالنونو» كان يقود عصابة احترفت خطف الأطفال الصِغار من الأقاليم، وتهريبهم للقاهرة، للعمل في مجال الشحاتة، والنشل.

obeikan.com

هـل ستشـكُر الداخليـة في بيـان رسـمي هـذا المُلقـب بسـفاح الأرقـام؟ أم سـتكتفي بدعـوات أمهـات الأطفـال الذيـن عـادوا؟؟

obeikan.com

١٨

غروب يوم السبت ١٤ ديسمبر ٢٠١٣

جلست غادة أمام مكتب مجدي كارم وأخرجت من حقيبتها، كراسة كبيرة وعِدة أقلام وجهاز تسجيل رقمي، وضعتهم أمامها، وقالت:

-جاهز يا مستر مجدي؟؟

-جاهز. قالها وهو يبتسم بإعجاب، وهو يراها تخطو بثقة في عالم الصحافة الشائك، فهو يعتبر نفسه والدها الروحي في مهنة الصحافة، ويعتبرها خليفته.

وضعت الحقيبة بجوارها، ووضعت ساق فوق الأخرى، وفتحت كراستها على صفحة كانت قد أعدّت بها بعض الأسئلة التي تريد أن تطرحها في الحوار. مدّت يدها لتبدأ التسجيل، ولكنها توقفت في نصف المسافة وقالت:

-الأول عايزة اتفق مع حضرتك على حاجة.. مفيش أسئلة Off Limits انا هسأل براحتي.. ومفيناش من زعل.

obeikan.com

-مش متوقع منك غير كده.. لكن طبعاً انتي عارفة أن الحوار حاجة.. والنشر حاجة تانية.. الموضوع ده حسّاس.. ماتنسيش إني كنت هتحبس بسببه.. طبيعي هنتفق على اللي هيتنشر.

-يا مستر مجدي مانت كده هتشيل الل...

قاطعها قائلاً:

-يا غادة.. بلاش استعجال.. ماتنسيش إن انا صاحب الجرنال ومن مصلحتي الحوار ينجح.. أنما مش تنجحي انتي واتحبس انا.. يالا بلاش عطلة.

تنهدت بغضب، ونظرت له لثواني، ثم قالت:

-ماشي.. لما نشوف. ثم ضغطت زر التسجيل.

بدأت تتحدث غادة بلهجة احترافية، في محاولة منها لفصل العمل عن علاقة الصداقة التي تجمعها بمجدي:

-حضرتك الصحفي اللي سمّى «سفاح الأرقام» بالإسم ده.. مش كده؟

-مظبوط.. هو كان بيستخدم الأرقام في التوقيع على ضحاياه.. كعلامة مميزة له.. فكان منطقي يتسمّى كده.

-حضرتك اقترن اسمك بالقاتل ده.. عايزة اعرف السبب؟

-بصراحة الأسباب كتير.. مش عارف أيُّهم الحقيقي.. يمكن علشان انا اللي سمّيته الاسم اللي اتشهر بيه.. أو يمكن عشان هو بعتلي مرة جواب مكتوب فيه مكان أطفال مخطوفين.. أو عشان كتبت مقالة مرة اعتبرتها النيابة دفاع عنه وتحريض على القتل.. وكمان النيابة اتهمتني إني على

علاقـة شـخصية بالقاتـل.. واتحولـت للمحكمـة.. واتحكـم عـليّ مـع إيقـاف التنفيـذ.
كتبت بعض الملاحظات في كراستها، وأكملت:
-التهمة كانت أيه تحديداً؟؟
-التهـم كانـت كتـير.. منهـم القتـل.. والمسـاعدة عـلى القتـل.. وإخفـاء معلومـات عـن المباحـث تفيـد في القبـض عـلى المجـرم.. وأخـيراً التحريـض عـلى القتـل.. اتحكـم بالـبراءة الحمـد للـه كل التهـم.. ماعـدا التحريـض.. القـاضي حكـم عـليّ مـع إيقـاف التنفيـذ.. ومشّـوني مـن الجرنـال طبعـاً.
-أيه السبب في أن حضرتك تمشي من الجرنال؟
تنهـد بغضـب مكتـوم، ونظـر لهـا بلـوم واضـح، لأنـه لا يفضـل الحديـث عـن هـذه المقالـة، ولكنـه أجـاب:
-الحقيقـة انـا كتبـت مقالـة.. اعتبرهـا البعـض دفـاع عـن القاتـل.. وتعمـدت نزولهـا المطبعـة مـن ورا مديـري المبـاشر.. علشـان كنـت عـارف إنـه هيرفضهـا.
-وحضرتـك كرئيـس تحريـر دلوقتـي.. هتعمـل أيـه لـو حـد مـن الصحفيـين عمـل كـده معـاك؟
نظـر لهـا باسـتغراب لثـواني، ثـم تذكـر إنـه مـن علّمهـا مـا تفعـل. وهـي اسـتراتيجية اسـتفزاز الضيـف ليقـول مـا يحـاول إخفـاءه، فأجـاب بلهجـة مـن قَبِـل التحـدي:
-همشّـيه مـن عنـدي.. وهنشُر ده في الجرنـال علشـان المؤسسـات التانيـة ترفـض تعيّنه.

شعَرت بغضبه، فقررت أن تهدئ من حِدة الحوار، قبل أن تعاود الهجوم، كما علّمها. نظرت لملاحظة كانت كتبتها منذ ثواني، وقالت:

-حضرتك قلت السفاح بعتلك جواب.. أيه حكاية الجواب دي؟؟

وضح نجاح خطتها على نبرة صوته، التي خرجت أكثر هدوءاً منها في الإجابة السابقة:

-انا جالي جواب في مكتبي مرة.. اتسلّم بالأيد على باب الجرنال للأمن.. مكتوب عليه اسمي.. لقيت فيه كذا خبر قديم من الجرنال.. عن خطف أطفال.. وورقة مكتوب عليها بالكمبيوتر مكان تواجُدهم.. طبعاً بلّغت الشرطة.. واكتشفوا فعلاً وجود الأطفال في المكان ده.. وتاني يوم ظهرت جُثة اللي كان بيخطفهم.. مقتولة بطريقة السفاح.. وطبعاً مفيش أي حاجة على الجواب ولا بصمات غير منّي وراجل الأمن.. والجواب ما وصّلش الشرطة لحاجة.

-تفتكر ليه اختارك انت يا مستر مجدي؟

-السؤال ده هوَّ اللي يجاوب عليه.. مش انا.. بس أعتقد أن يمكن السبب يكون إن انا اللي سمّيته سفاح الأرقام في مقالاتي.. وكنت سبب شُهرته.

-شُهرته؟؟ ودي حاجة تبسطه؟؟ القاتل أعتقد يحب إنه يستخبى.. مش يتشهر.. ولا حضرتك تقصد إنه كان بيعاقبك لما بعتلك الجواب.. علشان فضحته.. بإنه يجُر رجلك معاه؟؟

-لا أبـداً.. هـوَّ كان بيكافئنـي.. بطريقتـه طبعـاً.. كان في دكتـور علـم نفـس كتـب مقـال مـرة في الجرنـال عـن السـفاح.. بعـد أخـر جرايمـه.. كتـب في تحليـل شـخصيته إنـه مغـرور وبيحـب الشـهرة.. وده الـلي دفعـه لقتـل الضحيـة التاسـعة.. والـكلام ده طبعـاً مـن وجهـة نظـر الدكتـور.. عشـان كـده أعتقـد أن السـفاح كان مبسـوط منـي علشـان عملتلـه شُـهرة.. فقـرر يكافئني بسـبق صحفـي.

-ازاي غـروره وحبـه للشُـهرة كانـوا سـبب قتـل ضحيتـه التاسـعة؟؟ وليـه مـش سـبب الضحايـا الثمانيـة الـلي قبلهـا؟؟

-الضحيـة التاسـعة ليهـا حالـة خاصـة.. ودي لـو تلاحظـي كانـت أخـر ضحايـاه.. الـلي حصـل إن المباحـث قبضـت عـلى مُشـتبه فيـه بعـد الجريمـة الثامنـة فعـلاً.. واتحجـز في القسـم بيتحقـق معـاه.. قـام القاتـل كنـوع مـن الإنتقـام.. والـكلام ده حسـب رأي الدكتـور.. راح قتـل زوجـة المُتهـم ده في بيتهـا.. كعقـاب للظابـط الـلي قبـض عـلى الشـخص الغلـط.. وانتقـام مـن الشـخص ده علشـان كان بـدأ يخطـف منـه الشُـهرة.. وكدليـل دامـغ إن الـلي اتقبـض عليـه مـش هـو السـفاح.

صمتـت غـادة بعـد تخيُلهـا لبشـاعة الجريمـة، برغـم مـن علمهـا بإنــه قاتــل، ولكــن تلــك الجريمــة كان وقعهـا عليهـا مُختلِفـاً، شـعرت بغضـب مكتـوب يتصاعـد داخلهـا، فنظـرت لكراسـتها وبعـد ثـواني تمكنـت مـن مواصلـة الحـوار، ولكـن خـرج صوتهـا

يحمـل لهجـة غضـب واضحـة:
-حضرتـك قلـت إن مقالتـك شـافها «البعض»دفـاع عـن القاتـل..
مظبـوط؟؟ قالتهـا وأشـارت بأصابعهـا بعلامـات الإقتبـاس.
-مظبوط.. لكن الحقيق....
بـدون تفكـير قاطعتـه بحـدة، وكأنـه لم يكـن يتحـدث، واندفعت بسـؤالها التـالي:
-مـش مُتفـق معايـا يـا فنـدم أن المقالـة أي حـد يقراهـا هيشـوف فيهـا دفـاع عـن المُجـرم.. أي حـد مـش بـس «البعـض».. وجريمـة زي الأخـيرة الـلي حضرتـك شرحتهـا دي مايرتكبهـاش غـير حيـوان بصراحـة.. مـش حـد يتقـال فيـه جملـة زي الـلي حضرتـك قولتهـا في مقالـك.
وقلبت الورقة التي أمامها، وقرأت من نسخة لمقالته:
«سـيكرهه البعـض، ويحبـه أخـرون. سـيكون بطـل في نظرالبعـض، وخـارج عـن القانـون في نظـر غيرهـم. سـيوافق أحدهـم عـلى مايفعلـه ويختلـف على طريقـة التنفيـذ، سـيوافق غـيره عـلى كل شـئ، وسـيرفض غيرهـم كل شـئ.
ولهذا سيبقى في المنطقة الرمادية، شئتم أم أبيتم.»
سـؤالي لحضرتـك هـو.. يـا تـرى حضرتـك مـن البعـض الـلي بيحبه؟ ولا بيكرهـه؟ وتصنيـف حضرتـك المِهنـي أيـه للمقـال ده.. غـير أنـه دفـاع عـن قاتـل مفيش فيـه ذرة إنسـانية؟؟
نجـح السـؤال في اسـتفزازه، فصـاح بهـا، واندفـع يتكلـم بـدون تفكـير:

obeikan.com

-أولاً انا كتبت المقالة دي بعد جريمة الثامنة.. وارجعي للتاريخ لو مش مصدقة يا سيادة الصحفية.. واضح انك محتاجة تراجعي القضية اللي بتحققي فيها قبل ماتشتغلي عليها.. وواضح كمان أني استعجلت لما سيبتك تشتغليها.. ثانياً هو لما قتل الضحية التاسعة كان تحت تأثير مرض نفسي.. ضعف.. كلنا عندنا نقطة ضعف.. اللي ضعيف قصاد الشهوة للجنس أو للسلطة أو للفلوس.. وهو نقطة ضعفه الغرور والنرجسية.. مين فينا مابيضعفش قصاد شهواته ومابيغلطش ولو مرة.. غروره عماه.. دفعه لارتكاب غلطة واحدة.. ولو تلاحظي بعدها اختفى.. واضح أن السبب كان ندمه على الغلطة دي.. ثالثاً كل اللي قتلهم قبل مقالتي الأخيرة عنه كانوا يستحقوا القتل.. لكن نظامنا الأعرج كان عاجز يرجّع الحقوق لاصحابها.. ومحدش كان عنده الشجاعة يجيب حق الناس غيره.

كان صوت مجدي يعلو دون وعي منه، وملامحه تنطق بالغضب، ثم خبط بيده على مكتبه بقوة، وقال:
-طالما اللي المفروض يجيب حق الناس عاجز سواء عن قلة حيلة أو تواطوء.. ماتزعلوش بقى من اللي ياخد حقه بدراعه.

ساد المكتب صمت ثقيل لدقائق، و كانت غادة غير قادرة على النطق، متسعة العينان، ناظرة لمجدي وكأنه شخص

غريب لا تعرفه، مأخوذة من ثورة غضبه الشديدة، الذي برغم عملها معه لسنوات طويلة لم ترى مثلها منه من قبل لأي سبب، وكانت شبه نادمة على استفزازه. كان مجدي ناظراً لها بنفس نظرة الغضب التي أنهى بها إجابته في الدفاع عن القاتل، وكأنه لم يفيق بعد من نوبة صرع مفاجئة أصابته.

قطع مجدي حالة الصمت، بصوت حاول أن يخفي منه انفعاله وبقايا غضب أفقده السيطرة على نفسه:

-عندك اسئلة تاني يا غادة؟؟

تنحنحت حتى يخرج صوتها واثقاً، صحيحاً، ولكنه خرج مبحوحاً:

-اااا. فسكتت ونظرت للكراسة حيث يقبع أخر سؤال كانت أعدّته لطرحه في نهاية اللقاء، قرأته سراً (ما ردّك على الإشاعات التي انطلقت وقتها إنك انت شخصياً السفاح؟) ثم نقلت عينيها بين السؤال وبين مجدي، الذي كان ينظُر لها، وهو في حالة سكون خادعة، كبُركان على وشك الإنفجار فجأة، وقالت بصوت مبحوح:

-لا خلاص يا مستر مجدي.

رد بصوت جامد:

-طب بعد أذنك سيبيني دلوقتي.

استغرقت ثانيتين حتى استوعبت ما قال، فقامت ووضعت

obeikan.com

كل أغراضهـا داخـل حقيبتهـا الجلديـة، دون عنايـة أو ترتيـب، وغـادرت المكتـب.

تابعهـا هـو بنظـره حتـى غابـت، فـأراح ظهـره عـلى كُرسيه، وأسـند مرفقـه اليمـين عـلى المسـند الجانبـي، وأمسـك جبهتـه بيـده اليمنـى، وكأنـه نادمـاً عـلى مـا قـال. ثـم قـام ووقـف أمام خزينـة متوسـطة الحجـم بجـوار مكتبـه، أدخـل أرقامهـا السريـة وفتحهـا وأخـرج مـن قاعهـا مظـروف أصفـر كبـير يبـدو عليـه القِـدَم، أمسـكه برفـق بكلتـا يـداه وكأنـه يحمـل مولـود حديـث الـولادة. وضعـه أمامـه عـلى المكتـب وجلـس، ثـم نظـر للمظـروف نظـرة مـن يتذكـر ذكريـات قديمـة. فتحـه وأخـرج منـه ملـف يحـوي العديـد مـن الأوراق. كان المظـروف الكبـير مكتـوب عليـه مـن الخـارج «جرائمـي».

جلسـت غـادة عـلى مكتبهـا، متسـارعة الأنفـاس غـير قـادرة عـلى التركيـز، كمـن خـرج لتـوّه مـن عمليـة جراحيـة و لايـزال عقلـه تحـت تأثـير المُخـدِر. فتحـت حقيبتهـا وأخرجـت منهـا الكراسـة التـي أعـدت بهـا أسـئلتها ووضعتهـا أمامهـا. بعـد دقائـق مـن السـكون تحركـت بسرعـة مـن اتخـذ قـرار ويحـاول تنفيـذه قبـل أن يـتردد ويغـيّره، أخرجـت هاتفهـا مـن الحقيبـة، واختـارت رقـم عصـام ناجـي وتطلعـت لـه لثـواني، ثـم تشـجعت وضغطـت زر الاتصـال، وانتظـرت لثـواني ولكنهـا تراجعـت وأغلقـت الخـط.

obeikan.com

١٩

ليل السبت ١٤ ديسمبر سنة ٢٠١٣

ضغط عصام زر استدعاء حسين، الذي دخل مُسرعاً، فيقول عصام:

-اعملي كوباية قهوة يا حسين.. مش فنجان.. كوباية.. سادة.. بن زيادة شوية.

قال حسين:

-تشرب حاجة يا رامي بيه.

فقال رامي دون أن ينظُر له:

-زي عصام بيه.

غادر حسين ويغلق الباب. ينظر عصام لرامي وقال:

-عايزين نقسّم القضية جزئين.. اللي نعرفه.. واللي مانعرفوش وعايزين نعرفه.

فأومأ رامي برأسه إيجاباً، وقال:

obeikan.com

-نبتدي باللي نعرفه.
فقام عصام من خلف مكتبه، وجلس في مواجهة رامي، وقال:
-عايزين نجمع اكبر قدر من المعلومات عن داليا وتذاكر.. علشان نقدر نعرف أيه علاقة أي حد فيهم بالسفاح.. ونحاول نعرف المصيبة اللي عملها تذاكر في التاريخ اللي اتكتب له.
نظر رامي لعصام بغير فِهم، وقال:
-ماحنا قلنا السفاح مش على علاقة بضحاياه.
-مظبوط.. بس اكيد قِدر يعرف معلومة من وسيلة خاصة.. لو لقينا المصيبة ومشينا وراها.. ممكن نوصل لحاجة.. صح؟
حاول رامي أن يجيب سؤال عصام، ولكنه عَجَز، فأكمل عصام:
-أكيد يعرف حد يعرف حد فيهم.. أو اكتشف حاجة بطريقة معينة ولما حقق فيها وصل لتذاكر.. وده معناه إن احنا لو مشينا نفس خطواته.. ممكن نلاقيه.. ماهو أكيد مش بيشم على ضهر أيده يعني.

فتح حسين الباب بعد طرقتين، ووضع القهوة أمامهم وغادر. تناول عصام كوب القهوة الخاص به، وبدأ يحتسيها، ثم تركها فجأة، وقال:
-طب نبتدي بالتليفونات.. هاتلي فاتورة تفصيلية عن أرقام داليا وتذاكر للشهر اللي فات.. ونشوف هنوصل لأيه.
كتب رامي أرقام كل من داليا وتذاكر على تليفونه المحمول،

ثـم نظـر في سـاعته وقـال:
-في حاجة تانية محتاجينها لحد بكرة؟
أدرك عصام أن الوقت قد تأخر، فقال:
-لا خـلاص يـا رامـي.. بـس ياريـت الفواتـير دي تكـون معـاك الصبـح وانـت جـاي.
-حـاضر. قالهـا رامـي وغـادر ليُجهـز الخطابـات المطلوبـة لتقديمها لـشركات المحمول.
جلـس عصـام خلـف مكتبـه، وحـاول الاتصـال بشريـف، فوجـد الهاتـف مُغلـق، فقـام والتقـط سـترته، وغـادر المكتـب.

وقـف عصـام ينظُـر للنيـل في سـكون، في نفـس مكانـه، عـلى كوبـري قـصر النيـل، وفي يـده الكـوب الحافـظ للحـرارة، يسـتمع لصـوت مُنـير في أذُنيـه، بعـد تكـرار روتينـه الـذي لا يمِلّـه. حتـى شـعر بأحـد يقـف إلى جـواره ينظُـر لـه في ثبـات، فرفـع عينـه عـن النيـل، وأدار رأسـه تجاهـه، ليجـد حسـن الشريـف بجـواره، ينظُـر إليـه مُبتسـماً. شـعر للحظـة إنـه رآه مـن قبـل أو إنـه يُذكِـره بشـخص يعرِفـه. فنظـر عصـام حولـه، ليتأكـد مـن أن حسـن يبتسـم لـه هـو شـخصياً، ولما تأكـد مـن هـذا، رفـع يـده وأخـرج السـماعة اليمنـى مـن أذنـه، واعتـدل ليواجـه حسـن، الـذي قـال قبـل عصـام:
-عُمر خيرت؟ ولا مُنير؟ وهو يُشير ناحية السمّاعة.
فابتسم عصام، وقال بسُخرية:

-لا تامر.
واجه حسن سور النيل، وسند مرفقيه على السور، وهو ينظر لعصام وقال بإبتسامة مُتحدية:
-لا.. عمر خيرت أو مُنير.
فقال عصام بجدية:
-تراهن؟
نظر له حسن لثواني، ثم أخرج مفتاح سيارته من جيبه، ورفعه في الهواء أمام عصام ليراه، ويعلم إنها تساوي الكثير، وقال:
-عربيتي لعربيتك.

حافظ عصام على ملامحه الجامدة لثواني، ليرى إن كان سيتراجع حسن أم لا، ولكن بعد تأكده من جديّة الأخير، واجه السور مثله، وأسند مرفقيه عليه، ونظر لحسن بإعجاب، وقال:
-مُنير.
فابتسم حسن ونظر للنيل، فقال عصام وهو مازال ينظُر له:
-تراهن على الأغنية؟
فضحك حسن ضحكة سريعة، ونظر لعصام، وقال:
-بس المرة دي.. هحتاج مُساعدة.
-ازاي؟
نظر حسن للنيل وفكر لثواني، ثم نظر لعصام وقال:
-انا اسأل.. وانت تجاوب.. ونشوف هحتاج كام سؤال علشان

اعـرف الغنـوة.. وليـك مقابـل كل سـؤال منـي.. سـؤال أجاوبـك عليـه بصراحـة.. مهـما كان.
فكّر عصام لثواني، وقال بلهجة مُتحدية:
-ولو ماعرفتهاش؟
-لا هعرفها.
-ولو ماعرفتهاش؟؟
فأخـرج حسـن مفتـاح سـيارته مـرة أخـرى وناولـه لعصـام. الـذي ضحـك بإسـتمتاع، وقـال:
-اتفضل اسأل.
فاعتـدل حسـن ليواجـه عصـام، ونظـر في عينيـه مبـاشرة، وكأنـه يسـتنطقها لإخبـاره، وقـال:
-الأغنيــة دي دايمــاً الــلي بتســمعها كل ماتيجــي هنــا؟ يعنــي مرتبطـة بالوقفـة دي؟ ولا هـما كـذا أغنيـة بتبـدل فيهـم لمُنـير؟
-مابسمعش غيرها وانا واقف هنا.
فابتسم حسن، ثم فكر ثواني، وقال:
-نزلت قبل سنة ٢٠٠٠؟ ولا بعدها؟
-قبلها.
فاعتـدل حسـن ليواجـه السـور والنيـل، وهـو ينظـر لعصـام لـيرى وقـع جملتـه القادمـة عليـه، وقـال بثقـة:
-الطول واللون والحُرية.
سـقط فـك عصـام الأسـفل، واتسـعت عينـاه عـلى أخرهُـما، وصمـت لدقيقـة كاملـة، ثـم قـال مبهـوراً:

-لا مش منطقي.

ثم اعتدل ليواجه السور، واسند مرفقيه عليه، وهو ينظر لحسن، الذي كان وجهه يحمل ابتسامة المُنتصرين، وقال:

-لا عايز افهم.. عرفت ازاي؟؟

أدار حسن رأسه في اتجاه عصام، وقال:

-حظّي حلو.. هما ٤ أغاني اللي خمّنت انهم مرتبطين معاك بالمكان ده.. ٢ قبل ٢٠٠٠ وهما «برة الشبابيك»و «الطول واللون والحرية».. و ٢ بعد ٢٠٠٠ وهما «علشان يشبهلك»و «ولا بيوصل».. ولما عرفت إنها قبل ٢٠٠٠ قلت اجرب «الطول واللون والحرية»ولو كنت قلت لا.. كنت هقول «برة الشبابيك».. حظي حلو إنها طلعت صح من أول مرة.

انهى كلامه وأعاد رأسه في اتجاه النيل، على عكس عصام، الذي بقى لدقيقة كاملة ناظراً لحسن بانبهار لم يحاول إخفائه. حتى قطع حسن الصمت:

-كده ناقصلك سؤال في ذمّتي.

فأفاق عصام من انبهاره، وقال:

-لا انت جاوبت بعد سؤالين.

-مظبوط.. بس انت سألت عرفت ازاي.. كده اتخصم منهم سؤال.

فهزّ عصام رأسه متفهِماً، واعتدل ليقف بجوار حسن، ونظر للنيل. بعد دقيقتان من الصمت، ضحك عصام ضحكة

سريعة، ولكن بصوت مسموع، ونظر لحسن، ثم نظر للنيل مُجدداً. فابتسم حسن وقال:

-طب وانا ماليش نفس اضحك؟

-لا مفيش.. بس عجبتني حركة الأغنية دي بصراحة.

وبعد دقيقة من الصمت، أشار حسن لأحد المراكب الفخمة، التي ترسو على شاطئ النيل، ناحية اليسار، وقال:

-لما بشوف المنظر ده مش بلاقي مصر فيه.

ثم أشار لمركب صغيرة خشبية، تمر من تحتهم، ينطلق منها صوت أغاني، أشبه بصوت المعارك التي تدور في الأحياء الشعبية، وقال:

-ولما بشوف المنظر ده.. برضه مش بلاقي مصر فيه.

ثم نظر لعصام، وقال:

-هي مصر راحت مننا فين؟

لم يتوقع عصام مثل هذا السؤال، ففكر لثواني، ثم قال:

-في صوت مُنير.

نظر حسن أمامه، وهزّ رأسه موافِقاً، وقال:

-هو ده اللي باقي منك يا مصر.

فقال عصام:

-وانت؟ بتلاقي مصر فين؟

تنهّد حسن ونظر للنيل، وكأنه يستجديه ليساعده على إجابة السؤال، ثم قال دون أن ينظُر لعصام:

-مش لاقيها.. وفقدت الأمل من زمان.. وبطّلت أدوّر.. مش

باقـي منهـا غـير شـوية ذكريـات شـايلها عنهـا.

بعـد دقيقـة مـن الصمـت مـرّ مـن خلفُهـم رجـل فقـير الهيئـة عزيـز النفـس وكان يحـدث نفسـه بصـوت ملـئ بالحُـزن، تذكـر عصام بمجـرد أن سـمعه أنـه قابلـه منـذ ليلتـين في نفـس المـكان، وكان يتحـدث بنفـس الصـوت. نظـر لـه الرجـل وكأنـه يعرفـه، وقـال وهـو يشـير لهـم:

في الزمن ده الباشا لازم يكون بيهِزّ..
يطلع برجله فوق رقاب الناس ويركب بينز..
ولا فيه تلاقي أيد بتسند ضهر..
صاحب حقيقي في الزمن ده كنز..

صمـت لثـواني ثـم نظـر لأحـد المراكـب التـي تخـرج منهـا صـوت أغـاني أشـبه بصـوت موتـور جـرار زراعـي غـير صالـح للعمـل، وقـال وهـو يشـير لـه:

ولا حد سامع صوت بُكايا.. ضايع في وسط الخبط..
ولما بسأل مين معايا..
يلبّي ندايا الصمت..
أغاني مجنونة.. وأخلاقنا مدفونة.. عِرفوا يسوقونا..
ويجيبوا راسنا لتحت..

وشـوّح بيـده في اتجـاه النيـل، وظهـر الإشـمئزاز عـلى ملامحـه،

وتركهـم وغـادر مُسـتنداً إلى عصـاه الضعيفـة، فاسـتبطأه حسـن وسـار بجـواره وسـأله:

-اسمك أيه يا راجل يا طيّب؟

نظـر الرجـل لحسـن بملامحـه الطيّبـة قمحيـة اللـون المليئـة بالتجاعيـد، ووضـع يـده عـلى كتـف حسـن وكأنـه يـترك لـه وصيّتـه، وابتسـم وقـال:

الأسامي كتير والأصل مش فاكره..

بس المهم تاريخينا، وده انا مذاكره..

لكن من اللي بشوفه خايف يتوه مني..

ويسألوني عليه ماقدرش افتكره..

ثـم ربّـت عـلى كتـف حسـن بـوِد وابتسـم لـه ابتسـامة تحمـل كل طيبـة الدنيـا وسـار متمهِـلاً كعادتـه. تابعـه حسـن بنظـره حتـى ابتعـد، وهـمّ بالعـودة لعصـام ولكنـه وجـده إلى جانبـه ينظـر للرجـل نظـرة طالـب لأسـتاذه الـذي يحبـه. فقـال حسـن وهـو يبتسـم دون أن يرفـع نظـره عـن الرجـل الـذي كان لا يـزال يحـدث نفسـه وهـو يسـير:

-أيه الراجل ده؟؟

قال عصام بصوت لا يقل انبهاراً عن صوت حسن:

-مش عارف.

-مصر لسّة موجودة في الناس اللي زي دي.

خيّـم الصمـت عليهـم لدقائـق، ثـم نظـر عصـام في السـاعة، واعتـدل ليواجـه حسـن، الـذي اعتـدل بـدوره ليواجهـه، مـدّ عصـام يـده، وقـال:

-انا...

فقاطعه حسن، وهو يمدّ يده ليُسلم عليه، وقال:

-عصـام ناجـي.. رئيـس مباحـث قسـم حدايـق القبـة.. وانـا حسـن الشريـف.. مهنـدس بـترول متقاعـد.. لـو في حاجـة اسـمها كـده.

عقد عصام حاجبيه، ونظر في لحسن بشَك، وسأله:

-انت تعرفني؟

-دي حكايـة طويلـة.. تعـالى نتمـشى. قالهـا ودار ليسـير في اتجـاه التحريـر، وعصـام بجـواره، صامـت، ينتظـر إجابتـه، فقـال حسـن:

-انـا حسـن الشريـف.. زوج ناديـة عبـد الرحيـم.. الضحيـة الأخـيرة للسـفاح الـلي بتـدوّر عليـه.

نظـر لـه عصـام نظـرة تعاطُـف لثـواني، ومـا لبثـت أن تحوّلـت لشَـكّ، وقـال:

-وطبعاً مُقابلتنا دي مش صُدفة.

-لا.. انـا فعـلاً كنـت محتـاج اتعـرف عليـك.. وماحبتـش اكـدب.. ده غـير إن انـت أذكي مـن إني أصيـع عليـك.. طالـع لعمٌـك اللـه يرحمـه.

تذكـر عصـام أن هـذا الرجـل كان المُشـتبه بـه الـذي قبـض عليـه عمـه، وتسـبب هـذا الاشـتباه في مقتـل زوجتـه، فقـال:

-عمي الله يرحمه كان بيعمل شغله.. وفضل لحد ما...

قاطعه حسن قائلاً:
-مش محتاج تبرر حاجة يا عصام.. عمك كان واحد من الناس اللي اتشرفت بمعرفتهم.. وطبعاً مالوش ذنب في اللي حصل لنادية.. ولمعلوماتك.. هو جالي بعد وفاتها بشهرين.. واعتذرلي.. مع أنه مكانش فيه داعي للإعتذار.. هو مكانش بيعمل غير اللي أي راجل شريف في مكانه كان هيعمله.
-انا برضه مش فاهم.. انت أيه اللي جابك في سكّتي؟؟
قال حسن وهو ينظر لعصام:
-الحقيقة من غير لف ودوران.. إني بدوّر على اللي قتل تذاكر زيّك بالظبط.. ومفيش حاجة هتعملها أو هتقولها ممكن تمنعني من إني أحاول أمسكه.
نظر عصام لعينيه مباشرة، وسأله:
-انت اللي عايز تمسكه؟؟ ولا عايزه يتقبض عليه يعني؟؟
-لا يا عصام.. انا مش عايز أنتقم منه بأيدي.. انا مش طفل بسعى لانتقام ساذج.. انا عايزه يتقبض عليه.. ولو وصلت له قبلك.. هتكون انت أول حد يعرف.
قال عصام وهو يبتسم بسُخرية:
-مش شايف إنها صعبة شوية دي.. لوحدك توصله قبلي وانا معايا فريق بحث.. وموارد أكتر منك مليون مرة؟
-الكلام ده مظبوط في أي دولة في العالم.. في مصر الموضوع مختلف.. الناس بترتاح في الكلام مع المدنيين أكتر بكتير من الحكومة.. ده غير إن انا الناس بتثق فيِّ بسرعة.

ابتسم عصام، وقال:
-ده صحيح.. بس انا برضه مش فاهم.. انت عايز مني أيه؟؟
-مش عايز حاجة.. انا بس عايز أساعدك تمسكه.
-سامحني انا مش محتاج مساعدة.
-مش يمكن أوصل لحاجة قبلك؟؟ حظ مُبتدئين.
-ماعتقدش ده ممكن يحصل.
فقال حسن مُستسلماً:
-خلاص.. براحتك.. مش هساعدك.. بس ده مش معناه إني مش مبسوط عشان إتعرفت عليك.
-وانا كمان مبسوط.. طب وانت عرفت منين إني هكون هنا؟
-انا كنت جايلك القسم.. ولما وصلت عند القسم شوفتك خارج.. مشيت وراك لحد هنا.
قال عصام وهو يفتح باب سيارته، حيث كانا قد وصلا لساحة الإنتظار، التي لم يكن بها سوى سيارته وسيارة حسن، لتأخُر الوقت:
-عموماً يا حسن.. انا إرتحت في الكلام معاك.. وتشرفني معرفتك.. بس سيب موضوع القضية ده في حاله.. محدش يضمن رد فعل مجرم زي ده أيه لو عِرف إنك بتدوّر عليه.
-وانا عندي أيه أخاف عليه منه يا عصام؟ سيبها على الله.. دي نمرة تليفوني.. لو جيت هنا وحسيت إنك محتاج حد تتكلم معاه.. هكون سعيد لو اتصلت بيا. وأعطاه رقم هاتفه المحمول، وسلّم عليه، ودار ليتجه لسيارته.

obeikan.com

فتـح عصـام بـاب سـيارته، ووقـف ينظُـر لحسـن، الـذي التفـت إليـه، وقـال:

-مش هتسألني السؤال التاني اللي ليك عندي؟؟

ابتسم عصام، وفكر لثواني ثم قال:

-مش النهاردة.. يبقالي.

obeikan.com

obeikan.com

٢٠

الأحد ١٥ ديسمبر ٢٠١٣

يقف حسن بجوار أحد الأعمدة المُغلفة بالرُخام بُني اللون، ينظُر لبوابة مشرحة زينهم المُغطاه تقريباً بشعارات وأسماء شباب مرّوا من هُنا في طريقهم لمثواهم الأخير. چيكا والجندي ومينا وغيرهم كُثر، كتب ورسم رُفقاءهم أسماءهم، وكأنهم فراعنة يُخلِّدون ذكرى ملوكهم. وإن كانت ذِكراهم أوهن من أن تصمُد في مواجهة الزمن.

يخرُج أحد عُمال المشرحة، يحمل في يده مظروف أبيض كبير، ويتوجه لحسن ويناوله المظروف. فتحه حسن، ونظر على الأوراق بداخله، نظرة سريعة دون أن يُخرجها منه. ثم مدّ يده للعامل «بالمكافأة» المُتفق عليها سلفاً. أخذ العامل النقود، ونظر لها سريعاً وهي في طريقها لجيبه، ليتأكد من

obeikan.com

المبلـغ، وقـال:
-ماشي يا بيه.. لو احتجت أي حاجة تانية انا في الخدمة.
-انـا محتـاج حاجـة تانيـة.. ومسـتعد ادفـع فيهـا ضعـف الـلي خدتـه.. بـس مـش عـارف هتقـدر عليهـا ولا هتخـاف.
ردّ العامل طمعاً في المكافأة التي تقارب مرتبه الشهري:
-عيـب عليـك يـا باشـا.. نخـاف مـين بـس.. تحـب تاخـد جثـة على بعضهـا؟؟ قالهـا وهـو يبتسـم بفخـر لأنـه يمتلـك «قلـب ميت»
-لا.. انـا مـش عايـز الجثـة تخـرج.. انـا عايـز انـا أدخـل.. محتـاج أشـوفهم ٥ دقايـق بالعـدد.
-غـالي يـا باشـا والطلـب رخيـص.. بـس مـش بالنهـار.. ولا هتخـاف تدخـل هنـا بالليل.
ابتسم حسن، وقال:
-لا ماتقلقش عليّ.. تليفوني معاك.. هينفع الليلة دي؟
-بإذن الله.. هكلمك أقولك تيجي.

ركـب حسـن سـيارته، واتجـه لقهوتـه المُفضلـة في منطقـة الظاهـر، طلـب قهـوة وأخـرج مـن المظـروف تقاريـر الطـب الشرعـي الخاصـة بتشريـح جُثـة كل مـن داليـا وتذاكـر. وبـدأ يفحصهـا سريعـاً، وكأنـه يبحـث عـن معلومـة مُحـددة.
بعـد أقـل مـن دقيقـة أخـرج قلـم أحمـر مـن حقيبـة صغـيرة ورسـم دائـرة حمـراء حـول أحـد السـطور في تقريـر داليـا وهكـذا فعـل في تقريـر تذاكـر. ثـم أخـرج هاتفـه المحمـول والتقـط صـورة

لهما معاً، ثم دفع حسابه وغادر القهوة في اتجاه المنصورة.

وصلت غادة لمكتبها في الجريدة لتجِد ورقة على شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها تُخبرها أن تذهب لرؤية رئيس التحرير بمُجرد وصولها. جلست غادة تنظُر للورقة وكأنها تُعاتبها على وجودها. تنهدت بعمق في محاولة يائسة لطرد التوتر من داخلها لتبدو طبيعية.

رفع مجدي عينه ليجد غادة أمامه بعد أن وجدت باب المكتب مفتوحاً، فقال دون مُقدِمات:

-وصلنا لفين في تحقيقِك يا غادة؟؟ مفيش جديد؟؟

قالت بطريقة رسمية وبصوت متوتر:

-لسة شغالة عليه يا مستر مجدي.. كان عندي امبارح كذا حاجة ماعرفتش أركز.. بس هحاول أخلّص حاجة النهاردة.. وأجيبها تقول رأيك فيها.

-ماشي.. ياريت مش أكتر من كده.. علشان عايزين نشتغل على القضية وهي لسة سُخنة قبل ما تتنسي.

-حاضر يا فندم.

وهمّت بمغادرة المكتب، ولكنه قال:

-ثواني.. لما اخلّص كلامي.. ولو فيه أي شغل تاني بتفكري فيه بخصوص القضية.. ياريت أسمع منك.

حاولت قدر إمكانها، أن تمنع صوتها من الإرتعاش، غضباً وتوتُراً، لأنه لم يتحدث إليها أبداً بهذا الأسلوب الرسمي من

قبـل:
-مفيـش حاجـة في دماغـي لسـة.. بـس لـو فكّـرت في حاجـة هكلّـم حضرتـك عـلى طـول.
-ماشي.. مش هعطّلك.

وصـل عصـام مكتبـه ليجـد الرائـد هـادي والنقيـب هشـام في انتظـاره في مكتبـه يشربـان القهـوة، وأمامهـما عِـدة ملفـات.
-صباح الخير يا هادي بيه.. أزيّك يا هشام؟ أيه الجديد؟
قال هادي وهو يبتسم بسُخرية:
-احنـا شـغالين عـلى القديـم يـا عصـام بيـه.. الجديـد عنـدك انت.. مـش عارفـين نوصـل لعلاقـة بـين السـفاح وأي قتيـل.. ده حتـى في واحـد مـن الـلي اتقتلـوا كان في أبـو قـير.. فعـلاً حكايـة غريبـة.
قال عصام وهو يجلس خلف مكتبه:
-بالظبـط.. اعتقـد دي اصعـب حاجـة في القضيـة.. إنـك تقـدر تلاقـي العلاقـة.. ولـو لقيتهـا.. هتلاقـي القاتـل في ثـواني.. بخصـوص الجديـد.. انـا مسـتني رامـي بفواتـير التليفونـات التفصيليـة لداليـا وتذاكـر.. يمكـن نلاقـي بينهـم علاقـة.. أو نقـدر نربطهـم بشـخص تالـت.. ونشـتبه فيـه.
قال هشام:
-القضية دي مش هتتحل على فكرة.. انا متشائم.
قال هادي:
-كـده تبقـى مـش هتتحـل.. يـا أخـي بقولـك خليـك متفائـل

obeikan.com

وخلّي عندك ثقة في ربنا وفي نفسك.
قام هادي من مكانه، وأكمل:
-عموماً احنا بنفحص ملفات القضية.. وهندور على أهالي الناس اللي اتقتلت.. ونحاول نربطهم ببعض.. دعواتك يا عصام بيه.
قام عصام، ودار حول مكتبه، ومدّ يده لهادي وقال:
-ما بلاش بيه دي بقى.. القضية شكلها مطوّلة.. وانا زهقت منها بصراحة.. ربنا معاكم.. وأي جديد هنتقابل ونفكر فيه سوا.
-ماشي كلامك يا عصام.. ربنا معاك.

يصل حسن لمنزله بعد رحلة مُهلِكة للغاية. قبل أن يفتح باب شقته وجد ورقة تنتظره محشورة بين الباب وإطاره، التقطها وفضّها ليجد بها الجملة
«برجاءالإتصالبغادةعثمانمنجريدةالملامحالمصرية...»ومُزيّلة برقم هاتفها المحمول.

دلف لشقته، وتوجه مباشرة للغرفة الصغيرة التي لا يدخُلها غيره. أضاء النور وأمسك القلم الأسود، وتوجه للوحة التي تحتل حائطاً كاملاً في الغرفة، مسح علامات الإستفهام من أمام اسم غادة وكتب رقم هاتفها، ثم أعاد كتابة علامات الإستفهام مُجدداً بجواره. مرّت دقيقتان، وهو غارق في

التفكـير، في محاولـة لتوقـع مـاذا تريـد منـه هـذه الصحفيـة، وأي ريـح حملتهـا لطريقـه، قبـل أن يحـاول هـو التواصـل معهـا. أفـاق مـن أفـكاره مُتذكـراً المعلومـات الجديـدة التـي حصـل عليها مـن المنصـورة والتـي كان واثقـاً مـن عـدم عِلـم عصـام بهـا عـلى الأقـل حتـى الآن. لأنـه يعتمـد عـلى أسـلوب الداخليـة في توزيـع المهـام، الـذي طالمـا عـرِف حسـن إنـه غـير فعّـال. إذا أردت أن تُنجـز شـيئاً، فعليـك أن تقـوم بـه بنفسـك. هكـذا اعتـاد أن يقـول لنفسـه، ولزمـلاءه في العمـل.

توجـه للوحـة مُجـدداً، وبـدأ يكتـب المعلومـات التـي تحصّـل عليهـا، بعـد زيـارة أكـثر مـن خمسـة بيـوت، والتحـدث لأكـثر مـن رب أسرة مُتشـكِك:

داليـا سـافرت القاهـرة في أغسـطس ونزلـت عنـد هبـة صاحبتهـا مـن الجامعـة

هبـة بتشـتغل في مستشـفى التكامـل وجابـت شـغل لداليـا في مشتشـفى الكرامـة

هبـة سـابت الشـغل ورجعـت البلـد فجـأة بـدون سـبب في أول ديسـمبر

٨ ديسـمبر هبـة اختفـت واكتشـفوا جثتهـا بعـد يومـين غرقانـة في النيـل ورفـض أهلهـا تشريحهـا

٩ ديسمبر اتقتلت داليا

تـرك حسـن القلـم وعـاد للـوراء قليـلاً، وجلـس عـلى المقعـد الوحيـد في الغرفـة، وغـرق في تفكـير عميـق.

قطـع رنـين هاتـف حسـن المحمـول حالـة التفكـير العميـق التـي غـرق فيهـا، لدرجـة إنـه نظـر لهاتفـه المحمـول بإسـتغراب شـديد لثـواني وكأنـه مسـافر عـبر الزمـن ولا يعـرف ماهـذا الشئ الـذي يزعجـه. وفجـأة أدرك أن عليـه الـرد، فمـد يـده سريعـاً للهاتـف، كمـن يسـتيقظ مـن غفـوة جائـت في غـير موعدهـا فجـأة:

-ألو.

-شكلي صحّيتك من النوم.. عصام ناجي معاك.

-لا يا عصام مش نايم.. انا بس ساكت بقالي كتير.

-طب وراك حاجة الليلة دي؟

-لا خالص.. ولا بعمل أي حاجة.

-طب ماتيجي نتقابل على الكوبري.

-تمام.. مسافة السكة.

أخلـت غـادة جـزء كبـير مـن الحائـط المواجـه لمكتبهـا التـي اعتـادت أن تُذاكـر عليـه منـذ أن كانـت في المدرسـة، وبـدأت تُعلّـق عليـه مقـالات تخُـص جرائـم «سـفاح الأرقـام». كان المكتـب مُزدحـماً بالمقـالات والتحقيقـات التـي جمعتهـا عـلى مـدى السـاعات القليلـة الماضيـة. تقـوم هـي بإلتقـاط المقـالات، تلقـي عليهـا نظـرة سريعـة، ثـم تُثبّتهـا عـلى الحائـط في ترتيبهـا

الزمنــي دون كلــل كالنملــة.

انتفضــت فجــأة عندمــا رنّ هاتفهــا المحمــول، وســقطت بعــض المقــالات منهــا أرضــاً، نظــرت للهاتــف ولكنــه نقــل لهــا رقــماً غــير مُســجل في قائمــة الأســماء، فــردّت:
-ألو.
-ألــو.. مســاء الخــير.. حســن الشريــف معــاكي.. كنتــي ســيبتي نمرتــك عــلى بــاب شــقتي.
اعتدلــت فجــأة وبــدأت تســير في الغرفــة في علامــة واضحــة عــلى التوتــر، وقالــت بصــوت فضحــه التوتــر:
-أيــوة يــا فنــدم.. متشــكرة إنــك اتصلــت.. وبعتــذر عــلى إزعاجــك.. أقــدر أخــد مــن وقتــك دقايــق؟؟
-اتفضلي.
-شــكراً قــوي.. حضرتــك انــا غــادة مــن جــر... صمتــت، واســتمعت لمقاطعــة حســن:
-جرنال الملامح المصرية.. عارف.
-بالظبــط.. حضرتــك لــو مفيهــاش مشــكلة عنــدك.. انــا عارفــة إنــه موضــوع حســاس.. بــس كنــت محتاجــة اعمــل مــع حضرتــك Interview.. حضرتــك عــارف أن الــس.... صمتــت مُجــدداً لمقاطعتــه:
-مفيش أي مانع.. تحبي نتقابل إمتى؟
-بكرة لو يناسب حضرتك.

-كلمينـي أي وقـت.. وممكـن نـشرب قهـوة في النـادي جنـب البيـت عنـدي.
-متشـكرة جـداً.. هكلـم حضرتـك الصبـح وانـا جايـة.. مـع السـلامة.
أغلقـت الخـط، ونظـرت للهاتـف بسـعادة غامـرة لثـواني، ثـم بـدأت تُكمـل عملهـا بنشـاط جـدّده اعتـدال المـزاج ولـو قليـلاً.

يقـود حسـن سـيارته بتمَهُـل، وزجـاج سـيارته مُغلـق في محاولـة منـه لتهيئـة الجـو ليصفـو ذهنـه، ويسـتطيع التفكـير. يحـاول أن يصـل لحـل اللُغـز الـذي هـو بصـدده. يـرنّ هاتفـه المحمـول، بصـوت هـادئ بالـكاد مسـموع، ينظـر للهاتـف ليجـد رقـم عامـل المشرحـة عـلى الشاشـة:
-ألو.
-جاهز يا باشا؟؟
ينظُر في ساعته، ويُفكر لثواني، ثم يقول:
-ماشي.. هجيلك حالاً.. مع السلامة.

obeikan.com

obeikan.com

٢١

منتصف ليل الإثنين ١٦ ديسمبر ٢٠١٣

يصل حسن لموقف السيارات الذي اعتاد عصام أن يترك فيه سيارته في وسط البلد، ليجد عصام مستنداً لسيارته يُدخن سيجارته وغارقاً في تفكير عميق، لدرجة إنه لم يلحظ وصول حسن. نزل حسن وتوجه لعصام، الذي ابتسم عندما لمحه، مدّ يده وسلّم عليه:

-ازيّك يا حسن؟؟

-كويس.. بس انت مش كويس.. مالك؟؟ القضية معصلجة.. صح؟؟

نظر له عصام لثواني، كان يُفكر في مدى صِحة التحدث معه بخصوص القضية، ولكنه كان بالفعل يحتاج ليتحدث، شعر حسن بتردُده، فقال باسماً:

-بلاش كلام عن القضية لو قلقان احلّها قبلك.

obeikan.com

تحـرّكا في اتجـاه النيـل، وألقـى عصـام سـيجارته، وهـو يضحـك ويهـز رأسـه يمينـاً ويسـاراً، ثـم نظـر لحسـن وقـال:
-تصـدق.. لـولا إنهـا أرواح نـاس.. كنـت راهنتـك مـين يحلّهـا الأول.. بـس مايصحّـش.
-عنـدك حـق.. مايصحـش نتراهـن.. بـس ده مايمنعـش إني هحلّهـا قبلك .
-يووه.. برضه مش هتستفزني علشان اراهنك.

صمتـوا قليـلاً ونظـر كل منهـم أمامـه في اتجـاه النيـل، البـادي عليـه انعـكاس الأضـواء التـي تضـئ الـبر المقابـل، خلـف السـور الحديـدي الأسـود، وهـم يعـبرون الشـارع في اتجاهـه، ثـم سـارا بمحـاذاة السـور في اتجـاه كوبـري قـصر النيـل. ثـم قـال عصـام فجـأة بصـوت عـالي نسـبياً، كمـن كان يجاهـد لمنـع الـكلام، ثـم انهـارت مقاومتـه:
-مفيـش أي رابـط بـين داليـا وتذاكـر.. تليفوناتهـم مالهـاش أي علاقـة ببعـض.. مـش عـارف حتـى ابـدأ منـين.
نظـر لـه حسـن لثـواني، ثـم نظـر أمامـه، وبقـى صامتـاً، فقـال عصـام:
-أكيـد في طريقـة.. غلطـة.. بـس لسـة مـش قـادر اكتشـفها. قالهـا ونظـر لحسـن الـذي بقـى صامتـاً كالصنـم، وقـال:
-انت جاي تسمع بس؟؟
ابتسم حسن، ونظر له وقال:

-مش انت قولتلي أخر مرة مش عايز مُساعدة؟؟ انا احترمت ده.. انت شكلك محتاج تتكلم وانا بسمعك.

زفر عصام بضيق، فهو يعلم جيداً إنه لا يجب عليه أن يُشرك مدني في قضية، خاصة عندما تكون كبيرة كتلك التي يتحدث عنها، وخاصة أيضاً أن هذا الشخص أحد أطرافها بشكل أو بآخر، لأنه زوج أحد ضحايا السفاح، حتى وأن كانت الجريمة قد تمت منذ ثمان سنوات. ولكنه كان يرتاح لحسن، ويحتاج لصديق بشدة، منذ أن ترك شريف صديق عمره الخدمة، ويحتاج بشدة لأن يتحدث بصوت عالي عن القضية، ويسمع أفكار جديدة كما علّمه عمه.

كانوا قد مرّوا بجوار (الفرشة) التي اعتاد أن يتوقف عندها عصام، ووصلوا عند المكان الذي اعتاد أن يقف فيه عصام في منتصف النيل، أعلى كوبري قصر النيل. قال عصام وهو ينظُر للنيل، وكأنه لا يريد أن يرى حسن حاجته للمساعدة في عينيه، بعد فترة صمت طالت:

-انا مش محتاج مساعدة في القضية يا حسن.. انا محتاج حد اتكلم معاه.

قال حسن دون أن ينظُر له بدوره:

-عارف.

-عرفت منين؟

-باين عليك.
صمتوا قليلاً، ثم قطع حسن الصمت قائلاً:
-انت عادة في أي قضية بتبتدي منين؟؟
-دي مش أي قضية يا حسن.. القضية دي مُختلفة.. امتداد لقضية قديمة.. وانت عارف كده.
-مش يمكن الغلطة أنك بتعاملها وكأنها قضية مُختلفة؟؟
ظهرت ملامح الاهتمام على وجه عصام، اعتدل ونظر لحسن، الذي كان ينظُر للنيل، وقال:
-تقصد أيه؟؟
-انا ماقصُدش حاجة.. انا بحاول اساعدك تفكر.. بتناقش معاك.. يمكن توصل لحاجة.. انت الظابط هنا مش انا يا عصام.. وهو ده بالظبط اللي انت محتاجه.. تفكر بصوت عالي وترد على نفسك.. هتوصل للحل.

فكّر عصام لدقائق، لم يقطعها سوى صوت الأغاني التي لا رائحة فيها للفن، والتي أصبحت جُزء لا يتجزأ من الواقع المصري للأسف. ثم قال:
-أول حاجة بدوّر عليها الدافع.. أيه اللي خلّى اللي قتل يقتل.. وفي حالتنا دي.. أيه الحاجة اللي عاقب عليها السفاح تذاكر؟؟ وأيه اللي خلى تذاكر يقتل داليا؟
-صحيح.. أيه اللي يخلي تذاكر يقتل داليا؟؟
مط عصام شفتيه، وقال بصيغة السؤال:

-محاولة اغتصاب فاشلة مثلاً؟ سرقة؟؟ ماهو عيل بلطجي أصلاً.. وقليل لما بيبقى فايق.

-منطقي.. طب وأيه تاني؟؟

قال عصام مُحبطاً:

-ومفيش أي معلومة قادر أوصلّها في التاريخ اللي مكتوب على راسه.

فتح حسن فمه ليتحدث، ولكنه سمع صوت العجوز الفقير عزيز النفس قادماً من ناحية التحرير كالعادة يقول:

قالك هنبقى احسن من الغرب بمراحل..

داحنا حدانا في كل حاجة عباقرة وفطاحل..

فينك يا شوقي تقوم من تربتك تسأل؟؟

ازاي هنبني حضارة وأخلاقنا في النازل؟؟

اعتدل كلٌ من حسن وعصام وأسندا ظهريهما للسور وتابعوه بإنصات، فابتسم لهما العجوز لما لاحظ اهتمامهما بكلامه، فهذا قلّما يحدث معه، فقال وهو يُبطئ السير ليسمعوه:

زمان كان اللي يغلط وِشه كان يِحمَر..

ومش بعيد ده من قفاه بزفة كان ينجَرّ..

دالوقت قولة عيب بقت عيبة وبجاحة..

وفي كل حتة المسخرة ماعادش منها مفَر..

قالها وتملّكته رغماً عنه ملامح الإشمئزاز من الحال الذي

obeikan.com

وصل له شعبنا، ثم ابتسم ابتسامة جاهد لتبدو صافية، وأكمل سيره متمهِلاً كما اعتاد.

قال حسن وهو يتابعه بنظره:
-الراجل ده اعقل واحد في البلد.
-حكيم.. انا سمّيته عم حكيم.. وبحاول افتكر كلامه علشان كلامه يستحق...
قطع رنين هاتفه المحمول جملته، فمدّ يده والتقطه من جيب سترته بضيق:
-أيوة.
-أيوة يا عصام بيه.. عندنا بلاغ حالة سرقة بالإكراه في سوبر ماركت كبير.
نظر لساعته التي كانت تشير للثانية بعد منتصف الليل، وقال:
-ابعتلي العنوان في رسالة.. هتحرك حالاً.

أغلق الخط، ونظر لحسن مُعتذراً، الذي بدا عليه التفهُم.
بدأ حسن يتحرك في اتجاه موقف السيارات، ومعه عصام، الذي قال بطريقة من واتته فكرة وقرر تنفيذها دون تفكير:
-ماتيجي معايا.. ولا عايز تنام؟؟
نظر له حسن وابتسم:
-لا انا مش عايز انام.. بس مش تقولي معايا فين الأول؟؟

obeikan.com

-جريمة سرقة في المنطقة.. تعالى هتتبسط.

ابتسم حسن مُعلنا موافقته على الذهاب مع عصام، الذي ابتسم من قلبه. كان كل منهم يُدرك في تلك اللحظة أن ثمة علاقة صداقة بدأت بالفعل تتكوّن بينهم. فحسن الذي يعيش وحيداً منذ مقتل زوجته، في أشد الحاجة لصديق. وعصام الذي فقد صديقه شريف منذ أن تركه وتوجه للعمل الخاص، وأصبح شِبه غريباً عنه، كان أيضاً في أشد الحاجة لصديق.

وصل عصام ومعه حسن للمكان الذي تمت فيه السرقة، كان سوبر ماركت كبير، قد تعرض للسرقة. قدّم عصام رفيقه حسن لزملائه على أنه صديق. بدأ عصام يحقق في أمر السرقة، ومعه حسن الذي كان هادئاً، وإن كان يتابع جيداً كل ما كان يحدث أمامه، وكانت ملامحه يبدو عليها الإنبهار والإستمتاع، وكأنه طِفل يذهب لأول مرة مع والده لمكان عمله ليكتشف عالم جديد عليه.

بعد ساعة إلا قليل وبمجرد أن ركب حسن بجوار عصام السيارة، ليَقله للموقف في وسط البلد حيث ترك سيارته، سأله عصام:
-ها؟؟ أيه رأيك؟؟

قال حسن وهو يفتح النافذة بجواره:

-الواد شلبي بتاع الأمن هو اللي سهّل سرقة الفلوس.. لناس تبعه .

نظر له عصام بدهشة عارمة، وانفجر ضاحكاً بصوت عالي، وقال والضحك يقطع كلامه:

-انا كنت بسألك أيه رأيك في الشغل.. تقوم تقولي مين الحرامي؟؟ ياعم بالراحة علينا.

ضحك حسن وقال:

-معلش.. والله افتكرتك بتسألني عن القضية.. لا طبعاً كنت مبسوط وعايز أكررها.

نظر له عصام مُجدداً، وقال بإستغراب:

-هو انت بتتكلم بجد؟؟

-بخصوص أيه؟؟

-إن الحرامي هو بتاع الأمن؟؟

قال حسن بثقة:

-انا متأكد.

نظر عصام أمامه لثواني وكست الجدية ملامحه، ثم نظر لحسن وقال:

-انا كنت فاكرك بتخمّن.. بهزار يعني.. طب ماتقولي ليه متأكد بقى.. منك نستفيد.

اعتدل حسن، وقال بثقة بلهجة من كان يتوقع السؤال:

obeikan.com

-أولاً.. مدير المكان قالك إن الإيداعات بتتعمل كل يوم أحد.. بس الإسبوع ده الإيداعات اتأخرت علشان كان فيه مظاهرات قاطعة الطريق.. ففضّلوا يستنوا لبكرة.. النقطة دي أكدت لي إن في حد من المكان متواطئ.. لأن السرقة لو تلاحظ تمت في أكتر ليلة المحل فيه كاش.. ثانياً.. وانت بتتكلم انا فتحت المواقع على التليفون.. محدش جاب سيرة مظاهرات في الحدايق.. مش معنى كده إنها محصلتش.. بس معنى كده إن حد قالهم عنها.. ولما سألت المدير عرف منين عن المظاهرات.. قال إن شلبي ساكن قريب من البنك وشافها وهو جاي الصبح.. يعني شلبي هو اللي عطّل الإيداعات من النهاردة لبكرة.. ثالثاً.. لو لاحظت في حكاية المحاسب وهو بيحكي لك اللي حصل.. قالك إن المُلثمين اللي سرقوا المحل قالوا احنا هنولع في البلد طول ما الحكم العسكري موجود والإنقلاب والكلام الفارغ ده.. وده مش منطقي أبداً.. وده خلاني افكر أيه اللي يخلي واحد حرامي يقول الكلام ده وهو داخل يسرق؟؟ التفسير المنطقي الوحيد إنه يبعد الشك عن حد هيكون في دايرة الشك.. لكن انقلاب مين وعسكر مين اللي هيفكر فيهم حرامي جاي يسرق؟؟ رابعاً.. والمحاسب بيحكي طريقة السرقة قال وبعد ما أخدوا الفلوس من الخزنة.. وكانوا مثبتين شلبي والكاشير على الأرض.. واحد منهم ضرب شلبي بضهر السلاح على دماغه فتحها له.. وده برضه مش منطقي.. أيه اللي يخليني كحرامي بعد

ماسرقت أفكر أضرب حد.. وماعرفش رد فعله هيكون أيه.. ماهو ممكن ياخدها على كرامته ويقوم يمسك فيّ وتبوظ الشغلانة.. المنطقي إن أول ما أخد الفلوس.. مش هفكر غير في الهرب.. وده اللي أكد إن حركة ضرب شلبي كان متفق عليها علشان يبعدوا عنه الشك.. بس اتنفذت بغباء.. يمكن نسيوا ومافتكروش إلا وهما خارجين.. وسادساً.. احنا وصلنا خامساً ولا.. خامساً.. مش منطقي أبداً حرامية يدخلوا يسرقوا سوبر ماركت ومايفكروش يسرقوا درج الفلوس بتاع الكاشير.. ماهو ده اللي منطقياً بيكون فيه الفلوس.. إلا لو كانوا عارفين كويس إن الفلوس معظمها في الخزنة.. وكمان محدش لمّح إنهم سألوا على مكان الخزنة.. وأتحداك.. لما تشوف تسجيل كاميرات المراقبة.. هتلاقي الحرامية كانوا عارفين مكان الخزنة قبل ما يدخلوا.. وده برضه يثبت إن العملية فيها حد من المكان.. بس كده.

أنهى حسن كلامه وصمت انتظاراً لرأي عصام في نظريته. ولكن عصام كان في حالة ذهول غير عادية، كان ينظُر له وكأنه يرى أمامه كائن خرافي قادماً من عالم آخر. وبعد فترة ليست بالقليلة من الصمت، قال عصام بصوت تملأه الدهشة:

-انت ازاي أخدت بالك من كل ده؟؟ انت ازاي مش ظابط مباحث؟؟

ضحك حسن وقال:

-على فكرة انا ماخدتش بالي من أي حاجة اكتر من اللي انت لاحظتها.. لكن انا عندي موهبة من وانا صغير إني بعرف اربط كل حاجة ببعض أسرع شوية من الطبيعي.. ماعرفش بيسموها أيه.. قوة ملاحظة.. ولا ذكاء.. ولا عقلية تحليلية.. بس انا عندي الموهبة دي فعلاً.. بشوف كل حاجة.. وبعرف اترجمها. صمت لثواني ثم أكمل:

-تصدق في الأول كنت بستغرب ازاي مش كل الناس بتلاحظ اللي انا بلاحظه من غير مجهود.. بس بعد فترة أدركت إني مُميّز.

كانت دهشة عصام مازالت مُسيطرة على ملامحه، وأضيفت إليها ملامح الإنبهار، لتعلو وجهه ابتسامة إعجاب واضح بذكاء صديقه الجديد، وأيضاً سعادة لمعرفته. فقال حسن مازحاً:

-أيه ياعم عصام؟؟ مش هتقفل بوقك ده بقى وترُد عليّ؟؟

أغلق عصام فمه، الذي كان فكه السُفلي -رغماً عنه- مازال ساقطاً، وقال:

-لا انت مش طبيعي.

-يعني اقتنعت بكلامي.

فتح عصام عيناه على آخرهما، وقال بدهشة:

-مقتنع؟؟ انت بتهزر؟؟ انت كلامك مسابش نقطة شكّ جوايا.. هستنى بكرة الواد ييجي القسم وهخليه يعترف.. قال مقتنع قال.

ثـم نظـر لحسـن، وقـال وهـو يقـف بسـيارته بجـوار سـيارة حسـن:

-الوقـت اتأخـر.. روّح وبكـرة لازم نتقابـل علشـان افهـم حكايـة شـارلوك هولمـز الـلي لابسـك ده.. ماتيجـي اعزمـك بكـرة عـلى الغـداء في البيـت عنـدي؟؟ وتقابـل نشـوى ومَلـك.

-بكـرة مـش ضامـن ظـروفي.. خلينـا عـلى تليفـون.. بـس أكيـد عايـز اتعـرف عليهـم.

-اتفقنا.

obeikan.com

٢٢

الأربعاء ٢٣ أغُسطس سنة ٢٠٠٥

كشاهِد قبر، تقبع رسالة الإنتحار على صدر جثة مراهقة، فوق سريرها، صغيرة السن وإن كانت ملامحها الطفولية تبدو وكأنها قد شاخت بفِعل الحُزن المطبوع عليها.

«سامحيني يا أمي.. انا غلطت.. ويارب ابن الحرام اللي في بطني يسامحني»

obeikan.com

obeikan.com

٢٣

صباح الثلاثاء ١٧ ديسمبر ٢٠١٣

حسن يقف بجوار سرير صغير، في غرفة تخلو من كل شئ ماعداه والسرير، ينظُر لشاب مصلوباً فوق السرير، يداه مُقيدتان في قائمي السرير. وقدماه مقيدتان في بعضها البعض. كانت ملامح الشاب هي نفسها ملامح حسن ولكن زاد عليها الفزع الشديد، كان الضوء خافت شِبه مُنعدم. قال حسن -الواقف- بصوت عميق، تردد في الغرفة وكأنه ألف صوت:
-ماتسألش سؤال انت عارف إجابته.. انت اللي قتلت نادية.. وانا مش محتاج دليل.. انا عارف إن كلامي صح.. انا دايماً كلامي صح.

ارتعد الشاب المصلوب بشدة، وحاول بقوة انتزاع يداه من الأربطة القوية التي تُقيدها، فتسببت الأربطة، أو بالأحرى

obeikan.com

محاولـة خلاصـه منهـا، في جـرح معصميـه، وتاهـت رعـدة فزعـه وسـط محاولاتـه اليائسـة للخـلاص.

تحـرك حسـن ومـد يـده التـي تحمـل مـشرط جراحـة، وقـام بقطـع شرايـين معصـم الشـاب الأيمـن بثقـة جـرّاح متمـرس. كان الفـزع باديـاً عـلى ملامـح الشـاب المصلـوب، الفـزع كان حـاضراً في أنفاسـه المتسـارعة، وتأوهاتـه التـي يطلقهـا كلـما حـاول تخليـص يـده مـن قيدهـا، فيؤلمهـا، ولا يقـترب بهـا مـن خلاصهـا. دار حسـن حـول السريـر، وقطـع شرايـين معصـم الشـاب المُقيّـد اليُـسرى بنفـس الثقـة والسلاسـة. ثـم وقـف عنـد قدمـي الشـاب يشـاهد جولـة عذابـه الأخـيرة، في هـذه الحيـاة عـلى الأقـل، بإسـتمتاع سـاديّ.

انتفـض حسـن مفزوعـاً مـن كابوسـه المُزعِـج، عـلى صـوت رنـين هاتفـه المُلِـح، كان يتصبـب عرقـاً وينهـج، وكأنـه يحـاول ان يحصل عـلى نصيبـه مـن هـواء الغرفـة قبـل أن ينفُـذ. نظـر لهاتفـه ليجـد رقـم هاتـف الصحفيـة غـادة عثـمان يُطالبـه بالـرد الفـوري. فتـح الخـط وقـال بصـوت مسـموع بالـكاد:
-أ... لم يخرج صوته في المحاولة الأولى، فحاول مرة أخرى:
-ألـو.. أيـوة أيـوة سـامعك.. مـع.... ثـواني بـس اسـمعيني.. اديـلي ١٠ دقايـق بـس وهكلمـك.. سـلام.
ألقـى الهاتـف بجـواره عـلى السريـر، واسـتطاع بعـد أكـثر مـن

محاولـة أن يقعـد عـلى طـرف السريـر. كان رأسـه يؤلمـه بشـدة، ولا يعـرف السـبب تحديـداً، إن كان بسـبب السـهر، أم بسـبب الكابـوس الـذي أقلـق نومـه.

أمسـك رأسـه بكفيـه، وأسـند مرفقيـه عـلى ركبتيـه، وتنهّـد تنهيدة طويلـة، وكأنـه يحـاول طـرد بقايـا الكابـوس مـن روحـه.

بعـد سـاعة ونصـف، كان حسـن يقـف أمـام بـاب النـادي الـذي اعتـاد أن يذهـب إليـه كل صبـاح، قبـل أن يبـدأ التحقيـق في القضيـة التـي انتزعتـه مـن روتـين حياتـه انتزاعـاً. يمسـك الجريـدة اليوميـة في يـده، رنّ هاتفـه المحمـول برقـم غـادة، فنظـر حولـه، فرآهـا قادمـة في اتجاهـه، جميلـة كأحـلام اليقظـة، لم يـرُد عـلى مكالمتهـا، وتوجـه إليهـا. نظـرت لـه بتسـاؤل، فابتسـم وقـال:

-حسن الشريف. ومدّ يده ليصافحها.

ابتسمت، وصافحته، وقالت:

-معلش لو اتأخرت.. أصل الركنة هنا صعبة جداً.

قال هو يفسح لها الطريق لتتقدمه ليدخلوا النادي:

-هنا بس؟

ابتسمت وقالت:

-عندك حق.

جلسـا عـلى نفـس الطاولـة التـي اعتـاد أن يجلـس عليهـا كل صبـاح، وبـدأت غـادة تحـضّر للحـوار الصحفـي، كعادتهـا، بنفـس

خطواتها، وكأنها طقوس مُقدسة. أخرجت المُسجلة ووضعتها أمامها، ثم الكراسة التي تحوي أسئلتها، ثم أقلامها، وحسن يتابعها باسماً. جاء عم عِفت بدون قهوته المعتادة، وسأل:

-الهانم تشرب أيه؟

نظرت له غادة بشرود لثواني، بعدما قطع طقسها التي كانت منغمسة فيه بكل حواسها، وقالت بعد أن أدركت الموقف:

-قهوة مظبوطة.. بس في كوباية من فضلك.. حبة كتير كده.

وابتسمت بوِد ابتسامة عريضة.

نظر عم عِفت لحسن، نظرة ذات مغزى، وقال:

-العادي يا حسن بيه؟؟ ولا في جديد النهاردة؟؟

ابتسم حسن عندما أدرك ما يرمي إليه عم عِفت بسؤاله، وقال:

-لا مفيش جديد يا عم عِفت.. انت عارفني.

ذهب عم عِفت، واعتدلت غادة ووضعت قدم فوق الأخرى كعادتها عند بداية أي حوار صحفي، وقالت:

-من فضلك انا هسجل الحوار علشان ارجعله في الجرنان وأفرّغه.. يضايقك؟؟

قال حسن، وكأنه لم يسمع سؤالها:

-أيه رأيك في مقالة مجدي كارم النهاردة يا أنسة غادة؟؟

عقدت حاجبيها، فهي لم تتوقع السؤال، وقالت:

-انا ماقريتهاش للأسف.. جيت من البيت على حضرتك على طول.. ليه بتسأل؟؟

-مش عارف.. أصله بيطرح وجهة نظر جديدة خالص.. فكنت عايز أعرف رأيك.. بصفتك المُحققة اللي ماسكة القضية في الجرنان.

لم تستطع غادة من كتمان فضولها، فمدّت يدها لهاتفها المحمول، وفتحت صفحة مقالات مجدي كارم، وبدأت تقرأ المقالة.

ليه لأ

بقلم مجدي كارم

منذ ظهور جثة البلطجي في حدائق القبة، وكل وسائل الإعلام، والبرامج المُهتمة بالشأن الداخلي، وأكاد أجزم أن الداخلية أيضاً، تتحدث عن«عودة» سفاح الأرقام، الذي أطلقت انا عليه منذ سنوات لقب «سفاح الأرقام». وكأن السفاح كان في أجازة وضع، وعاد بعدها ليكُمل ما بدأه.

في حقيقة الأمر، ليس من المنطقي أن نتحدث عن عودة من كان يقتل منذ ثمانية عاماً للقتل، لعدة أسباب. منها عامل السن، فالذي كان يقتل منذ ثمانية عاماً، ليس لائقاً بدنياً بالطبع كما كان وقتها، خاصة لو كان يأكل ويشرب «من نيلها».

كـما أن دوافـع القتـل التـي انعدمـت عنـد القاتـل لمـدة ثمانيـة عامـاً، كيـف تعـود فجـأة لتدفعـه للقتـل بعـد سـبات أهلالكـه فالـذي أصابـه؟؟ فليـس مـن المنطقـي أن يتوقـف فجـأة عـن القتـل طـوال هـذه المـُدة، ويعـود فجـأة بعدهـا. فـلا توقـف فسـاد، ولا اسـتيقظت ضمائـر، ولا اعتدلـت مائلـة. فلـماذا توقـف في البدايـة؟؟ ولمـاذا يعـود الآن؟؟

كلـما أحـاول توصيلـه هنـا، هـو أن اعتبـار السـفاح مُجـرد شـخص، هـو عـين الخطـأ.

لمـاذا لم تُطـرح نظريـة أن القاتـل هـذه المـرة، هـو رجـل ألهمتـه تجربـة السـفاح، فقـرر تكرارهـا. أو إنـه شـخص وجـد أن المجتمـع مـازال في حاجـة لمثـل هـذا السـفاح الـذي لا يقتـل الأبريـاء، ولكنـه يُعاقِـب الذيـن أفلتـوا مـن عِقـاب يسـتحقوه.

بالطبـع لسـت ممـن يؤيـدون هـذا الفكـر، أو يعتقـدون أن وجـود مثـل هـذا السـلوك شئ مطلـوب. بالرغـم مـن أن النظـام القضائي مـازال أمامهـا لكثـير ليصبـح قـادراً عـلى ردع وعقـاب كل مـن يسـتحق. وبرغـم مـن زيـادة نسـبة الفسـاد عـما كان تعليـه عنـد ظهـور السـفاح، ولكـن في النهايـة، نحـن كشـعب لابـد أن نقـف خلـف القانـون ونطالـب بتنفيـذه، وأن نُجـرّم مثـل هـذه الجرائـم، حتـى ولـو كانـت تُرتكـب ضـد مـن يسـتحقها.

obeikan.com

هذا لأننا نحلم بوطن أفضل، وليس غابة وإن كانت عادلة.

أنهـت غـادة قـراءة المقالـة، وسرحـت بعدهـا لدقائـق، وعندمـا أفاقـت نظـرت لحسـن بدهشـة، ثـم بخجـل، لتركهـا أيـاه كل هـذه المُـدة دون Interview أو اعتـذار. ابتسـم حسـن وأشـار للقهـوة التـي لم تلحـظ وصولهـا، وقـال:
-قهوتك هتبرد.
ابتسـمت بإرتبـاك، وأعـادت خصلـة مـن شـعرها خلـف أذنهـا اليمنـى، وقالـت:
-معلـش يـا أسـتاذ حسـن.. سـامحني.. بـس القضيـة دي أصلهـا شـغلاني جـداً.
-شغلاكي ازاي؟؟
مدّت يدها للقهوة ورشفت منها رشفة سريعة، وقالت:
-مش عارفة.. بس مش متطمنة ومش فاهمة حاجة.
سألها حسن:
-أيه رأيك في وجهة نظر مجدي كارم؟؟
قالت بإندفاع:
-مـش مقتنعـة بيهـا طبعـاً.. هـو أيـه الـلي حـد غـيره هـو الـلي قتـل؟؟ ده كـده بيحـاول ينفـي التهمـة عـن السـفاح ويعمـم الإشـتباه.
أدركـت بعدمـا أنهـت الجملـة إنهـا مـا كان يجـب أن تندفـع هكـذا، خاصـة أمـام غريـب تقابلـه للمـرة الأولى، وخاصـة أيضـاً

إنهـا تهاجـم مديرهـا ووالدهـا الروحـي في مهنـة الصحافـة، فصمتـت ونظـرت لقهوتهـا وملامحهـا تحمـل كل ضيـق الدنيـا. لاحـظ حسـن ضيقهـا، فاعتـدل في جلسـته، واقـترب بوجهـه منهـا وقـال بصـوت هـادئ:

-ممكـن ماتزعليـش مـن نفسـك كـده؟؟ انتـي ماقولتيـش اكـتر مـن وجهـة نظـرك.. وده حقـك.. زي مـا مجـدي بيعمـل بالظبـط.. مالـك بقـى مخنوقـة مـن نفسـك كـده ليـه؟؟

نظـرت لـه غـادة لثـواني، وكأنهـا تسـأل نفسـها عـن إمكانيـة الفضفضـة معـه فيـما تحملـه مـن هـمّ، ثـم هربـت منـه لقهوتهـا مُجـدداً. أراح حسـن ظهـره عـلى كُرسـيه، وهـو ينظـر لهـا بتركيـز، وأعـاد المشـهد في بالـه منـذ جلسـا حتـى هـذه اللحظـة، ثـم ابتسـم وقـال:

-غـادة.. اسـمحيلي اقولـك يـا غـادة. فأبتسـمت وأومـات برأسـها إيجابـاً، ورشـفت رشـفة مـن القهـوة، فأكمـل:

-انتـي شـاكّة إن مجـدي كارم عـلى علاقـة بالقاتـل أو يعرفـه وعلشـان كـده كتـب مقالـة النهـاردة ينفـي فيهـا عنـه التهمـة.. مـش كـده؟؟

نظـرت لـه غـادة بدهشـة لثـواني، وتجمّعـت دمـوع داخـل عيناهـا الجميلتـين، وكأن شـكواها ترفـض أن تظـل داخلهـا بعـد أن شـعر بهـا أحدهـم. تأثـر حسـن بدموعهـا، فأقـترب منهـا وقـال بإهتـمام:

-في أيه بس؟؟ مالك يا غادة؟؟
صمتت لثواني في محاولة يائسة للسيطرة على انفعالاتها، ثم اندفع منها الكلام، كخيل السباق عند سماعها رصاصة الانطلاق:
-أستاذ مجدي ده صاحب فضل كبير عليّ.. يمكن اكتر من أهلي.. بس من كام يوم وانا بعمل معاه Interview هاجمني بشدة لمجرد إني لمّحت لبشاعة السفاح.. غلط فيّ وشكك فيّ كصحفية.. ودافع عنه بإستماتة كأنه اخوه أو يعرفه. مسحت دموعها التي خرجت بإندفاع اكثر من الكلام، بعد أن صمتت عن هذا الحِمل منذ السبت، ولم تستطع تحمله اكثر من ذلك. أخرجت منديل من حقيبتها، ومسحت وجهها، وبدأت تعيد السيطرة على انفعالها، ثم نظرت لحسن بخجل، وقالت:
-مش عارفة اعتذر لك ازاي.. بس كنت مخنوقة.. من فضلك اعتبر اللي حصل ده محصلش.
-مفيش داعي للإعتذار خالص.. احنا بشر.. على فكرة.. من وقت للتاني البني آدم بيحتاج حد يشيل معاه شوية.. ده العادي.. مش حاجة نعتذر عنها.. ومن فضلك بقى اسمحيلي اشتكيلك انا كمان.. وانكد عليكي انا كمان زي ما نكدتي عليّ.. ممكن؟؟
ضحكت غادة ضحكة سريعة، بعد ما شعرت بإرتياح لأسلوب حسن، الذي أخرجها تماماً من حالة الضغط التي كانت بها منذ أيام، وقالت:

-ياريت.. علشان مافضلش حاسّة بالذنب.
-النهاردة شوفت كابوس كان بقالي سنين كتير مش بشوفه.. من بعد ما ماتت مراتي وانا فضلت اشوف الكابوس ده.. إني بقتل نفسي بنفس طريقة السفاح.. وبحمّل نفسي مسئولية موتها.. وبعد فترة روحت لدكتور نفساني فسّر ده بأني حاسس بالتقصير لأني ماكنتش جنبها علشان احميها.. وأخدت أدوية وبقيت تقريباً مُدمنها.. وبعد فترة وقفت مع نفسي وبطّلت الأدوية وتدريجياً الكوابيس اختفت.. النهاردة رجعت شوفت الكابوس تاني لأول مرة من سنين.. غالباً علشان القضية اتفتحت تاني.. شوفتي بقى إنك حالتك احسن كتير من غيرك؟؟
ظهر التأثُر على ملامح غادة جليّاً، ولم تعرف ماذا تقول، فأكمل حسن:
-انا قبلت الواقع الحمد لله يا غادة.. ومش محتاج تعاطف ولا شفقة.. ربنا ما بيظلمش حد.. انا بس حبيت اشاركك زي ما شاركتيني.
ابتسمت غادة له بصِدق، وقالت:
-شكراً يا حسن.. اسمحلي أقولك حسن.
أومأ برأسه موافقاً، وقال:
-شكراً على أيه؟؟
-علشان انت ماكنتش مضطر تعمل اللي عملته ده علشان تخفف عني.. بس انت عملت كده علشان تحسسني إن

احنـا زي بعـض.. فتخفـف عنـي.. وفعـلاً نجحـت في كـده.. بـس انـا عنـدي سـؤال مهـم جـداً.

ابتسم وقال:

-خير.

-انـت عرفـت منـين إن انـا بشُـك في مسـتر مجـدي إنـه يعـرف السـفاح؟؟

-مـن سـاعة مـا شـوفتك الصبـح وبايـن عليـكي القلـق و قِلـة النـوم.. بـس ده انـا توقعـت إن سـببه القضيـة الكبـيرة الـلي انتـي شـغالة عليهـا.. لكـن لمـا سـألتك رأيـك في نظريـة مجـدي بافـتراض إنـك قريتـي المقـال.. لقيتـك اتاخـدتي.. ونسـيتي أصـلاً إني قاعـد قصـادك.. وقريتيهـا مرتـين. اتسـعت عينـا غـادة بدهشـة رغـماً عنهـا. فأكمـل حسـن بعدمـا أدرك صِحـة تحليلاتـه كالعـادة:

-ودي بصراحـة غلطـة ماتغلطهـاش صحفيـة شـاطرة زيـك.. وانـا عرفـت إنـك شـاطرة لأنـك لـو مـش شـاطرة كان لا يمكـن مجـدي يسـيبلك القضيـة دي تشـتغليها.. التفسـير الوحيـد الـلي يفـسر اهتمامـك بـكلام مجـدي اكـتر مـن حـوارك معايـا هـو إنـك منتظـرة منـه حاجـة مُحـددة.. ولمـا سرحتـي بعـد المقالـة.. كان بايـن جـداً عـلى ملامحـك خيبـة الأمـل.. وبالتـالي اتأكـدت إنـك مالقيتيـش الـلي كنتـي مسـتنياه.. وفي الحالـة دي انتـي كنتـي مسـتنياه يهاجـم السـفاح ليطمـئن قلبـك.. بـس بعـد طـرح نظريتـه دي اتأكـدت نظريتـك وزاد شـكِك فيـه.. وماحتاجتـش انـا اكـتر مـن سـؤال «أيـه رأيك؟»علشـان تقـولي انتـي بنفسـك إنـه

بينفـي التهمـة عـن السـفاح.. بـس كـده.
كان الذهـول مُتملـكاً مـن غـادة، تنظـر لحسـن بانبهـار، وبعـد ثـواني مـن الصمـت، قالـت:
-انا بعد كده اخبي وشي وانا بتكلم معاك بقى.
ضحك حسن وقال:
-هعـرف برضـه الـلي عايـزه مـن صوتـك.. وبعديـن أصـلاً تخبـي ليـه؟؟ مفيـش حاجـة تسـتاهل تسـتخبى.. الـكلام بيريّح.. اسـأليني انـا.
-عندك حق فعلاً.. متشكرة بجد.
اعتدل حسن ونظر لغادة في عينيها وسأل بإهتمام:
-بـس انتـي مـش شـايفة إنـه مـن الظلـم إنـك تشُـكّي في مجـدي لمُجـرد إنـه دافـع عـن السـفاح؟؟
-انـا مـش مرتاحـة مـن سـاعة ال Interview.. مـن سـاعتها وهـو بيعاملنـي رسـمي.. وكأنـه بيوصـلّي رسـالة.. مـش عارفـة يقصـد أيـه.. أو بيعمـل كـده ليـه.
فكر حسن لثواني، ثم قال:
-عمومـاً.. احسـن طريقـة تحسـمي بيهـا الشـكّ ده.. علشـان تقـدري ترجعـي لطبيعتـك تـاني.. هـي إنـك تواجهـي مجـدي بشـكوكِك.. وهـو الـلي هيحـدد بـرَد فعلـه إن كنتـي هتتأكـدي إنهـا مُجـرد شـكوك.. ولا هيزيـد اقتناعـك إنـه مـش تمـام.
ردّت غادة بإستنكار واضح:
-نعـم؟!!! انـت أكيـد بتهـرج.. بقولـك كان هياكُلنـي لمُجـرد إني

قُلت على السفاح كلمتين.. اروح أواجهه؟؟!! انا عمري ما شُفته كده.. ده بجد كان مش طبيعي.

-مش يمكن علشان هو مقتنع بتجربة السفاح.. وبيدافع عنها.. اقصد عن فكرة إن يكون عندنا Vigilante.. مش لازم يكون يعرف السفاح شخصياً.

نظرت له غادة ثواني لتقيّم تحليل حسن، ثم قالت:

-منطقي.. ممكن يكون بيدافع عن الفكرة.. مش الشخص.. ولا عن أساليبه.

سرحت غادة لثواني، في محاولة لإقناع نفسها بنظرية حسن، فهي تتمنى أن يكون على حق، وأن يكون اختلافها مع رئيسها في وجهات النظر، وليس أخلاقياً كما تظُن. ثم قالت فجأة:

-أيه ده؟؟!! الوقت سرقنا وماعملناش أي حاجة.. ينفع كده؟؟ ونظرت لحسن بابتسامة وهي عاقدة حاجبيها في تمثيل للغضب، مما زادها جمالاً. نظر لها حسن متسائلاً، فمدّت يدها للمُسجلة، ولكن سبقتها يد حسن إليها، بعدما أدرك نيّتها، فنظرت له بنظرة تساؤل، فقال بهدوء:

-عايز اصارحك بحاجة.. بس ياريت ماتزعليش.

-خير. قالتها بتوجُس.

-انا اصلاً مش موافق اعمل Interview مع الجرنان.. بس وافقت اقابلك علشان كنت عايز اتعرف عليكي.

نظرت له غادة وملامحها تجمع بين الإستغراب والتساؤل،

obeikan.com

وقبـل أن تتكلـم، أكمـل حسـن:
-انتـي زي القمـر أه.. بـس ماتفهمنيـش غلـط.. انـا ماكنتـش عايـز اقابلـك عشـان كـده.. انـا بصراحـة يـا غـادة بـدوّر عـلى الـلي قتـل تذاكـر.. ومحتـاج كل مسـاعدة ممكـن اوصـل لهـا علشـان اعـرف مـين هـو.. وانتـي صحفيـة وليـكي مصـادرك.. وفي المقابـل كل حاجـة هوصـل لهـا انتـي أول حـد هيعرفهـا.. تبـادل منفعـة يعنـي.. انتـي مـش خسرانـة حاجـة.
كانـت غـادة تنظُـر لـه وبـوادر غضـب تلـوح عـلى أفُـق ملامحهـا، لاحظهـا حسـن بالطبـع، فقـال:
-انـا آسـف لـو ضايقتـك.. بـس صدقينـي انـا مبسـوط إني كدبـت عليـكي علشـان اقابلـك.. مـش ندمـان. قالهـا وابتسـم لهـا، حاولـت هـي أن تمنـع نفسـها مـن الإبتسـام ولكنهـا فشـلت، فالتقطـت قهوتهـا لتـداري ابتسـامتها. لاحـظ حسـن محاولتهـا الفاشـلة في التماسُـك، وهروبهـا منـه بإدّعـاء الإنشـغال بقهوتهـا، فاحـترم خجلهـا ونظـر بعيـداً لثـواني حتـى تمـر موجـة الخجـل دون إحراج.

بعـد دقائـق مـن الصمـت، قالـت غـادة بصـوت جاهـدت لتجعلـه طبيعيـاً في محاولـة منهـا لتغيـير الموضـوع:
-طـب مـاشي.. انـا مـش زعلانـة.. بـس عنـدي كـذا سـؤال محتاجـة اعرفهـم.. ومـش علشـان الجرنـان.. ده ليّ انـا. ثـم تداركـت نفسـها، وقالـت:
-كمُحققة في القضية يعني.. لو... لو مفيش عندك مانع.

ابتسم حسن عندما لاحظ ارتباكها الواضح، وقال:
-اسألي اللي انتي عايزاه يا سيادة المحققة.
قالت بجدية مُصطنعة:
-ماشي.. اتريق اتريق.. س سؤال: هتعمل أيه لما تعرف إن شاء الله القاتل؟؟
-ج جواب.. هقولك عليه.. وهبلغ الشرطة.
عقدت حاجباها وسألت بجدية و لكن غير مصطنعة هذه المرة:
-امممم.. س سؤال: انت ليه اتقبض عليك زمان واشتبهوا فيك إنك السفاح؟؟!!
كسَت الجدية ملامح حسن، واعتدل في جلسته، وظهر الضيق على ملامحه، فلاحظت غادة، وقبل أن تنطق، لاحظ حسن ضيقها بسبب ضيقه، فقال وهو يشير بيده:
-انا ماتضايقتش من السؤال.. بالعكس.. كل الحكاية إن دي فترة من أصعب الفترات اللي مرّيت بيها في حياتي.. وطبيعي سيرتها بتجيب معاها ذكريات. ثم أخذ نفس طويل وأخرجه بتنهيدة مماثلة، وأكمل بصوت حزين:
-ج جواب.. اللواء مصطفى ماشتبهش فيّ إني السفاح على فكرة.. هي بس الجرايد اللي كتبت كده ساعتها.. شغل جرايد يعني.. الإشتباه كان إني قتلت دكتور.. بنفس طريقة السفاح علشان السفاح اللي يلبسها.. وطبعاً حصل اللي حصل.

كانـت ملامـح غـادة تكسـوها الشـفقة، وقالـت بصـوت خـرج منهـا ضعيـف:
-وكان إيه سبب الإشتباه فيك من الأساس؟؟
-إني اتخانقـت مـع الدكتـور ده ليلـة مـا اتقتـل.. ماهـو العيـادة بتاعتـه في نفـس العـمارة عنـدي.. بـس كـده. قالهـا وأشـاح بنظـره بعيـداً، وكأنـه ينظُـر لأفُـق ذكرياتـه، ليخفـي عـن غـادة ضيقـه الشـديد.
احترمـت غـادة صمتـه، وضيقـه، وجلسـت صامتـة، حتـى قطـع صمتُهـم عـم عِفـت الـذي جـاء ليأخـد الأكـواب الفارغـة، وقـال بـوِد:
-تحب يا حسن بيه اجيب لسعادك منيو الغداء؟؟

نظـر لـه كل مـن حسـن وغـادة، ثـم نظـر كل منهـما لسـاعته، ثـم نظـر كل منهـما للآخـر بذهـول، وكأنهـم شـخص واحـد وانعكاسـه في المـرآة، ثـم ضحـكا بعدمـا لاحظـا مـا حـدث. شـعر عـم عِفـت إنـه لا وجـود لـه في المشـهد، فانسـحب دون الحصـول عـلى رد، فقـام حسـن ونـاداه:
-عـم عِفـت.. شـكراً.. احنـا مـش هنتغـدى.. كـتر خـيرك. واعطـاه حسـاب القهـوة.
اعتـدل في اتجـاه غـادة، ليجدهـا تجمـع أدواتهـا وتضعهـا بالترتيب داخـل حقيبتهـا، فاقـترب منهـا وقـال:
-انـا عزمتـك عـلى القهـوة.. وموافـق إنـك تـرُدي لي العزومـة

obeikan.com

وتعزمينـي عـلى الغـداء علشـان ميّـت مـن الجـوع.. هتعزمينـي فـين؟؟

نظـرت لـه وعقـدت حاجبيهـا وابتسـمت، ثـم نظـرت لحقيبتهـا، وأعـادت خصلـة مـن شـعرها خلـف أذنهـا اليمنـى، وأكملـت ترتيبهـا حتـى لا يلاحـظ ملامحهـا، وقالـت:

-أيه التدبيس ده؟؟

فضحك حسن، وقال:

-انتي لسة شوفتي حاجة؟؟

غـادرا المـكان، ونظـرات عـم عِفـت تلاحقهـما، وهـو مبتسـم بسـعادة واضحـة.

obeikan.com

obeikan.com

٢٤

عصر الثلاثاء ١٧ ديسمبر ٢٠١٣

وصلا غادة وحسن إلى مطعمها المُفضل، المُطِل على النيل. قالت غادة بمجرد جلوسهم في الشرفة الخارجية، غير المغلقة، بناءً على رغبة حسن:

-انت بتدخّن.. صح؟؟

-لا الحمد لله.. اشمعنى؟؟

-علشان اخترت تقعد برة يعني في البرد ده.

-لو بردانة تعالي ندخل جوا.. انا بس بحب البرد.. مش بيضايقني.. فلما سألتي نقعد فين.. قولت اللي بحبه.

ابتسمت وقالت:

-لا مش بردانة.. انا كويسة.

ابتسم حسن ونظر لها مُضيّقاً عيناه، وسأل:

-بتضحكي ليه؟؟

obeikan.com

اتسـعت ابتسـامتها رغـماً عنهـا، وأرجعـت خصلـة مـن شـعرها خلـف أذنهـا اليمنـى، ونظـرت للمائـدة، وقالـت:

-أصل انا كمان بحب البرد.

ثـم نظـرت ناحيـة اليمـين للنيـل، الـذي تعشـقه، هربـاً مـن عيناه، حتـى لا يلحـظ إعجابهـا بـه، الـذي لا تجـد لـه تفسـيراً منطقيـاً، فهـي لا تعرفـه عـلى الإطـلاق، والأدهـى أن كل مـا تعرفـه عنـه، إنــه كان مُتهـماً في قضيــة قتــل، وإنــه مريــض نفسـياً، أو كان، ولكـن بالتأكيـد ماتعـرض لـه قـادراً أن يجعـل مـن أي شـخص سَـويّ مهـماً كانـت قـوة تحملـه مريضـاً نفسـياً، أو عـلى الأقـل، مجـروج جـرح يصعُـب حتـى عـلى الزمـن مداواتـه. ولكنهـا برغـم كل هـذا، شـعرت منـذ قابلتـه إنـه شـخص سـويّ لأقـصى درجـة، ذكي لدرجـة مُبهِـرة، خفيـف الـدم، حنـون، يحمـل بداخلـه الدرجة المثاليـة مـن الحـزن والغمـوض، التـي تجعـل منـه شـخصية جذابة غـير كئيبـة أو منطويـة.

نظـر لهـا حسـن لثـواني وهـي تنظـر للنيـل، ثـم توجـه للنيـل هـو الآخـر في حالـة اعـتراف صامـت، كان يشـعر أن مـا يـدور في عقـل غـادة في تلـك اللحظـات يتعلـق بـه، حدسـه في الغالـب عـلى حـق، لم يحـاول إنـكار سـعادته بإنـه مـازال قـادراً عـلى لفـت نظـر فتـاة عـلى قـدر مُلفِـت مـن الجـمال والـذكاء والنجـاح لـه، ولكـن هـل لفتـت هـي نظـره كـما فعـل معهـا؟ هـو واثـق أن مشـاعره أصبحـت غـير قابلـة للتحفيـز، ولكـن هنـاك احتـمال أن

يكـون غـروره هـو الـذي يرفـض الاعـتراف بإعجـاب بـدأ ينمـو بالفعـل داخلـه، وإن كان هـو فعـلاً شـخص غـير قابـل للشـعور تجـاه أي فتـاة بـأي شـئ كـما يدّعـي سِراً، فبـما يُفـسر تفكـيره بهـا حاليـاً وهـو ناظـراً للنيـل؟!! صديقـه الصامـت.

قطـع تفكيرهـما ال Waiter، فألتفـت كل منهـم لـه وطلـب مـا يريـد، ثـم قـال حسـن، بجديّـة، وكأنـه ينفـي عـن نفسـه تهمـة الإعجـاب بغـادة:

-طب نتكلم في الشغل بقى؟؟

اعتدلـت غـادة وأخرجـت مـن حقيبتهـا كراسـتها، وفتحتهـا عـلى صفحـة بيضـاء، وكسـت الجديـة ملامحهـا مـن جديـد، حيـث أن عملهـا طالمـا كانـت تعتـبره الأهـم في حياتهـا، وإعجابهـا غـير المُفـسر بحسـن لم يسـتطع -بعـد عـلى الأقـل- تغيـير هـذا المبـدأ، وقالـت:

-انت رأيك نبدأ منين؟؟

-لازم نكمّـل معلومـات بعـض.. هـا؟؟ انتـي تعـرفي أيـه عـن القضيـة غـير الـلي نـزل في الجرنـان؟؟

فكّرت لثواني، ثم قالت:

-مفيش غير حكاية مستر مجدي.

-انـا وصلـت لمعلومـات كتـير مـش موجـودة حتـى عنـد الداخلية.. ومحتـاج اشـتغل عـلى كـذا محـور في نفـس الوقـت.. ودي انتـي هتسـاعديني فيهـا بشـكل كبـير.. بـس عايـزك توعدينـي إنـك

ماتنشريــش إلا الــلي نتفــق عليــه إنــه ممكــن يتنــشر الأول.. علشــان مــش عايزيــن نكشــف أوراقنــا كلهــا للقاتــل في الجرنــان.. هنبقــى كــده بنشــتغل لحســابه.. ممكــن؟؟
صمتت لثواني، ثم قالت:
-أوعدك.. بس انت برضه تراعي إن انا أصلاً صحفية.
-الصحفــي مــش مُجــرد ناقــل أخبــار يــا غــادة.. انتــي مُحققــة دلوقتــي.. انتــي ممكــن تكــوني الســبب في حــل قضيــة ممكــن مــن غيرنــا ماتتحلّــش أو تتقفــل زي الــلي قبلهــا ضــد مجهــول.. وبعديــن انــا مــش ممكــن اكــون شــايف إن ليــكي مصلحــة في حاجــة وارفض تعمليهــا.. اتطمنــي. قالهــا وابتســم ليُطمئنهــا، ونجــح في ذلــك.

جاء ال Waiter بالطعام، فقال حسن:
-ســيبك مــن الشــغل دلوقتــي.. انــا همــوت مــن الجــوع.. نخلّــص أكل وبعديــن احكيلــك عــلى الــلي وصلــت لــه.
-ماشي كلامك.. انا كمان بصراحة نفسي مفتوحة النهاردة.
ابتسم لها حسن وقال:
-بالهنا.
ابتسمت له وقالت:
-انت صحيح بتشتغل ولا ايه نظامك؟؟
فنظــر لهــا حســن صامتــاً لثــواني بوجــه جامــد، فتوقفــت غــادة عــن الأكل وهــي تنظــر لــه بقلــق، وقالــت:
-أســفة لــو كنــت بتطفــل عــلى حاجــة شــخصية.. انــا بــس مــش

بعـرف آكل وانـا سـاكتة.
فضحك حسن، وقال:
-انـا بخُضـك بـس.. حبيـت اشـوف قلبـك جامـد ولا خفيفـة.. طلعتـي عـلى نياتـك خالـص.
عقـدت حاجبيهـا وهـي تبتسـم وظهـرت ملامـح الأرتيـاح عـلى ملامحهـا، وقالـت:
-تصدق كده عيب؟؟ انا افتكرتك قفشت فعلاً.
-لا خُـدي عـلى كـده.. انـا غـير متوقـع بالمـرة.. اتعـوّدي لـو ناويـة تكمّـلي معايـا.
قالت بدون تفكير:
-ناوية. قالتها ونظرت لطبقها وهي تبتسم.
ابتسم حسن، ثم قال دون أن ينظر لها:
-انـا مـن يـوم مـا ناديـة اللـه يرحمهـا مـا ماتـت وانـا بيعـت كل مـا أملُـك وسـيب الشـغل.. عنـدي ورث وفلـوس كتـير ماعتقـدش هعيـش لحـد ماشـوفها بتخلـص.. وماعنديـش أي نِفـس يزيـدوا بصراحـة.
-بـس الشـغل مـش بيكـون علشـان الفلـوس وبـس.. مـش متفـق معايـا في كـده؟؟
-انـا شـخصياً شـايف إن دي حاجـة بتختلـف من شـخص لشـخص.. وكل واحـد ظروفـه بتأثـر في طموحاتـه وأحلامـه.. انـا كنـت يـوم مـن الأيـام زيّـك كـده.. لحـد مـا حصـل الـلي حصـل وفقـدت كل رغبـة في تحقيـق أي حاجـة.

توقفـت عـن الطعـام، ونظـرت لـه بحُـزن وتعاطُـف، فابتسـم وقـال:

-ماتزعليـش قـوي كـده.. صدقينـي يـا غـادة انـا مرتـاح كـده.. مـش مـن النـوع الـلي خـلاص فقـد الأمـل في الحيـاة وعايـز يمـوت وكـده.. لا خالـص.. بالعكـس.. انـا بـس مفيـش حـد في حيـاتي يشـاركني تحقيـق أي حلـم.. وبالتـالي بطلـت احلـم.

هـزّت غـادة رأسـها في علامـة عـلى فهمهـا لشـعوره، وسـألت وهـي تحـاول أن تتحـاشى النظـر لـه:

-يعنـي لـو اتوجـد شـخص في حياتـك يشـاركك أحلامـك.. هترجـع تحلـم؟؟

ابتسم هو الآخر، ونظر لها ولكنها لم تنظر له، فقال بهدوء:

-غادة. حتى تنظُر له.

فنظرت إلى عيناه بنظرة ثابتة كلها تساؤل، فأكمل:

-أه.. هرجع احلم تاني.

تملـك منهـا الخجـل، ولكنهـا لم تحـاول أن تتحـاشى النظـر لـه مثلما تفعـل كل مـرة، ربمـا بسـبب نظرتـه التـي أجبرتهـا عـلى مواصلـة التحديـق بـه، وربمـا بسـبب إنهـا أرادت أن تتأكـد مـن صـدق كلامـه، أو مشـاعره، إن وُجِـدت. ولكـن الحقيقـي والثابـت إنهـا أرادت أن تـرى عينـاه وهـو يُحدثهـا عـن نفسـه.

بعـد صمـت طـال لنصـف دقيقـة كاملـة، وهـي مازالـت لا تسـتطيع أن تحـوّل نظرهـا عنـه، وهـو كذلـك، قالـت بصـوت

خـرج ضعيـف ملـئ بالأنوثـة رغـماً عنهـا:
-طب مش هنتكلم في الشغل بقى؟؟ اليوم قرّب يخلص.
قال وهو يمسح يداه:
-يالا بينا.. جاهزة تسمعي الشغل اللي بجد اللي عملته؟؟
أخرجت كراستها وقلم من الحقيبة مرة ثانية، وقالت بجدية:
-جاهزة.
قال بهدوء لا يتناسب مع المفاجأة التي ألقاها:
-سـفاح الأرقـام ماقتلـش تذاكـر.. ده حـد بيقلـده فعـلاً زي مـا مجـدي بيقـول.
تركـت القلـم، ونظـرت لـه في محاولـة للتأكـد مـن جديـة كلامـه، وقالـت:
-ده بجد ولا حركة من بتوعك؟؟
-لا بجد.. وطالما بنتكلم في الشغل مش ههزر.. اتطمني.
ثم اعتدل وقال:
-ببسـاطة أي حـد يشـوف الموضـوع بتركيـز هيلاقـي إن لا يمكـن يكـون السـفاح هـو الـلي قتـل.. انـا روحـت المشرحـة وشـوفت جُثـث داليـا وتذاكـر بنفـسي.. كان في دم عـلى ضوافـر داليـا المفـترض إنـه مـن تذاكـر وهـي بتقاومـه.. لكـن لمـا شـفت جثـة تذاكـر مالقيتـش فيهـا أي علامـة خربشـة ضوافـر خالـص عـلى جسـمه وده مـش منطقـي؟؟ وبعديـن تـاني حاجـة.. المُدخـن عمومـاً أول حاجـة بيعملهـا بعـد مـا يتعـرض لموقـف صعـب بيولـع سـيجارة.. وعلبـة السـجاير الـلي متحـرزة كانـت تقريبـاً

obeikan.com

مليانة.. معقول تذاكر بعد ما خرج من بيت داليا بافتراض إنه قتلها.. دوّر على سجايره مالقهاش ومافترضش إنها وقعت منه عندها؟؟ معقول واحد بالذكاء اللي يخليه يدخل بيتها ومايسيبش بصمة واحدة بس عليها أو على أي حاجة في شقتها.. يكون بالغباء اللي يخليه يسيب احتمال إن سجايره تكون عندها وعليها بصماته؟؟

كانت داليا تكتب مُلاحظات في كراستها وتتابع ما يقوله حسن بإنبهار واضح، الذي أكمل:

-غير كل ده.. انا قابلت كربونة صديق عمر تذاكر.. وأكّد لي إن في حد كان عايز تذاكر في شغل.. ووعده بمبلغ كبير بعد ما يخلصه واشترط عليه إنه يسيب تليفونه وهو رايح يعمل الشغل ده.. وده من وجهة نظري كمين.. مش عقد عمل أبداً.. والدليل إنه اتقتل.

توقف ليشرب بعض الماء، فانتهزت غادة الفرصة وسألت:

-انت عندك معلومات كافية عن قضايا السفاح القديمة؟

-حافظها وعندي في البيت تفاصيل كل قضية بالحرف.

-لازم ابقى اشوفها.. علشان هتساعدني في التحقيق ومقالاتي.. لو تسمح يعني.

-مفيش مشكلة.

- طب بخصوص القضية دي.. كلامك منطقي فعلاً.. بس دي كلها تحليلات تنفي التهمة عن السفاح.. مفيش عندك نظرية مين اللي عمل كده أو ليه و نعرفه ازاي؟؟

-بالظبط.. هو ده اللي انا بعمله من أول يوم.. مين اللي له مصلحة في موت تذاكر؟؟ ووصلت إن محدش له مصلحة في موت واحد زي ده إلا بلطجي زيه اتخانق معاه مرة.. وده ماعندوش العقلية ولا الإمكانيات اللي تسمحله يعمل كل ده.. وده وصّلني لنتيجة إن الحكاية كلها اتعملت علشان موت داليا مش تذاكر.. داليا تتقتل والقضية بتاعتها تتقفل.. وفي نفس الوقت يحصل حدث كبير وهو «عودة السفاح»اللي يغطي على قضية داليا.. اللي الداخلية هتفترض إنها محلولة وتركز في البحث عن «السفاح».

قالت داليا بإنبهار لم تُخفيه:

-ياولاد الصايعة.

ابتسم حسن، وأكمل:

-ومن هنا.. بقيت مركز في محاولة اكتشاف مين اللي وجود واحدة زي داليا بيهدده؟؟ وده اللي محتاج مساعدتك فيه.

هزت رأسها في علامة على استعدادها، فأكمل:

-القصة ابتدت من عند واحدة صاحبة داليا.. وأظن هي مفتاح القضية أصلاً مش داليا.. اسمها هبة.. هبة كانت عايشة في القاهرة.. وداليا لجأت لها لما خالتها اللي كانت عايشة معاها سافرت.. وهبة هي اللي جابت شغل لداليا في مستشفى الكرامة.. ودي تبع نفس المجموعة اللي تبعها مستشفى التكامل اللي بتشتغل فيها هبة.. وكانت صاحبتها الوحيدة في القاهرة.. هبة فجأة وبدون سبب أو حتى استقالة..

سابت القاهرة ورجعت بلدها أول ديسمبر.. وبعدها تقريباً بإسبوع غرقت في النيل.

اتسعت عينا غادة في خوف واضح، بغير قدرة على التعليق، فهي لم تتوقع أن تتخذ القضية هذا الشكل فجأة، فأكمل حسن:

-وطبعاً أهلها مافكّروش في التشريح وبالتالي القضية اتقفلت في ثواني بدون شوشرة.

قالت غادة بصوت خفيض، بعدما تملك منها شعور بأنها مُراقبة كما يحدث في الأفلام التي تتذكرها:

-مش ممكن تكون دي صدفة طبعاً.

ابتسم حسن من طيبتها، وقال:

-لا طبعاً.. اعتقد إن التفسير المنطقي بيقول إن التهديد الحقيقي للقاتل كان من هبة مش داليا.. وهي كانت خايفة من حاجة علشان كده سافرت البلد.

-طب وقتل داليا ليه؟؟

-افتكر إن كونها صاحبتها الوحيدة.. ده منطقياً معناه إنها كان عندها معلومات من هبة تهدد حد.. أو هبة سابت لها ورق.. ماعرفش.. بس اللي متأكد منه إن هبة رجعت البلد فجأة علشان خايفة من حد.. والحد ده هو اللي قتلها وقتل داليا وقتل تذاكر.

صمتت غادة لثواني، في محاولة منها لإستيعاب كل هذا الكمّ من المعلومات الخطيرة، ثم قالت:

-وليه ماتقولش إن الحد ده هو اللي خلّى تذاكر يقتل داليا.. وبعدين قتله؟؟

-هو وارد طبعاً.. بس انا حاسس إن عملية قتل هبة وداليا اللي عملها محترف.. مش بلطجي وشمّام.

-ودلوقتي احنا محتاجين نعرف هبة كانت خايفة من أيه.. أو من مين.

-بالظبط كده.. عايزك تنزلي مستشفى التكامل اللي هبة كانت شغالة فيها.. كأنك صاحبتها.. وحاولي تعرفي أي حاجة.. أي حاجة يا غادة.. وانا من ناحيتي لو وصلت لأي حاجة هقولك.

-طب وبالنسبة للنشر؟؟

-انا شايف إنك تبتدي تطرحي نظرية إن مش السفاح هو اللي عمل كده.. يمكن ده يكون سبب في خروج الطرف التاني عن شعوره.. ويتسبب في إنه يغلط.. بس بلاش سيرة هبة خالص دالوقت.

فكّرت لثواني ثم قالت:

-انت صح.

ثم أغلقت كراستها، ووضعتها داخل حقيبتها، ثم نظرت لساعتها وقالت:

-انا للأسف مضطرة امشي.

obeikan.com

أشار حسن للWaiter، ليحضر فاتورة الغداء، وقال:
-هنبقى على اتصال.. وياريت تخلي بالك من نفسك.. الناس اللي بندوّر وراهم قتلوا ثلاثة فعلاً علشان يخبّوا حاجة احنا بنحاول نكشفها.. مفيش هزار.
ابتسمت له وأومات برأسها أن «حاضر»، ثم قالت له وهو يأخذ الفاتورة من ال Waiter:
-مش انت قلت انا اللي عازمة؟؟
فقال وهو يضحك:
-وانتي بتصدقي أي حاجة بتتقالك كده؟؟ مش بقولك على نيّاتك؟؟

obeikan.com

٢٥

الأربعاء ٢٠ سبتمبر سنة ٢٠٠٥

يجلس حلمي التُهامي على القهوة التي اعتاد أن يقابل فيها صديقه منصور كلما سمحت ظروف عمل كل منهما أن يتقابلا. يصل منصور يحمل ابتسامته المُعتادة. يقابله حلمي بابتسامة، ويترك الشيشة التي كان يدخن «حَجَرها»الرابع ويُسلم على صديقه بوِد، ويسأله:

-تشرب أيه ياض يا صرصور؟؟

أجاب منصور بصوت عالي، ليسمع عامل النصبة:

-شاي تقيل يا سيكا يسهّرني لبكرة.

ثم نظر لحلمي وقال بصوت خفيض، في رغبة منه ليداري على شمعته حتى تقيد:

-جبت ورقة «بنج»ب٢٥ جنية يا حلمي.. شومة بنت الجزمة.

ملحوظة: «بنج»هي الإسم الحركي «للبانجو»المتفق عليه

obeikan.com

بينهـم.
قال حلمي بإستنكار واضح، وخرج صوته عالياً:
-٢٥ جنيـه يـا خبـوء؟؟ ده أجدعهـا ورقـة فيـكي يـا بلـد ب١٥ جنيـه.
نظر حلمي حوله، ثم نظر لصديقه بلوم واضح:
-وغـلاوة أمـك عنـدي لـولا انـت صاحبـي مـا كنـت دوّقتـك منّهـا.. يابـن الغشـيمة ده اسـمه «الشـبح».. الـورق لونـه اسـود مـش اخـضر زي الـلي موجـود.. انـا جبتلـك نُصّهـا معايـا.. ومـش عايـز منـك فلـوس إلا لمـا ترجـع.. انـت طالـع فـين الفجـر؟؟
-عنـدي نقلـة مطـروح.. طريـق طويـل ومـش عايـز اجـرب حاجـة تفصلني .
-عيب عليك.. الشبح هيركبك طول السكة.
وضحكا بصوت عالي

خبر في صفحة الحوادث بتاريخ الجمعة ٢٢ سبتمبر سنة ٢٠٠٥

مقتـل عائلـة كاملـة في حادثـة سـير،حيث خرجـت سـيارتهم مـن الطريـق الأسـفلتي، وانقلبـت عـلى جانـب الطريـق عـدّة مـرات. شـهادات الشـهود أكّـدت أن السـبب كان خـروج سـيارة نقـل مـن الطريـق العكـسي، وقطعهـا الطريـق أمـام سـيارة العائلـة، مـما دفـع السـيارة للخـروج عـن الطريـق في محاولـة لتفـادي سـيارة النقـل، ولكـن السـيارة الصغـيرة كانـت أضعـف مـن أن تقـوم

بتلك المناورة المفاجئة فانقلبت.

تقوم الشرطة بالبحث عن سائق السيارة النقل المتسبب في الحادث، مُستعينة فقط بأوصاف السيارة غير المؤكدة، حيث أن الرؤية كانت صعبة في وقت الحادث، بسبب الظلام والضباب الكثيف.

obeikan.com

obeikan.com

٢٦

غروب الثلاثاء ١٧ ديسمبر سنة ٢٠١٣

يقود حسن سيارته في اتجاه عبد المنعم رياض، كلما يقف به الطريق، يهرب من زحامه بالنظر للنيل. حالته المزاجية في أفضل حال، يبدو متفائل وسعيد، وهو الذي لم يعتاد تلك الحالة منذ سنوات عديدة. فمنذ تعرُفه على عصام، ومقابلاتهم التي تكررت، وهو بدأ تدريجياً في الخروج من حالة التقوقُع التي لازمته منذ مقتل زوجته، وها هو اليوم يقابل فتاة جميلة وذكية وناجحة، ويشعر إنها مُعجبة به، وبالتأكيد هذا كفيل بإضافة بعض من البهجة وألوان الفرح إلى نظرته للحياة، ولو لبعض الوقت، حتى وإن كان مازال مُصِراً على اعتبار نفسه خارج نطاق الخدمة، فيما يخُص العلاقات العاطفية بعد رحيل زوجته التي كان يعشقها وتعشقه.

obeikan.com

أمسك حسن هاتفه وطلب رقم عصام، وقال بعد سماع صوته:

-انا فاضي النهاردة.. كالعادة يعني.. ماتيجي نتقابل.. لو فاضي.. أو مزنوق في قضية احلّهالك.

-هاهاهاها.. لا انا تقريباً مفيش ورايا غير السفاح اللي مش هيتمسك أصلاً.. باين كده.

-زي الفل.. انت فين؟؟

-في القسم.. نُص ساعة وهكون مخلّص.

-خلاص اديني ساعة هكون عندك إن شاء الله.. علشان الشارع زحمة شوية.. يمكن في شوية قلق في الجامعات أو حاجة.. سلام.

مدّت غادة يدها للمقعد المجاور لها، فتحت حقيبتها وعبثت بمحتوياتها للوصول للهاتف دون أن تضطر لأن تحوّل نظرها عن الطريق. وجدت هاتفها أخيراً، أخرجته واتصلت بصديقتها الوحيدة نورهان:

-نونو.. تقدري تعدّي عليّ في البيت النهاردة؟؟

-أقدر.. بس اشمعنى؟؟

-لما نتقابل بقى.. هكلمك لما اقرب.. هحاول ماتأخرش.

-بعد ما سمعت صوتك ده مش هنام ولو جاية الفجر.. بس وحياتي عندك تقوليلي الموضوع عن أيه؟؟

-يابنتي مفيش حاجة.. عايزة اتكلم معاكي شوية.

obeikan.com

-كده انا اتأكدت.. اسمه أيه طيب؟؟
-اقفلي يا مصيبة.. مش عايزة منك حاجة.. نامي.
-خلاص هستناكي هستناكي.. هتوصلي البيت تلاقيني مع طنط أصلاً.
-سلام. قالتها وأغلقت الخط وهي تبتسم بسعادة.

يقفا حسن وعصام حيث اعتادا، في منتصف كوبري قصر النيل، ينظُران للنيل في صمت، وكل منهم يخوض حواره الخاص مع النيل، الذي يتسع صدره للكل، ولا يكل من شكواهم.
يقطع عصام الصمت بصوت خفيض، وكأنه يحاول ألا يُخرج حسن من حالة التواصل التي تبدو عليه:
-مش هتقولي مالك النهاردة؟؟
نظر له حسن لثواني بملامح شاردة، وقال:
-مالي؟؟
-مش هنا خالص من ساعة ماتقابلنا.
-لا انا هنا.. بس متلخبط شوية.
اعتدل عصام وواجه حسن، وقال:
-أيه ياعم القضية تقيلة عليك؟؟ ما قُلت سيبها في حالها.
ابتسم حسن ونظر لعصام لثواني، ثم أعاد نظره للنيل وقال بصوت مهموم وكأنه يعترف بذنب:
-حاسس بنفسي بتغيّر ومش متطمن. صمت لثواني ثم قال:

obeikan.com

-مش هتفهمني يا عصام.. ماتتعبش نفسك.
قال عصام وهو يعتدل مُجدداً ليواجه النيل:
-جرّب.. مش انت بس اللي عندك مشاكل على فكرة.
نظر حسن لعصام لثواني، وكأنه يقيس مدى قدرته على فهم كلامه الذي يريد أن يبوح به:
-انا زمان يا عصام في سنتين خسرت كل اللي كنت عايش عشانه.. ومن ساعتها حلفت مايكونش عندي حاجة غالية تاني علشان مايجيش عليا يوم واجرب شعور فقدانها تاني.
-تمام.
-الموضوع ده استمر كذا سنة.. بس بدأت احس إنه بيتغيّر.
-ازاي؟؟ بدأت تكوّن علاقات تاني؟؟
-بالظبط كده.. وده مخوّفني.. انا مش حِمل الشعور ده تاني.. المرة دي لو لاقدر الله حصل حاجة زي دي تاني.. هتكسر ومش هرجع سليم تاني.
نظر عصام لحسن، ثم وضع يده على كتفه القريب منه، وقال:
-الإنسان مايقدرش يعيش معزول يا حسن.. ولو قِدر لفترة.. مش هيقدر على طول.. ولو فاكر إنك كنت عايش الكام سنة اللي فاتوا تبقى غلطان.
ثم أشار للنيل وقال:
-هي دي العيشة.. إنك تشارك حاجة بتحبها مع صاحب.. إنك تحب وتخاف على اللي بتحبه.. وأحياناً تتجرح.. هي دي

الحياة.. غير كده يبقى موت.
نظر له حسن وقال بصوت مبحوح:
-بس الموت مابيوجعش زي الحياة.
-بس الحياة تستاهل نستحمل وجعها. قالها وابتسم لحسن، الذي ابتسم بدوره ونظر للنيل من جديد، وكأنه يستشيره فيما قال عصام. ومرّت دقائق من الصمت لم يقطعها سوى الإزعاج الصادر عن المراكب، الذي أصبح سِمة من المكان للأسف.
مر في تلك اللحظات من خلفهما عم حكيم وكان كعادته يتحدث دون توجيه الكلام لأحد:
صحيح بتاخد الدنيا.. لكن بتديلك..
قدّم عشانها خطوتين.. وهي هتجيلك..
لكن تسيب نفسك وتفضل محلك سِر..
لما هتتعب يوم.. ولا حد هيشيلك..

وصلت غادة للعمارة التي تسكنها مع والدتها منذ وفاة والدها. صعدت درجات السلم الواسعة، حيث أن العمارة قديمة، يعود تاريخ بناءها الي أيام التصميمات الأوروبية ذات الزخارف على الواجهات، والسلالم الواسعة، والسقف العالي، والشقق ذات الأربعة والخمسة غُرف. صعدت للدور الأول، وقبل أن تصل يدها المُمسكة بالمفتاح لباب الشقة، فتحت نورهان صديقتها الباب. فزعت غادة وكادت تصرخ، ولكنها

أدركـت في اللحظـة الأخـيرة إنهـا نورهـان، فقالـت بحـدة:
-يخربيتك.. قلبي كان هيقف يا جزمة.
ضحكت نورهان بمرح، واحتضنت غادة وقبّلتها، وقالت:
-اللي واخد عقلك.
لكزتها غادة في كتفها، وقالت بشراسة مُصطنعة:
-اهبطي.. استني في الأوضة.. هجيلك.
توجهـت للمطبـخ حيـث توجـد والدتهـا، التـي كرّسـت حياتهـا كلهـا لرعايـة أبنتهـا الوحيـدة، بعـد وفـاة زوجهـا. قالـت غـادة وهـي تدخـل المطبـخ:
-يـا هـدى حـرام عليـكي مـش كـده.. ريحـة الملوخيـة جايبـة الشـارع.. النـاس هتبُـص لنـا في اللقمـة. ضحكـت وهـي تحتضـن والدتهـا وتقبّلهـا.
قالت هدى:
-قلقـت عليـكي يابنتـي.. كلّمتـك في الجرنـان ماكنتيـش هنـاك.. وموبايلـك غـير متـاح.
قالت غادة وهي تغادر المطبخ:
-الموبايـل سـاعات بيسـقط شـبكة.. مسـتنية اقبـض واجيـب واحـد جديـد.. وبعديـن ماتخافيـش عـلى بنتـك يـا هـدى.. انتـي مربيـة راجـل.
-ربنـا يحميـكي يابنتـي.. أصـل في التلفزيـون جايبـين حـرق في الشـوارع وضرب وقنابـل اللـه يخـرب بيوتهـم ويحـرق قلوبهـم كلهـم.

-اللهم آمين.. هغيّر هدومي وأحضّر السفرة.
دخلت غادة لغرفتها، وألقت حقيبتها على السرير في أهمال. قالت لها نورهان التي كانت تقرأ بعضاً من المقالات المُعلقة على الحائط:
-انتي اشتغلتي في المباحث يابت؟؟ أيه ده؟؟ ثم ضحكت بخُبث وأكملت:
-بس وّشك منوّر وخدودك حمرا وحالتك صعبة.. أيه؟؟ وضحكت وهي تنظر لغادة بنظرة متفحصة.
ألقت غادة بجسدها كله على السرير، ونظرت للسقف وقالت دون وعي:
-مش طبيعي يا نور.. مش طبيعي.. مش عارفة ماله!!
قالت نورهان وقد زالت الإبتسامة من على ملامحها، وحلّ محلها الحماس الممزوج باللهفة لمعرفة التفاصيل:
-انتي اللي مالك؟؟ اجمدي يابت مش كده.. الله يرحم زمان كنتي بتقولي أيه.. اللي يشوفك دالوقت تصعبي عليه.. أيه احكيلي.
قامت غادة وقد أفاقت نسبياً من حالة الإنتشاء التي أصابتها، وقالت:
-الموضوع طويل.. تعالي ناكل الأول وهحكيلك كل حاجة.. بس باختصار كده.. الراجل اللي قابلته النهاردة مالوش زيّ أبداً.

قطع عصام حالة الصمت التي امتدت لدقائق قائلاً:

obeikan.com

-بس موودك ده فيه «إنّة».
نظر له حسن وعقد حاجبيه في تساؤل، فأكمل عصام:
-انت فيك حاجة جديدة.. الكلام ده مش عليّ لوحدي.. في حد تاني.. اعترف يا حسن.
ضحك حسن وتجنب النظر لعصام وقال:
-هتعملي فيها انت هولمز النهاردة.
قال عصام بمرح:
-ماتغيّرش الموضوع.. انطق.. أيه؟؟
نظر له حسن، ثم اعتدل وقال:
-هو مفيش حاجة.. علشان بس ماتعملش شغل الأطفال ده.. كل الحكاية إني قابلت بنت صحفية النهاردة اللي ماسكة القضية في جرنان الملا...
قاطعه عصام وقال مندفعاً:
-غادة عثمان؟!
-انت تعرفها؟!
-يابن اللعيبة.. دي حتة سُكر.
-ياعم لاعيبة مين وبتاع أيه؟؟ محصلش حاجة.. كل الحكاية إن احنا الاتنين شغالين على القضية.. فقررنا نساعد بعض.
-طب وأيه؟؟ وغمز له بخُبث.
-ياعم عصام مفيش حاجة.. هي زي مانت قلت فعلاً.. حتة سكر .
-صح كده. قالها واعتدل لمواجهة النيل، ثم قال بعد صمت

دقائق:

-غـادة دي انـا بعتبرهـا اختـي.. مـن كام سـنة كان صديـق عمـري شريـف نِفسـه يتعـرف عليهـا.. ورفضـت بشـدة.. مـع إنـه صاحبـي مـن أيـام ثانـوي.. وكان دفعتـي في الكليـة.. واسـمه شريـف ناجـي.. النـاس كانـوا بيفتكرونـا تـوأم أصـلاً مـن كـتر مـا كنـا دايمـاً مـع بعـض.. بـس مارضيتـش اعرفـه عليهـا.. علشـان هـو مـش هيخـاف عليهـا.. شريـف طـول عمـره لِعَبـي ومـش بتـاع مسـئولية والتـزام.

نظر له حسن وقال:

-كلامـك ده مالـوش غـير معنـى مـن اتنـين.. يـا بتوصينـي عليهـا.. يـا متطمـن عليهـا لـو بقِـت معايـا.

-الاتنين. قالها وابتسم. ثم قال بلهجة من تذكر شيئاً:

-صحيـح.. اعمـل حسـابك يـوم ٢٦ عيـد ميـلاد مَلَـك بنتـي.. في البيـت عنـدي.. لازم تيجـي.

-أكيد.. ربنا يخلّيهالك.

ثم سأل حسن:

-إنما شريف صاحبك ده فين؟؟ مش بتقول توأمك؟؟

-من ساعة ما مشي من الداخلية وهو بقى واحد تاني.

-مشي ليه؟؟

-اتعـرض علـيّ انـا شـغل عنـد الدكتـور حـازم البـدري.. راجـل أعـمال كبـير وشـغال في كل حاجـة.. اكيـد سـمعت عنـه.. اترشـح يكـون وزيـر صحـة قبـل كـده.. بـس رفضـت الشـغل مـع إني مش

مرتـاح في الداخليـة.
-باين عليك إنك مش مرتاح فيها.
أكمل عصام:
-بس هو طلب مني ارشحه وراح بدالي.
-وبيشتغل أيه؟؟
-مديـر أمـن لمجموعـة اسـتثمارات الدكتـور حـازم كلهـا.. مكتـب أد كـده وسـكرتيرة وشـقة جديـدة.. ومابقـاش بيفـضى خالـص.
-ولما انت يا عصام مش مرتاح في الداخلية.. ليه ماروحتش؟
تنهّد عصام بضيق، وكأن هذا السؤال ثقيل على قلبه، وقال:
-انـا عـدم راحتـي في الداخليـة سـببه إننـا مـش دايمـاً بنكـون في صـف العدالـة.. أحيانـاً بسـبب ضعـف الإمكانيـات.. وأحيانـاً الفسـاد.. وأحيانـاً بسـبب فقـر أو ضعـف وخـوف المجنـي عليـه وافـترا الجـاني فبيتسـحب البـلاغ.. أو بيتـم تصالح ظـالم.. وإني اروح مـكان اشـتغل فيـه بلطجـي بـس شـيك مـش هيحـل المشـكلة.
صمـت قليـلاً ثـم أكمـل:
-لـو بلدنـا فيهـا داخليـة قويـة.. مالهـاش أيـد ضعيفـة تتمسـك منهـا.. مكانتـش الـشركات جابـت الـلي زي شريـف علشـان يعملـوا شـغلنا لصالحهـم.
-عندك حق.. الظلم بقى الطبيعي في البلد للأسف.
أخرج عصام سيجارة وأشعلها وقال:
-عـارف يـا حسـن؟ انـا جـه عـليّ وقـت كنـت مقتنـع إن لازم يكـون عندنـا حـد بيشـتغل للعدالـة خـارج نطـاق القانـون.. مـن

كـتر الظلـم الـلي بشـوفه بحكـم شـغلي.
نظر له حسن، وقال:
-زي سفاح الأرقام كده؟؟
نظر لـه عصام وقـد أدركـه الخجـل مـما قـال، لأنـه يتحـدث عـن نمـوذج قاتـل زوجتـه:
-انـا آسـف يـا حسـن.. ماقصـدش طبعـاً.. ده مجـرم.. انـا بتكلـم عـن حاجـة تانيـة خالـص.
-مفيـش داعـي للأسـف.. انـا عـارف إنـك ماتقصـدش.. وماتنسـاش إن القاتـل بإسـتثناء ناديـة.. كان زي مانـت بتقـول كـده.
اعتـدل عصـام وقـال لحسـن بحـماس دعمـه اتفـاق حسـن مـع وجهـة نظـره:
-ده الـلي اقصـده.. إن النـاس تبـدأ تخـاف مـن عقـاب جـاي جـاي.. ولا ثغـرة في إجـراءات تمنعـه.. ولا محامـي شـاطر يحميـك منـه.. احنـا محتاجـين كـده.
ابتسم حسن وقال:
-مش غريبة إنك تكون ظابط وتقول كده؟؟
-كـوني ظابـط بيخلينـي أشـوف حاجـات اكـتر بكتـير منـك مثـلاً.. بـس انـت عنـدك حـق.. انـا المفـروض اكـون في الطـرف التـاني مـن المعادلـة. صمـت لثـواني وأخـذ نفـس مـن سـيجارته وأكمـل:
-زمـان كان دايمـاً عمـي اللـه يرحمـه يقـولي كـده.. وفاكـر مـرة كنـت انـا وشريـف في مكتبـه في بيتـه وزعّـق فيّ جامـد لمـا قولتلـه إن الـلي اتقتـل كان يسـتاهل وإني لـو مـكان السـفاح كنـت قتلتـه..

ويومها لـولا شريـف أخـدني ومـشي كان ضربنـي بالنـار مـن كـتر مـا كان متنرفـز. قالهـا وابتسـم، ثـم قـال:
-الله يرحمه.. كان شخصية مالهاش زيّ.
اعتدل حسن وقال:
-وانت وشريف كنتوا...
قاطـع كلامـه رنـين هاتـف عصـام، الـذي نظـر في سـاعته وهـو يـرُد:
-ألـو. صمـت لثـواني ليسـتمع للطـرف الآخـر بملامـح جامـدة، ثـم تحوّلـت ملامحـه للإنفعـال الشـديد الممـزوج بالغضـب، وأغلـق الخـط وقـال لحسـن بصـوت مُرتجـف، انفعـالاً:
-السفاح قتل تاني يا حسن.

لم يقـوم حسـن بـأي رد فعـل لثـواني، حتـى تحـرك عصـام في اتجـاه التحريـر ليركـب سـيارته ويذهـب لمسرح الجريمـة، فتحـرك حسـن خلفـه بصمـت لم يمنـع كلاً منهـما مـن التفكـير في المنحنـى الجديد الـذي اتخذتـه القضيـة فجأة.

obeikan.com

٢٧

ليل الثلاثاء ١٧ ديسمبر سنة ٢٠١٣

تجلس غادة على سريرها وأمامها نورهان صديقتها، التي كانت تنظُر لها وهي تحكي لها تفاصيل لقاءها بهذا الشخص الذي استطاع أن يهِز ثوابت غادة صديقتها منذ الطفولة. فغادة كما تعرفها نورهان، لم يتمكن أي شاب ممن قابلتهم في حياتها أن يجعلها ترى فيه أكثر من صديق. كانت دائمة القول أن الحُب اكبر من أن يُطلب أو يُهدى، الحب يُنتزع، الحب يَنتزع من عَشِق انتزاعاً من حياته، ليُلقي به في عالم جديد عليه، ليعود طفلاً يتعلم المشي من جديد، ولكن بمساعدة من أحب، بدلاً من أمه. وكانت نورهان دائماً ترُد إنها ستعيش وحيدة طوال عمرها في رحلة البحث عن فتى أحلام ولن تجده، لأنه يعيش فقط في خيالها وفي الروايات الكلاسيكية. ولكن هاهي ترى صديقتها تعود طفلة، تتحدث

obeikan.com

بحماسـة طفـل اشـترى لـه والـده لتـوه ملابـس العيـد. تتعلـم المـشي، حيـث تراهـا لا تعلـم كيـف تتعامـل مـع هـذا الإعجـاب الـذي اقتحمهـا دون إذن أو إنـذار.

-عارفـة يـا نـور.. في رجالـة كـده لمـا يفتحولـك بـاب المطعـم أو العربيـة.. تحـسي إنـه بيعمـل كـده بـس علشـان يِبهـرك.. بـس دي مـش طبيعتـه.. فاهمـة حاجـة؟

ولم تنتظـر رد مـن نورهـان، حيـث إنهـا -غـادة- في الحقيقـة كانت تُحـدث نفسـها مـن خـلال صديقتهـا، فهـي تشـعر بلـذة غريبـة حـين تتحـدث عنـه، فأكملـت:

-حسـن حاجـة تانيـة.. بيعمـل كل حاجـة كأنـه هو اللي اكتشـفها.. لـه طريقـة خاصـة في كل حاجـة.. بتاعتـه لوحـده.. بيعمـل كل حاجـة زي مـا كتابـه الخـاص بيقـول.. مـش زي أي حـد.. سـاعات تلاقيـه خجـول بيتهـرب بنظراتـه.. وفجـأة تلاقيـه بيقتحمـك بقـوة.. بيفهـم انـا بفكـر في أيـه قبـل حتـى مافهمـه انـا شـخصياً.. بيحـس بيـا وبضيقـي وبيقـدر مـن غـير مجهـود يخرّجنـي مـن المـود الوِحـش وكأنهـا حرفـة هـو ابتكرهـا ومُسـجلة بإسـمه.. راجـل بـس مـش خشـن.. ناعـم بـس مـش ملـزّق.. هـادي بـس مـش بـارد.. حسّـاس بـس مـش طـري.. فاهمـة حاجـة؟؟

صمتـت لثـواني وتنهّـدت وهـي تنظـر للاشـئ تحديـداً في محاولـة منهـا لإسـترجاع دقائقهـا معـه، فقالـت نورهـان وهـي مُتسـعة العينـان:

-بصراحة انا مش فاهمة حاجة.. ازاي عمل فيكي كل ده وانتوا أصلاً ماتكلمتوش غير في شغل وبس.
تنهدت غادة مُجدداً وقالت:
-تبقي مش فاهمة حاجة.
قالت نورهان وهي تضرب كفّ على كفّ:
-إذا كنتي انتي مش فاهمة.. هفهم انا؟؟
-تصدقي عندك حق.. انا فعلاً مش فاهمة.. ازاي...

رنّ هاتف غادة، فنظرت لساعتها، ولكن نورهان قفزت من على السرير في اتجاه المكتب، وهنا أدركت غادة ما يحدث، فقفزت بدورها في محاولة للوصول للهاتف قبل نورهان، ولكنها تعثرت في طرف السرير وسقطت بدوي مثير للضحك على الأرض. وصلت نورهان وهي تضحك للهاتف لتجد اسم حسن يحتل شاشة هاتف غادة كما يحتل تفكيرها، فردّت دون تردد:
-ألوو.
-أيوة يا غا.. ألو؟؟
-أيوة؟؟
-مساء الخير.. انا حسن أقدر اكلم غادة من فضلك؟؟
-أه طبعاً طبعاً يا حسن ثواني؟؟
قالتها وهي تبعد يد غادة عن الهاتف، فوصل لحسن صوت جلبة غير مُفسرة فأنتظر صامتاً. استطاعت غادة أن تُخلّص

obeikan.com

الهاتف من يد نورهان، وقالت بصوت حاولت عبثاً أن يبدو طبيعياً في ظِل «بحلقة» نورهان فيها:

-أيوة يا حسن.. معلش دي نورهان صاحبتي كانت جنب التليفون.

قال حسن بصوت جامد:

-ولا يهمك.. انا متصل اقولك إن السفاح قتل تاني.

-نعم؟!

-انا كنت مع عصام ناجي.. وجاله تليفون بكده.

-انت تعرف عصام؟!

-أه من كام يوم.. المهم بس انا قلت ابلّغك.

-كتّر خيرك.. انا بس لازم انزل اغطّي الجريمة دي قبل عدد الصبح.

-ماشي.. بس خلي بالك من نفسك.. وحاولي تعرفي كل حاجة عن جريمة النهاردة دي.

-أكيد.. سلام.

بعد أقل من ساعة كانت غادة تطرق باب مكتب مجدي كارم، الذي كان مفتوحاً، فدخلت، لم تجده بالداخل. ولكن أنفها التقطت رائحة دخان سجائر في المكان. كان غادة تعلم جيّداً أن مجدي كارم قد أقلع عن التدخين منذ فترة طويلة، ولكنه يحتفظ بعلبة سجائر في مكتبه للطوارئ، ليلجأ لها في حالات الضغط العصبي أو التوتر، وكأن الإضرار بالصحة هو

علاج التوتر والعصبية. ولطالما -بحكم صداقتها له وخوفها عليه- حاولت أن تقنعه ألا يحتفظ بسجائر إلى جواره حتى لا يستسهِل التدخين، ولكنه أصر، فقررت وأعلمته إنها ستتخلص من أي سجائر تجدها معه كلما تراها حتى يقتنع أو يُفلِس أيهما أقرب، ومنذ ذلك الحين وهو يحتفظ بها في خزانته، حتى لا تصل لها. وعندما لاحظت وجود دخان سجائر في هواء غرفة مكتبه، اتجهت بتلقائية لمكتبه فلم تجد السجائر في أدراجه، فاتجهت للخزينة، وأدارت ذراعها، فاستجابت لها الخزينة، حيث أن مجدي كان في عجلة من أمره، فلم يغلقها عندما الطقت سيجارته منها منذ دقائق، ولم يتوقع أن يتجرأ أحداً على فتحها، وخاصة إنها لا تحوي نقود أو متعلقات ذات قيمة مادية. فتحت غادة الخزينة، فوجدت علبة السجائر أعلى كومة من الأوراق، فلم تهتم في البداية سوى بالسجائر، فمدّت تدها لتلتقطها، ولكنها لمحت أطراف مظروف كبير يبدو عليه القِدم، فساقها فضولها، مدّت يدها ورفعت الأوراق التي تعلوه، لتجد كلمة واحدة مكتوبة عليه بجهاز كمبيوتر؛ «جرائمي».

تملّك منها خوف شديد، وعاد لذاكرتها دفاعه عن السفاح منذ أيام، ارتعشت يدها رغماً عنها، ولكن كونها صحفية، ففضولها لم يعطيها فرصة التقاط الأنفاس، ولم يتهاون معاها، نظرت خلفها لباب المكتب، فكان كل شئ هادئ هدوء

مُغري لأي صحفي يتميّز بالفضول، وجدت نفسها تحت تأثير الفضول تزيح طرف المظروف بيد مرتعشة، لتحاول أن تُلقي نظرة سريعة بداخله، وبالفعل تمكنت، حيث رأت صورة مطبوعة على ورقة جريدة قديمة لوجه قتيل، بالأرقام محفورة على جبهته التي تميّز ضحايا سفاح الأرقام.
شهقت غادة بصوت مكتوم، وتحركت بسرعة البرق بدافع الخوف أكثر من الحيطة، وأعادت كل شئ لمكانه، وتحركت في خطوات سريعة ناحية الباب، في اللحظة التي دخل فيها مجدي للمكتب مُسرعاً. أجفل مجدي لأنه لم يتوقع أن يجد أحداً في مكتبه، توقف عند الباب للحظات، ونظر لغادة بدهشة، ثم نقل بصره بينها وبين الخزينة عدة مرات، ثم تحرك بإتجاه المكتب وأطفأ سيجارته، وهو يقول:

-بقالك أد أيه؟؟

تلعثمت لثانية، ثم تماسكت وقالت بصوت مرتعش:

-لسة جاية حالاً.. كنت بشوف حضرتك فين.

نظر لها وقال وهو يتجه للخزينة ويفتحها:

-بالليل كده؟؟ ليه؟؟ في حاجة؟؟

ارتعشت غادة كمنّ يتعرض لتيار كهربائي وهي تراه يفتح الخزينة، وكادت أن تفقد توازنُها، ولم تستطع أن تُجيب. نظر مجدي للخزينة، وعَلت ملامحه نظرة ارتياح عندما وجد كل شئ في مكانه، فأغلق الخزينة وعاد لمكتبه وقال بشَك:

obeikan.com

-مالك يا غادة؟
بذلت هي مجهود خرافي لتسيطر على نفسها ولو قليلاً لتقول:
-السف.. السفاح قتل واحد تاني يا مستر مجدي.
قام مجدي من خلف مكتبه وتوجه لها، والدهشة تكسو ملامحه، وقال منفعِلاً:
-معقول؟!
وقبل أن يصل حيث تقف، عادت هي تلقائياً للخلف وهي تنظر له بخوف، فلاحظ هو فزعها، فنسي ما كان ينوي قوله وقال مُطمئناً، وهو يقترب منها بوِد:
-ماتخافيش يا غادة.. مالك؟؟ لو شايفة القضية تقيلة عليكي ممكن نادر يمسكها.. مالك يا بنتي؟؟ انتي بتترعشي!!
قالت بخوف:
-لا انا كويسة.. ماتديش القضية لنادر.. انا بس مخضوضة شوية.. أول مرة احقق في جريمة زي كده.. بعد أذنك.
ودارت لتغادر المكتب، ولكنها توقفت لتشرح له موقفها حتى لا يشُك بها، فأضافت:
-انا هروح احاول اوصل لعصام علشان ينزل الخبر في عدد بكرة.. وهشوف لو عرفت اجيب صور.. بعد أذنك. وغادرت مُسرعة.

لم يتحرك من مكانه لثواني ونظره مُعلقاً على باب مكتبه

الـذي أغلقتـه غـادة خلفهـا، ثـم نقـل بـصره صـوب المقالـة المُعلقـة عـلى الحائـط بجـوار مكتبـه وتنهّـد بضيـق.

obeikan.com

٢٨

ساعات الأربعاء الأولى ١٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

كانت غادة ترتعد وهي تخرج من سيارتها، والسبب كان بعيد كُل البُعد عن برودة القاهرة في ديسمبر. كانت بحُكم عملها مُعرضة لمُقابلة مجرمين وبلطجية، وبرغم من إنها فتاة جميلة، وتبدو من النوع السطحي للبعض الذي لا يهتم سوى بالموضة والمظهر، كانت هي في الحقيقة ذات شخصية قوية جداً، وعنيدة على مستوى العمل. كانت ترفُض تماماً أي محاولة من «ولاد الحلال»لمساعدتها في عمل يظنّوا إنها أضعف من أن تقوم به، مثل دخول المشرحة، أو مُجالسة مجرمين ومحاورتهم إذا اقتضى العمل ذلك، فكانت تقوم بكل شئ بنفسها، وعلى الوجه الأكمل ما استطاعت. ولهذا تمكنت من أن تحتل مكانة خاصة في جريدة لها اسمها في

obeikan.com

الشارع المصري، في وقت قصير.

ولكنها اليوم لم تقابل مُجرم، أو قاتل متسلسل، او حتى سفاح فحسب. اليوم اكتشفت إن رئيسها في العمل الذي عملت معه سنوات طويلة لم يكن هو هذا الرجل الذي تظُنه. أن تكون قاتل فهو شئ مُقزز بالطبع، ولكن أن تستطيع إخفاء هذه الحقيقة بكل هذا الذكاء والبراعة، حتى على أقرب الناس إليك في العمل، الذي تقضي فيه معظم ساعات يومك هو شئ مرعب بالتأكيد.

كانت فكرة قدرته على التلوّن والتمثيل هي التي هزّت ثقة غادة في كل شئ، كل شئ تقريباً، فمجدي كارم كان يُعد أحد المُسلّمات في حياتها. وحدة قياس، تقيس عليه الكفاءة في العمل، والإخلاص، والمروءة، وها هي ترى كل لحظاتها معه أمام عينيها كأنها شريط سينمائي ولكن يداه مُلطخة بالدماء في كل المشاهد.

كانت ترتعد في انتظار حسن الذي لم يفهم منها عبر الهاتف حرف واحد وسط دموعها، وما أن اطمئن إنها بخير حتى طلب منها أن تنتظره حيث هي، فطلبت منه أن يقابلها بعيداً عن الجريدة، فاتفقا على الكوربة.

obeikan.com

برغم من مرور ما يزيد عن ثلث الساعة على وقوفها وحيدة، وبرغم من إنها تمكنت من السيطرة على دموعها وانفعالتها بشكل كبير، ولكنها في اللحظة التي رأت فيها حسن ينزل من سيارته وعلامات الخوف عليها تنطق بها ملامحه، انهارت، وشعرت لثواني أن رجلتيها لا تستطيعان حملها، وكأنها كانت تنتظره ليحمل عنها ماتحمل من همٍّ ثقيل.

ولكنها في اللحظة التي تصوّرت إنها ستسقُط، شعرت بحسن يلتقطها بين ذراعيه، وبرغم دقّة الموقف، وصعوبته، شَعَرت بالأمان. فجأة اختفى الخوف، وحل محلّه الاطمئنان، هذا لم يوقف دموعها، دموعها زادت في الحقيقة، ولكنها كانت أشبه بدموع طالب كان واثق من رسوبه، في لحظة سماع خبر نجاحه، دموع ارتياح. اختبأت بداخله، احتواها، شعر من ضعفها إنها لا تملك غيره، فأراد أن يطمئنها، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يحتويها.

بكَت بصوت عالي، ضمّها بقوة، فبكَت أكثر. لم يحاول أن يفهم منها سبب كل هذا، كان كل اهتمامه مُنصَب على هذه اللحظة، وهذا الشعور الذي يتملّكه، تلك اللذة التي تأتي مع عودة الروح لجسد جَفّت مشاعره منذ سنوات. شعر بقلبه يخفِق وكأنها أول مرة، شعر بروحه وهي تتسائل عما يحدث لهما. احتضنها وكأنها الدنيا، واختبأت فيه من الدنيا.

obeikan.com

ولم يجـروء أحـداً منهـم عـلى إيقـاف تلـك المقطوعـة الصامتـة التـي تُعـزف، حتـى بعـد أن بـدأت الأمطـار في الهطـول، وكأنهـا أرادت أن تشـارك في تلـك اللحظـة بمـا تسـتطيع، لم يتحـرك، ولم تتحـرك، وكأنهـم خـارج الزمـن.

obeikan.com

٢٩

ساعات الأربعاء الأولى ١٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

يصل عصام ناجي لمسرح الجريمة الذي شهد الجريمة الثانية للسفاح بعد عودته من رحلة غياب استمرت لثمانِ سنوات. كانت المنطقة تشبه كثيراً منطقة مسرح الجريمة السابق، وإن كانت الشوارع أوسع نسبياً. كان المنزل يقع في أحد الشوارع المتفرعة من شارع مصر والسودان.

لم يكُن أيّاً من فريق البحث الجنائي أو الطب الشرعي قد وَصل لمكان الجريمة بَعد، حيث وصل هو سريعاً لقُرب المكان من وسط البلد. طلب عصام من الأمين رأفت أن

obeikan.com

يَخلي لـه مدخـل الشـقة مـن أقـارب الضحيـة الذيـن يسـكنون عـلى بُعـد دقائـق سـيراً مـن منزلـه، حتـى يتمكـن مـن فحـص مـسرح الجريمـة بهـدوء.

وقـف عصام كعادتـه بعـد أول خطـوة لـه داخـل الشـقة، ونظـر حولـه في كل الإتجاهـات، بحثـاً عـن أي شئ في غـير موضعـه، فلـم يجـد. كانـت الشـقة متوسـطة المسـاحة، بمجـرد أن تدخـل تكـون مائـدة طعـام في مواجهتـك، عليهـا طبقـة رقيقـة مـن الأتربـة، التـي لَـم تُمَـس، مـما يشـير لعـدم وجـود ربـّة منـزل غالبـاً، وأيضـاً إلى أن القاتـل لم يلمسـها، وإلا كان تـرك علامـة في وسـط الأتربـة. إلى اليسـار توجـد ردهـة طويلـة تصـل بعـد خطـوات للحـمام والمطبـخ، الـذي لم يجـد فيهـم عصـام أي دليـل عـلى دخـول القاتـل إليهـما.

في مواجهـة بـاب الشـقة يوجـد بـاب كبـير خشـبي، فتحـه ليجـد نفسـه في غرفـة الضيـوف، ليجـد أول دليـل عـلى وجـود القاتـل، فقـد كانـت الطاولـة التـي في منتصـف الغرفـة في غـير مكانهـا المُعتـاد، حيـث أن الطـاولات بعـد بقائهـا لفـترة طويلـة في نفـس المـكان، تحفُـر كل قـدم مكانهـا في السـجادة تحتهـا، وهـي علامـة يصعُـب إزالتهـا كالذنـب. وكانـت الطاولـة تبعُـد مسـافة نصـف قـدم عـن موقعهـا التـي اعتـادت أن تكـون فيـه، رفـع عصـام بقبضـة يـده وهـي مُغطـاه بمنديـل ورقـي الطاولـة، ليتأكـد أن

ظنّـه كان في محلـه، حيـث أن أقـدام الطاولـة بالـكاد تركـت علامـة سـطحية عـلى السـجادة، مـما يؤكـد إنهـا -الطاولـة- في هـذا المكان منـذ سـاعات فقـط. دار ببـصره في الغرفـة فلاحـظ أن ثمـة عـدم انتظـام في وضـع أحـد الكـراسي أيضـاً.

خـرج عصـام ودخـل الردهـة الطويلـة الأخـرى التـي تقـود لغُـرف النـوم، كانـت الغرفـة الرئيسـية هـي الوحيـدة مفتوحـة البـاب، فدخـل لـيرى نفـس المشـهد الـذي أصبـح يـراه في كوابيسـه ليـلاً. صاحـب المنـزل شـاحب الوجـه، في نفـس وضـع ضحايـا السـفاح الذيـن سـبقوه، وقـد كُـسِرت مـرآة الغرفـة، وجـزء منهـا مُلقـى بـلا عنايـة عـلى صـدره، وبالطبـع محفـور عـلى جبهتـه، انعـكاس تاريـخ (١/١٢)

خـرج عصـام مـن الشـقة بعـد نصـف سـاعة مـن الفحـص، ليجـد مُعـاوني المباحـث في انتظـار انتهائـه مـن جولتـه، ومعهـم الرائـد هـادي، الـذي تبـدو عليـه علامـات الجديّـة والانفعـال، حيـث إنهـا أول مـرة يعايـن مـسرح جريمـة مـن جرائـم هـذا السـفاح عـلى الحقيقـة، فلقـد قـرأ عنـه كثـيراً، ولكـن التجربـة الحيـة شـئ آخـر.

أشـار عصـام لرأفـت الـذي كان يقـوم بـدور المُنظِـم للمـكان، وسـأله:
-أيه يا رأفت؟؟ احكي.

قرأ رأفت من ورقة في يده عِدة معلومات تحصّل عليها:

-قناوي الشيخ.. ٥١ سنة.. تاجر فاكهة.. عنده محل كبير تحت البيت هنا.. بس هو في الحقيقة تاجر صنف.. حشيش وبانجو وأفيون وأقراص والذي منه.. متجّوز وعنده ٧ عيال.. محدش منهم قاعد معاه.. ومراته في السجن.. واخدة ٣ سنين في حيازة مخدرات.. اللي ماسك شغله وبيراعيه سعيد ابن اخوه.

قال هادي:

-بعد أذنك يا عصام بيه هدخل أعاين الجثة.

أوما عصام برأسه إيجاباً، وهو يسأل رأفت:

-مين اللي لقى الجثة؟؟

-سعيد ابن اخو القتيل.. كان القتيل موصّي...

قاطعه عصام بإشارة من يده قائلاً:

-خلاص يا رأفت.. ابعتهولي أسمع منه.. وهاتي كوباية الشاي التقيل بتاعة كل مرة.

جلس عصام وتابع رأفت بنظره ليعرف من هو سعيد، تعرف عليه عندما وجّه له رأفت كلامه وهو يشير في اتجاه عصام، فحصه عصام جيّداً وهو يقترب منه، ولاحظ ارتباكه وخوفه الشديد من عصام، فتذكر مقولة حسن «الكلام ده منطقي في أي دولة في العالم.. في مصر الموضوع مختلف.. الناس بترتاح في الكلام مع المدنيين اكتر بكتير من الحكومة..

obeikan.com

ده غير إن انا الناس بتثق فيّ بسرعة»، فابتسم، وتمنى أن يكون صديقه حسن معه في التحقيق ليحِلّ له القضية كما حلّ قضية السرقة في ثواني. أشار عصام لسعيد أن يجلس قبالته في الردهة المواجهة لباب شقة القتيل على كرسي خشبي من النوع المُستخدم في القهاوي في تلك المناطق، فجلس، اعتدل عصام وهو يشعل سيجارته، ونظر لسعيد باسماً، وقال:

-مساء الفل يا سعيد.. أيه ياعم مالك مخشّب كده؟؟

قال سعيد بصوّت حزين مرتجف:

-يا بيه ولا مخشّب ولا حاجة.. الله يرحمه بس كان أبويا التاني.

سأله عصام بهدوء وهو ينظر له بشَك:

-وهتورث فيه طبعاً.

لم يرُد سعيد، وإن ظهرت علامات الغضب على ملامحه، وتسارعت أنفاسه، فأكمل عصام:

-احكيلي بقى.. أيه اللي جابك هنا بالليل كده؟؟

-الحاج كان موصّيني اجيبله شوية حاجات بعد الشغل على هنا.

-حاجات زي أيه؟؟

-أدوية سكر يا بيه.. والكيس مع الواد ابني. قالها وأشار لطفل يقف بعيداً مع بعض رجال الحي المُتطفلين.

نظر عصام للطفل لثواني، ثم قال لسعيد وهو يلتقط كوب الشاي من رأفت:

-عايـزك تحـاول تفتكـر كـده أي حاجـة غريبـة حصلـت يـوم ١ الشـهر ده.. كان... ورفـع عينـه لأعـلى لثـواني، ثـم أكمـل:

-كان يوم الأحد من ٣ أسابيع.

عقد سعيد حاجبيه وكأنه يحاول أن يتذكر، ثم قال:

-لا والله يا بيه مش فاكر حاجة.

-أي حاجة يا سعيد.. حاول تساعدني.. افتكر.

ظهرت علامات التفكير على سعيد لثواني، ثم قال مُستسلماً:

-واللـه يـا بيـه الكـدب خيبـة.. انـا بالعافيـة بفتكـر يومـين فاتـوا.. ليـه يـا بيـه بتسـأل ع اليـوم ده بالـذات؟؟

أكمـل عصـام دون أن يلتفـت لسـؤال سـعيد في إشـارة غـير مباشرة لأنـه هـو الوحيـد الـذي يطرح الأسـئلة:

-شـوف يـا سـعيد.. انـا هنـا بحقـق في جريمـة قتـل.. مايهمنيـش أي حاجـة تانيـة.. دالوقـت عـلى الأقـل.. ممكـن تقـولي مـين مـن مصلحتـه يقتـل عمّـك؟؟ حـد اشـترى منـه بضاعـة مـش تمـام.. اختلفـوا عـلى فلـوس.. حـد علّمتـوا عليـه وسـلّمتوه للمخبريـن بحاجـة وهـو خـارج مـن عندكـم.. أي حاجـة.. افتكـر.

نظـر سـعيد لـلأرض لثـواني، وقـد وصلتـه رسـالة عصـام، فقـال بصِـدق:

-واللـه العظيـم يـا بيـه الحـاج كان في المنطقـة هنـا.. وفي الـكار.. زي الجنيـة الدهـب.. عمـره مازعّـل حـد منـه لدرجـة القتـل.. ولا حصلـت حاجـة مـن دي قريـب خالـص.

-مـاشي يـا سـعيد.. روح شـوف الـلي وراك وعـدّي علينـا في القسـم

بكـرة علشـان نكتـب المحـاضر.. وعايـز معـاك كل الـلي شـغالين في المحـل معـاك.. وقرايبـك الـلي سـاكنين قريّـب مـن هنـا مبدئيـاً.

كان هــادي ومعــاوني المباحــث قــد انتهــوا مــن فحــص مــسرح الجريمــة، فقــام عصــام وقــال لهــادي:

-وصلتوا لحاجة؟؟

-واضح أن في خناقة حصلت في الصالون.

قال عصام مؤكِداً:

-ده صحيـح.. وده معنـاه إن الـلي قتـل يعـرف القتيـل.. علشـان يدخّلـه الصالـون.

قال هشام:

-تفتكـر إن الـلي عمـل كـده بيقلّـد السـفاح واسـتغل ظهـوره تـاني عشـان يخلـص مـن القتيـل ده؟؟

قال عصام بضيق:

-انــا مافتكــرش حاجــة.. القضيــة كــده بتقفّــل كل جريمــة.. والمفــروض العكــس.

ثم زفر بضيق وقال:

-بـس احنـا مبدئيـاً زي ماحنـا.. انـا ورامـي شـغالين عـلى الجديـد بمـا فيهـم قضيـة الليلـة دي.. وانـت وهـادي شـغالين عـلى القديـم يمكـن توصلـوا لحاجـة.

ثم وجّه كلامه لرامي وقال:

-عايــز القضيــة دي يتحســم فيهــا الــكلام في خــلال يومــين يــا رامــي.. لــو حــد مــن معــارف القتيــل بيقلّــد السـفاح لازم نجيبــه

في يومـين علشـان نرجـع نشـتغل عـلى القضيـة الكبـيرة.. أو نتأكـد إنـه السـفاح وبكـده يبقـى لقينـا أول الخيـط للقبـض عليـه.

سأل رامي:

-ازاي؟؟

-لـو السـفاح هـو الـلي قتـل الليلـة دي يبقـى أخـيراً قتـل حـد يعرفـه.. وهتبقـى مسـئوليتنا نعـرف هـو مـين مـن معارفـه.. ودي حاجـة ماحصلتـش قبـل كـده.

ثم نظر في اتجاه الشقة وقال وكأنه يُحدث نفسه:

-يمكن تكون دي الغلطة اللي هتوقّعه.

obeikan.com

٣٠

ساعات الأربعاء الأولى ١٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

كانت الأمطار قد بدأت تهطُل بشدة، وبدء صوتها يطغى على صوت بُكاء غادة، التي كانت لاتزال متشبثة بحسن وكأنه القشة التي ستنقذها من غرق مؤكد ووشيك.

تراجع حسن بلُطف، ونظر في عينيّ غادة، ومسح بيده اليُمنى خصلات شعرها التي كانت تغطي جبهتها وجزء من عيناها الجميلتان. فرفعت يدها وأزاحت خصلة من شعرها خلف أُذنها اليُمنى، ونظرت لعيناه، وكأنها تطلب منها أن تحتويها، ليزول خوفها من كل شئ. كانت يداه خلف ظهرها، ويداها على كتفيه، والبكاء هو الثابت الوحيد منذ قابلته حتى اللحظة، هو وتلك النظرة التي استمرت لدقيقة كاملة،

obeikan.com

برغم البرودة والأمطار.

فكل شئ تغيّر في تلك الدقائق للأبد؛ شعورها به، وشعوره بها، وخوفها الذي زال بين يديه، وروحه التي عادت معها، فهو لم يشعر منذ زمن بعيد بحاجة أحد له لهذه الدرجة، أن تعتمد عليه فتاة لهذه الدرجة، وأن يشعر بضعفها، وإنه مصدر قوّتها، وهو شعور أجمل من أن يوصف في كلمات. وهي لم تشعر بكل هذا القدر من الأمان منذ توفى والدها، وكانت ترى في مجدي البديل المؤقت، حتى انهار كل شئ أمامها منذ ساعة، فلم تجد إلا حسن، الذي لم يتأخر. ابتعد حسن خطوة للوراء، فتشبثت به تلقائياً خوفاً من أن يضيع -إحساس الأمان- بعد أن استعادته، ولكنه ابتسم مُطمئناً، ودفعها بلُطف بيُمناه في اتجاه سيارته، فسارت معه كالمسحورة.

فتح باب سيارته، وأجلسها وأخد منها مفاتيح سيارتها، وذهب إليها، ركبها وصفّها بجوار الرصيف، وأخذ منها حقيبتها وهاتفها وأغلقها وعاد لسيارته، وضع مُتعلقاتها على الكنبة الخلفية، وأدار السيارة، وقال بصوت حنون وهو يتحرك:
-الوقت اتأخر قوي.. انتي لازم تروّحي.
أومأت برأسها إيجاباً وهي تنظر له في محاولة منها لفهم ما حدث منذ ثواني، وهل يشعُر هو بمثل ماتشعر به. ابتسم

لها حسن بحنان، وقال:
-قادرة تتكلمي؟؟
قالت بصوت ضعيف:
-انا آسفة لو ك...
قاطعها بإشارة من يده وقال:
-ماتقوليش كده تاني.. أبداً.
-حاضر. قالتها وهي تمسح دموعها، وسألت:
-انت رايح فين؟؟
فضحك وقال:
-مانا مش عارف انتي ساكنة فين.. فبتمشّى على ماتقولي.
ابتسمت وقالت:
-في الضاهر.
فابتسم لأنها تسكُن في المنطقة التي تربّى وعاش بها طفولته. وقال:
-ممكن بقى تطمنيني وتقوليلي مالك؟؟
تذكرت ما كانت نسيته لثواني، فعقدت حاجبيها، وكسى الحزن ملامحها، وقالت:
-مستر مجدي هو السفاح يا حسن. ولم تتمالك نفسها، فبَكَت مُجدداً، وقالت وهي تبكي بحُرقة:
-مستر مجدي هو اللي قتل مراتك يا حسن.

نظر لها حسن بملامح تكسوها الدهشة والإستغراب، ولم

obeikan.com

يستطع التفوه بأي شئ للحظات وهي تبكي. وبعد لحظات من الصمت تمالك نفسه وقال بشَك:

-ممكن تهدي شوية وتفهّميني أيه الحكاية؟؟

قالت وهي تحاول السيطرة على دموعها:

-النهاردة بالصدفة فتحت خزنته وهو برّة.. لاقيت ظرف مكتوب عليه جرائمي في خزنته.. بصّيت فيه بسرعة قبل مايرجع المكتب لاقيت صورة واحد من اللي قتلهم السفاح.. وكان مليان صور وورق.. بس مالحقش اشوف حاجة تانية.

نظر حسن أمامه، وظَل جامداً كالحجر، وهو يستمع إليها، وبعد أن انتهت وصمتت لترى ردة فعله، أغمض عيناه لثواني وكأنه يحاول أن يهرب من شئ رآه أمامه، أو شعور انتابه، ثم تنهّد بضيق واكتفى بالصمت.

بعد دقائق مرّت بطيئة، كحركة المرور في القاهرة وقت الذروة، أوقف حسن سيارته عند منزل غادة، وقطع الصمت الثقيل وهو يعتدل بتنهيدة طويلة تحمل همّاً ثقيلاً، وقال:

-اللي انتي شوفتيه مش معناه إن مجدي هو السفاح.. انتي نفسك قولتي إن الظرف كان مليان.. وانتي ماشوفتيش منه غير صورة واحدة.. ازاي ده دليل كافي؟؟

قالت وكانت قد توقفت عن البكاء تماماً:

-مش الصورة بس يا حسن.. يوم الInterview كان بيقول حاجات مافهمتهاش إلا النهاردة.. قال إن السفاح ضِعف اودام

obeikan.com

نرجسيته.. وإنه توقف عن القتل ندماً على خطيئته اللي هي الضعف ده.. وكان بيتكلم كأنه عارف السفاح ومذاكره.
أغمض حسن عيناه لشعوره بالمرارة وهي تتحدث عن مقتل زوجته، فأدركت غادة مشاعره، فقالت وهي تمد يدها للباب:
-انا آسفة يا حسن.. انا مكانش المفروض اكلمك انت خالص في الحكاية دي.. سامحني.. واعتبر الل...
قاطعها حسن بنظرة لوم واضح، فقطعت كلامها ونظرت له بتأنيب ضمير، فقال:
-انا مش قلتلك ماتقوليش كده تاني؟؟
-انا آس... ولكنها قطعت كلمة الآسف ونظرت لجهة الباب المجاور لها هرباً من لومه. فقال:
-انا فكّرت كويس.. وإن بعض الظن إثم يا غادة.. ماينفعش نتّهم راجل زي ده بحاجة زي دي إلا لما نتأكد.
-وهنتأكد ازاي؟
-انا فكّرت في الحكاية دي واحنا في السِكة.. ومفيش غير طريقة واحدة.
قالها وصمت، فنظرت له بتساؤل، فأكمل بطريقة من اتخذ قراره بالفعل:
-هنسرق الظرف.

obeikan.com

obeikan.com

٣١
صباح الجمعة ١٧ نوفمبر سنة ٢٠٠٥

الدكتور وسام حجازي، أخصائي أمراض النساء والتوليد، يدخُل المُستشفى الذي إعتاد أن يجري فيها عمليات الولادة صباحاً، يبتسم بوِد لعائلة سِهام، التي حددّ لها تاريخ اليوم لتلِد قيصرياً، تجنُباً لمتاعب حمل متوقعة في حالة إنتظارها حتى تحدث الولادة طبيعياً.

غاب لفترة ليست بالقصيرة داخل غرفة العمليات، لتخرُج ممرضة تدفع الجنين على عربة مُتحركة، وهي تطلب من أهل سِهام أن يسمحوا لها بالمرور سريعاً، لحاجة الجنين الدخول فوراً للحضانة، لعدم اكتمال رئتيه بعد.

السبت ١٨ نوفمبر سنة ٢٠٠٥
سفر الدكتور وسام لفرنسا، لحضور حفل زفاف ابنته.

obeikan.com

الأحد ١٩ نوڤمبر سنة ٢٠٠٥

وفـاة طفلـة سِـهام، بسـبب عـدم اكتـمال رئتيّهـا. الطفلـة التـي كانـت اختـارت لهـا سِـهام اسـم سـما، الـذي اسـتغرقها إقنـاع زوجهـا بـه، ٣ شـهور كاملـة مـن الـزنّ.

obeikan.com

٣٢

الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

-صحّ النوم يا أستاذ. قالتها غادة لحسن بمرح، بمُجرد أن أجاب اتصالها.

فابتسم وقعد على طرف السرير، وقال بصوّت مازال نائماً:

-ربنا يسامح بقى اللي سهّرني للصبح.

قالت بصوّت ملئ بالحنان:

-انا مش عارفة انت ازاي كده.. مش قادرة افهم بجد.. أيه اللي خلاك تجيبلي العربية تحت البيت؟؟ وأيه اللي انت عملته في ماما ده؟

-عملت أيه؟!

-ماعرفش.. بس هي الصبح وهي بتديلي مفاتيح العربية.. كانت بتدعيلك.. انت سحرت لها؟؟ وضحكت بسعادة واضحة.

obeikan.com

قال حسن وهو يبتسم:
-سحر أيه بس؟؟ انا استنيت الصبح جه وطلعت سيبتلك المفاتيح واتطمنت عليكي منها.. وشربت كوباية شاي زي العسل من أيديها ونزلت.. بس كده.
ابتسمت غادة بسعادة لم تعهدها منذ فترة، وقالت:
-مش عارفة اشكُرك ازاي بجد.
-بطّلي تقولي شكراً وانتي تبقي كويسة.
-ربنا يخليك ليّ. قالتها وابتسمت بخجل برغم إنه لا يراها.
فابتسم كأنه يراها ولم يُجيب، فقالت للهروب من الخجل:
-انا عملت اللي اتفقنا عليه.. كلمت عصام كتّر خيره بعتلي صورتين لجريمة امبارح.. وكتبت موضوع نزل صفحة أولى.. ولمّحت فيه زي ماتفقنا إن اللي بيقتل ممكن يكون مش هو نفسه قاتل زمان.
-واضح أن فاتني كتير فعلاً.. طب وأيه أخبار مجدي؟؟
-النهاردة كنت طبيعية جداً وناقشته في كل حاجة ومفيش حاجة بانت عليّ خالص الحمد لله.. ودالوقت لسة خارجة من مستشفى التكامل بتاعة هبة.
انتبه حسن وأنصت بكل حواسه وهي تكمل:
-مش عارفة يا حسن.. بس مش مرتاحة.
-ازاي؟؟
-كل زميلاتها مايعرفوش عنها حاجة.. كلهم بيقولوا إن أول الشهر مشيّت بدون سبب.. في الHR المدير قال إنها طلبت

تمشي بعد قبض شهر نوفمبر.. سألته كتبت استقالة قاللي لا.
-طب وبتقولي مش مرتاحة ليه؟؟
-أصل تحسهم واخدين تعليمات مايتكلموش في الموضوع.
-ممم يبقى غالباً شكوكي في محلّها.
-اللي هي أيه؟؟
-اصبري عليّ بس اتأكد وهقولك.. بلاش نتسرّع.
فكّر لثواني ثم قال:
-عندك تفاصيل جريمة امبارح؟؟
-كلها في الجرنان.
-تمام.. هشوفه.
قالت غادة بلهفة وقد أدركت إنه أوشك أن يُغلِق الخط:
-هتعمل حاجة النهاردة؟؟
صمت لثواني، فتداركت:
-اقصد علشان القضية يعني.
ابتسم وقال:
-انا هنزل كمان شوية اشرب القهوة في النادي.. وبعدين هحاول اوصل لمعلومات بخصوص جريمة امبارح. ثم أكمل:
-انتي هتعملي أيه دالوقت؟
-مش عارفة.
قال مازحاً:
-انا عارف.

obeikan.com

بعـد سـاعتين كان حسـن ينتظـر غـادة أمـام بـاب النـادي، قابلهـا بإبتسـامة مختلفـة تحمـل مـن اللهفـة والإعجـاب الكثـير بغـير مـواراة. ومـا أن اقتربـت حتـى تقـدم منهـا وقـال:

-انتي احلوّيتي كده إمتى؟؟

ضحكت بخجل ورفعت خصلة خلف أذنها اليُمنى، وقالت:

-متشكرة.. بس مش قوي كده.

أفسح لها الطريق لتتقدمه، وقال:

-هو قوي.. بس اللي تشوفيه.

ابتسـمت بخجـل، وصمتـت، حتـى لمحتـه يتأمّـل ملامحهـا وهـو يسـير بجوارهـا، فنظـرت لـه لـترى ابتسـامة تكسـو ملامحـه، لم تراهـا منـه قبـل اللحظـة. كانـت ابتسـامته عذبـة كصـوت الطيـور بعـد الفجـر، وعينـاه كانتـا تتأملاهـا بشـغف، كان كأنـه لا يـرى سـواها. لم تجـروء عـلى أن تحـوّل نظرهـا عـن عينـاه ولـو لثانيـة، مـما أجبرهـم عـلى التوقـف تلقائياً دون اتفـاق، حتـى لا يصطدموا بشـئ يقطـع تلـك اللحظـة، التـي تمنّـوا أن تسـتمر للأبـد.

وكأن الزمـن اسـتجاب؛ توقـف كل شـئ حولهـم لثـواني، خفتـت أصـوات كل شـئ، غابـت التفاصيـل حولهـما وبقـى كل منهـم فقـط أمـام عـين الآخـر. بـدء قلـب غـادة رغـماً عنهـا يـدق بقـوة، وتسـارعت أنفاسـها، وكانـت تتمنـى أن ترتمـي في حضـن هـذا الرجـل، الـذي قالـت عينـاه كل الـكلام دون أن يتحـدث. ولكنـه

لم يكتفي بكلام عيناه، وقطع الصمت الجميل بصوت أجمل قائلاً:

-اسمحيلي. ومدّ يده وأمسك يدها اليُسرى، فمدّت يدها بتلقائية، كعادتها عندما تخجل، لترفع خصلة من شعرها خلف أذنها اليمنى، ولكنه أمسك يدها اليمنى وأعادها إلى جانبها، ونظر في عينيّها ورفع هو بيده الخصلة التي تهرب منه إليها كل مرة، فسألت بلهفة طفل ينتظر قرار النزهة من والده:

-انا مش عارفة انت ازاي كده.. مش عارفة اقولك أيه.

صمتت ولكن تكلمت عيناها، سألته دون صوت إذا ما كان يشعر نحوها بأي شئ، وصله تساؤلها فابتسم وقال بكل حنان الدنيا:

-ماتقوليش حاجة يا غادة.. ماتقوليش حاجة.

بعد دقيقة كاملة من صمت الكلام، الذي لا يعني بالضرورة الصمت الكامل، سحبها من يدها وسار بها في اتجاه مائدته المُفضلة ليجد أن أحداً سبقه إليها. عقد حاجبيه في محاولة تذكر متى كانت آخر مرة حدث هذا الموقف، فلم يستطع.

-هل هي إشارة أن حان وقت تخطي الماضي؟ هل تأتي الصُدف بهذه الدقة؟ قال مُحدّثاً نفسه.

جلس حسن بعد أن اختارت غادة مائدة أخرى، وقال وهو

يبتسـم:

-عايز اتفق معاكي على حاجة.

-ها؟؟

-مش عايز اشوفك خايفة تاني زي امبارح بالليل.

تنهدت عندما تذكّرت ما رأت، وقالت:

-انـت ماتعرفـش مسـتر مجـدي بالنسـبة لي أيـه يـا حسـن.. لـو تعـرف هتُعـذُرني.

-انــا عــارف.. وعــاذرك.. بــس ماتنســيش إنــك مســتعجلة في حُكمـك.. وكـمان مهـما كان الـلي مخوّفـك مـش عايـزك تخـافي.. طـول مانـا موجـود مـش عايـزك تخـافي.. انـا مـش هسـمح لأي حـد يأذيـكي طـول مانـا عايـش.. أوعـدك.

قالت بصوت خافت:

-حاضر.. مش هخاف.

ابتسم وقال:

-جاهزة؟؟

عقدت حاجبيها بإستغراب وقالت:

-لأيه بالظبط؟؟

-نسرق الظرف.

اعتدلت واقتربت منه وقالت:

-انـت مـش ملاحـظ إنـك بتتكلـم عـلى موضـوع سرقـة الظـرف ده كأنـك بتعزمني ع السـينما؟؟

ابتسم واقترب منها بدوره وقال:

obeikan.com

-عايزاني اعزمك على السينما؟؟
ضحكت وهزّت رأسها يميناً ويساراً في تعجب واضح:
-ياعم انا بتكلم في أيه وانت بتتكلم في أيه؟؟
-انتي مكبّرة الموضوع على فكرة.

جاء عم عِفت حاملاً صينية عليها ما طلباه في مرّتهم السابقة دون أن يطلبوه اليوم، وقال مُخاطباً غادة:
-انا جبت قهوة لسعادتِك في كوباية زي المرة اللي فاتت.. تمام كده؟؟
-تسلم ايديك يا راجل يا طيب. قالتها بوِد.
فقال عم عِفت:
-عم عِفت يا بنتي.. اسمي عم عِفت.. حسن بيه ده تربيتي على فكرة.
-ربنا يديك الصحة يا عم عِفت ويخليك ليّ. قالها حسن وهو يقف ويضع يده حول كتف عم عفت، وقال لغادة:
-النادي ده كان لا يمكن اعتبّه لو الراجل ده مش فيه.
-ربنا يديم المحبة يابني. قالها عم عفت وغادر ونظارتهما المُحِبة تطارده.
اعتدل لها حسن وقال:
-جاهزة؟؟
قالت وهي تعيد كوب القهوة مكانه:
-جاهزة.. ممكن تقولي مطلوب مني أيه؟؟

obeikan.com

-توصفيـلي مـكان مكتـب مجـدي بالتفصيـل.. وتخلّيـه يسـيب المكتـب نـص سـاعة بـس.

-طـب وانـت هتعمـل أيـه؟؟ دي خزنـة مقفولـة ومكتـب وسـكرتيرة وصحفيـين.

قاطعها وقال:

-خليـكي في الـلي مطلـوب منـك.. لـو عرفتـي تبعديـه عـن مكتبـه نـص سـاعة.. انـا هعـرف اجيـب الظـرف.

-اتفقنا.. بس أمانة تخلّي بالك من نفسك.

-ماتقلقيش عليا.. يالا بينا.

obeikan.com

٣٣

الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

وصلت غادة عند المبني الذي يحوي في طابقه السابع المكتب الرئيسي لجريدة الملامح المصرية في منطقة وسط البلد. تركت سيارتها للرجل الذي يتولى المُهمة المستحيلة؛ وهي البحث عن مكان للسيارة، كما هي العادة في تلك المنطقة المتكدسة بكل شئ.

كان حسن يتبعها في سيارة أجرة طوال الطريق من النادي للجريدة، نظرت له وهي تعبر الطريق، ولم تمنع نفسها من الابتسام للشخص الذي شعرت تجاهه بمشاعر لم تصدق وجودها سوى في الروايات الرومانسية. ابتسم لها بدوره وطلب من السائق أن يتوقف بعد ثواني من مروره أمام المبني، وتابعها بنظره وهي تدخل المبني. وقف مكانه

obeikan.com

لدقائق ثم توجه للمبني بدوره.

كان نبض غادة متسارعاً للغاية، وكانت تجاهد حتى لا يبدو عليها التوتر الشديد الذي تعانيه. خرجت من المصعد واتجهت مباشرة لمكتبها وتركت عليه حقيبتها، وتوجهت لمكتب مجدي كارم وأطرافها ترتعش من التوتر، وكأنه سيُدرِك ما تنتويه بمُجرد رؤيتها.

كان باب المكتب مفتوحاً، فدخلت دون استئذان، كان ينهي مكالمة هاتفية، وقابلها بابتسامة ودودة وقال:
-الموضوع بتاعك ممتاز يا غادة.. وكمان عجبني تبنّيكي لفكرة إنه حد بيقلد السفاح.
قالت وقد ساعدها تشجيعه لها على التماسك، فخرج صوتها متماسكاً:
-مبسوطة إنه عجبك يا مستر مجدي.. انا معطّلاك عن حاجة؟؟
أشار لها أن تجلس وقال:
-لا أبداً.. اتفضلي.
-انا كنت عايزاك من فضلك تيجي معايا على مكتبي عايزاك تشوف حاجة مهمة.. ومش عارفة اجيبهالك هنا.. دقايق بس.
تعجّب لثواني، ثم قام قائلاً:

-ماشي يالا بينا.

سبقت مجدي في اتجاه مكتبها، ونظرت في ساعتها لتبدأ حساب النصف ساعة التي طلبها منها حسن، ثم توقفت في وسط الطريق وقالت له بصوت خفيض:

-انا عرفت معلومات جديدة عن القضية يا مستر مجدي.. وكنت عايزة اسأل حضرتك رأيك أيه.

-رأيي في أيه بالظبط؟؟

-يعني تنصحني اعمل أيه؟؟ اسلّمها للشرطة؟؟ ولا اعمل بيها سَبق عندنا الأول؟؟

عقد حاجبيه، وسأل:

-وانتي متأكدة إن الشرطة ماتعرفهاش؟؟

-بنسبة ٩٠٪ متأكدة.

-طب هي أيه المعلومات دي؟؟ مدى خطورتها وتأثيرها على القضية؟؟

قالت وهي تكمل السير في اتجاه مكتبها:

-هتقلب القضية كلها.

-للدرجة دي؟؟ قالها متعجباً

وصلت لمكتبها وفتحت حقيبتها، وأخرجت منها كراستها التي تستخدمها باستمرار، وقلّبت صفحاتها، ثم افسحت له المكان وطلبت منه الجلوس، فانصاع. وبعد أن أصبحت تسد عليه

obeikan.com

طريق الخروج، قالت بإنفعال مفتعل:
-في واحدة تانية اتقتلت قبل داليا.. بس اللي قتلها محترف.. غالباً هو اللي قتل داليا.. وخلّى الحادثة تبان إنها وقعت في النيل وغرقت.. اسمها هبة.. اللي قتل هبة هو اللي قتل داليا هو اللي قتل تذاكر.. ولبّس تذاكر قضية داليا.. والسفاح قضية تذاكر وخرج منها زي الشعرة من العجين.
كان مجدي كارم مذهولاً من كم المعلومات الخطيرة التي تعرفها غادة، ومُشتتاً من كثرتها، فقال:
-واحدة واحدة بس.. انتي عرفتي كل ده منين؟؟
ردّت غادة وقدّ اندمجت مع انفعالها المفتعل، وزاد من اندماجها انبهار مجدي بعملها، فأكملت بانفعال حقيقي:
-انا اتعرفت على مصدر خطير في القضية دي.. وكل ده عرفته منه في قاعدة واحدة. ورفعت خصلة خلف أذنها اليمنى عندما ورد ذكر حسن.
فسأل مجدي:
-واتأكدتي من المعلومات دي.. لا يكون بيضللك.
ابتسمت بثقة وقالت:
-عيب عليك يا مستر مجدي.. دانا تربيتك.
فقال وهو يقف:
-طب ما...
قاطعته حتى لا يغادر قائلة:
-ماقولتش اعمل أيه من وجهة نظرك؟؟ ابلّغ عصام باللي

عرفتـه؟؟ ولا أيـه؟؟
رنّ هاتف مجدي المحمول، فنظر له، وقال:
-تعـالي معايا يـا غـادة نكمّـل كلام في المكتـب.. علشـان لازم اخـد التليفـون ده في مكتبـي.

قالهـا وتخطاهـا وهـو يـرُد عـلى المكالمـة دون أن تجـد أي فرصـة لتعطيلـه، هرولـت خلفـه ونظـرت للسـاعة لتجـد إنهـا اعطـت حسـن أقـل مـن نصـف المُهلـة التـي طلبهـا، ولكنهـا لم تسـتطع التدخـل ومجـدي يتحـدث عـبر الهاتـف وهـو يسـير بخطـوات سريعـة في اتجـاه مكتبـه. فقـررت الذهـاب خلفـه للتدخـل بـأي شـكل كان عندمـا يجـد مجـدي أن هنـاك غريبـاً يعبـث بخزينتـه.

وصـل مجـدي لبـاب مكتبـه، ومـد يـده ليفتـح البـاب، أوشـك قلـب غـادة أن يتوقـف مـن التوتـر والخـوف.

دخـل مجـدي كارم لمكتبـه، وجلـس عـلى كرسـيه، وهـو لايـزال يتحـدث عـبر الهاتـف، قلّـب بعـض الأوراق أمامـه عـلى مكتبـه، لهـا علاقـة بالمكالمـة المهمـة، التـي منعتـه مـن أن يلاحـظ شـحوب وجـه غـادة، وتلفُتهـا يمينـاً ويسـاراً في المكتـب بحثـاً عـن حسـن، الـذي كان لا أثـر لـه في المكتـب، فنظـرت للخزينـة لتجدهـا مُغلقة كـما هـي في الظـروف الطبيعيـة.

غـادة في الحقيقـة كانـت تقـف عـلى بُعـد مـتر واحـد تقريبـاً عـن مجـدي، ولكنهـا لا تسـمع أي شـئ يقولـه، لا تسـمع سـوى دقـات قلبهـا الـذي يـكاد أن يـصرُخ رفضـاً لـكل هـذا الكـمّ مـن الأدرينالـين الـذي اندفـع عـبر عروقهـا.

فَزعَـت غـادة وسـقطت منهـا كراسـتها، عندمـا أنهـى مجـدي مكالمتـه ونـادى عليهـا بصـوت عـادي لا يتناسـب مـع ردة فعلهـا، فقـام مجـدي ودار حـول مكتبـه مُتجهـاً إليهـا، وقـال:
-مالك يا غادة؟؟
نظـرت لـه وهـي تنحنـي لتلتقـط الكراسـة، وقالـت بصـوت مُرتعــش:
-ما ما مفيش يا مستر مجدي.. القضية دي بس موتّراني.
-طب اقعدي طب واهدي.
قالـت وهـي واقفـة، لأنهـا في الحقيقـة تريـد المُغـادرة لتحـاول أن تطمـئن عـلى حسـن:
-انا ورايا شوية حاجات.. وهاجيلك تاني على طول.
فسأل مُتعجباً:
-طب وأيه اللي كنتي عايزاني اشوفه على مكتبك؟؟
-حاجـات ع الإيميـل.. بـس مـش مهـم دلوقتـي.. بعـد أذنـك. ثـم خرجـت وتركتـه مُشـفقاً عليهـا مـن الضغـط الـذي تتعـرض لـه بسـبب القضيـة التـي تعمـل عليهـا.

اتصلـت غـادة بحسـن وهـي تُـسرِع الخُطـى في اتجـاه مكتبهـا، ولكنهـا توقفـت قبـل مكتبهـا بخطـوات عندمـا رأتـه واقفـاً بـكل هـدوء أمـام مكتبهـا، يبـدو عليـه الملـل مـن طـول انتظارهـا.

اتسـعت عيناهـا وهـي تتجـه إليـه وتنظـر حولهـا في حركـة لا إراديـة، حيـث يشـعر المـرء وهـو يقـوم بـأي عمـل خاطـئ أن كل مـن حولـه يعرفـون مـا يخفيـه وينظـرون لـه. قـال هـو بمجـرد أن أصبحـت أمامـه:

-امسـكي نفسـك شـوية علشـان انتـي ناقـص تعـترفي.. بـس تصدقـي إنـك بتحلـوّي زيـادة لمـا بتتوتـري؟

تنهّـدت عندمـا اطمأنـت مـن كلامـه ومظهـره إنـه لم يتعـرض لأي مشـكلة، وقالـت:

-انـا آسـفة مالحقتـش اعطلـه.. جالـه تليفـون ونـط مـن اودامـي.. بـس كويـس إنـك مادخلتـش.. كنـا لبسـنا مصيبـة.

سأل بإستغراب:

-مادخلتش فين؟؟

قالـت بصـوت أقـرب للهمـس، وهـي يجمـع أشـياءها داخـل حقيبتهـا لتغـادر معـه:

-مالك يا حسن؟ مادخلتش مكتب مستر مجدي.

قال بمرح:

-مـش بقولـك حـمارة؟؟ ثـم أخـرج هاتفـه المحمـول، وفتـح الصور وأدار لهـا الهاتـف وأكمل:

-انا صوّرت كل الورق اللي في الملف خلاص.. الموضوع ماخدش وقت.. مكانوش كتير.. وبعدين الخزنة دي أغلب من الغُلب.. فكّرِتني بيكي.

obeikan.com

٣٤

عصر الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

تركت غادة قيادة سيارتها لحسن، لأنها كانت لاتزال تحت تأثير الصدمة. كان مظهر حسن الهادئ لا يوحي أبداً إنه انتهى لتوّه من السطو على خزينة مالك ورئيس تحرير جريدة مشهورة، في وضح النهار، وفي حضور تقريباً كل موظفين الجريدة، والخروج من الجريدة بما أراد ودون خوف أو استعجال. كانت تتأمله وهو يقود السيارة في انبهار ممزوج بالريبة.

وبعد دقائق من الصمت والتأمُل، قالت:

-انت عملت كده ازاي؟؟ وإمتى؟؟ واتعلمت السرقة فين؟؟ انت متخيل انت عملت أيه من دقايق؟؟ وشكلك أيه دلوقتي؟؟ كأنك خارج من السينما؟؟ مش فاهماك!!!

obeikan.com

نظر لها باسماً وقال:
-مش واخدة بالك إن دي تاني مرة تجيبي سيرة السينما النهاردة؟؟ ده تلميح واضح إنك عايزاني أعزمك على السينما.. كده انا اتأكدت.
نظرت له بغضب حقيقي، وقالت منفعلة:
-انت أكيد بتهزر!!!!
قال بهدوء لا يتناسب مع غضبها:
-بالظبط كده.. بهزر.. فيها أيه؟؟ ممكن تهدي شوية علشان مش هنستفيد حاجة من تَوَتُرِك ده؟؟
فنظرت له ولم تُعلِق، فوقف بالسيارة فجأة، واعتدل ليواجهها بصدره، وقال بجدية:
-انا كنت متوتر فعلاً وانا بفتح الخزنة.. وأيدي كانت بتترعش وانا بصوّر الورق.. بس بمجرد ما خرجت من المكتب من غير ماحد يشوفني هديت.. ولا انتي عايزاني افضل متوتر اليوم كله؟؟ قالها واعتدل وتحرك بالسيارة مرة أخرى.

بعد دقيقة قالت غادة بصوت حنون، حيث كانت قد اقتنعت بوجهة نظره، وبمبالغتها في الأمر:
-أول مرة أشوفك متعصب.. انت كمان بتحلوّ لما بتتعصب على فكرة.
نظر لها نظرة جانبية ولم يُعقِب، فأكملت:
-يعني انا غلطانة إني خايفة عليك؟؟ تصدق إنك فعلاً

ماتستاهلش. وضربته بقوة في كتفه الأيمن.
فنظر لها وقال باسماً:
-بذمتك ماستاهلش؟؟
قالت بعِناد:
-اه ماتستاهلش. ونظرت أمامها.
-خلاص يا غادة.. ماتزعليش.. بس مش عايزك تخافي عليّ كده.
نظرت له بلوم، ثم قالت بلهجة وكيل نيابة:
-ماجبتش الظرف ليه؟؟
أعجبه تأديتها لدور المُحقِق، فتجاوب معها وأجاب بلهجة المُتهم:
-علشان مش عايزه يلاحظ إنه اتسرق يا ناصحة.. ويشُك قبل مانعرف احنا بنتعامل مع مين.
-امم.. فتحت الخزنة ازاي؟؟
-الحقيقة إني آخر ٨ سنين من عمري كنت فاضي فيهم.. فاضي بمعناها المُمِل.. ٨ سنين فراغ ممكن يعلّموا الواحد اكتر من كده بكتير صدقيني.. فبطّلي تتفاجئي.
-يعني انت اتعلمت الحكاية دي من زهقك؟؟
نظر لها حسن وسأل بمرح:
-انتي شاكّة فيّ إني كنت بشتغل حرامي يا بت؟؟
ضحكت وقالت:
-حمارة وبت.. يابني انت بهدلتني خالص.. وبعدين طبعاً

obeikan.com

مـش شـاكّة إنـك حرامـي.. بـس مسـتغرباك.
-لا ماتستغربيش.. انا غريب أصلاً.
-طـب ممكـن بقـى نقعـد في حتـة علشـان نشـوف الـلي لقيتـه في الظـرف ده يـا عـم الغريـب؟

بعـد سـاعة جلسـا حسـن وغـادة في ركـن منـزوي في كافيـه كبـير مـن طابقـين في شـارع مـن شـوارع مـصر الجديـدة، بعـد أن عرجـا عـلى مكتبـة وقامـوا بطباعـة الصـور التـي التقطهـا حسـن في مكتـب مجـدي، بعـد التأكـد مـن أن الفتـاة التـي تعمـل في المكتبـة لـن تسـتطيع أن تلمـح مـا في الصـور، حيـث قامـت غـادة بتوصيـل الهاتـف والطباعـة، وحسـن كان يقـف بجـوار الطابعـة لإلتقـاط الأوراق.

طلـب كل منهـما قهوتـه كـما يحبهـا، انتظـرا حتـى تصـل القهـوة، حتـى لا يقاطعهـما شـيئاً، وأخرجـت غـادة الأوراق مـن حقيبتهـا، وشرعـت في ترتيبهـا، حيـث أن الأوراق كانـت مُرقّمـة.

كانـت تسـعة أوراق فقـط، كل الكتابـات عليهـا كانـت مطبوعـة بالكمبيوتـر. كان مطبـوع أعـلى كل ورقـة رقـم، وتحتـه صـورة القتيـل محفـور عـلى جبهتـه انعـكاس نفـس الرقـم المطبـوع أعـلى الصـورة. وتحـت كل صـورة مطبـوع تاريـخ ارتـكاب السـفاح جريمتـه، التـي سـمّاها «العقـاب»، ثـم تفاصيـل جريمـة القتيـل

التي ارتكبها في التاريخ المطبوع في أعلى الصفحة، والتي عاقبه عليها السفاح بقتله، وذكّره بها قبل مقتله، بأن أجبره على أن يكون آخر شئ يراه قبل أن تغادره الروح هو تاريخ جريمته محفور على جبهته، ولذلك كان دائماً يستخدم مرآة من بيت القتيل، ليضعها أمام عين من يقتل، وهي تفقد بريق الحياة تدريجياً.

الجريمة ١١١ (١١ يناير)
العقاب: ٢١ يناير
الشاب سامح نصّار ٣٠ سنة، يقتل بسيّارته الفتاة رانيا غالي ٢٦ سنة، ويتركها جثة هامدة في وسط الطريق ويهرب.

الجريمة ٢١٢ (١٢ فبراير)
العقاب: ١٩ مارس
صاحب معرض سيارات يتسبب في انهيار عقار ومقتل ستة أفراد تحت أنقاضه، وحصل على البراءة بعد رشوة بعد السُكان غير المتضررين، الذين مكّنوه من توجيه الإتهام لمتوفي، وهو المالك السابق للمعرض.
أسماء الضحايا:
-مصطفى الشيخ ٣٩ سنة
-فاطمة كارم ٣١ سنة
-دكروري السيد ٥٤ سنة

-قناوي عبد الله ٤٩ سنة
-نجاة عفيفي ٣٨ سنة
-ايمان قناوي ١١ سنة

الجريمة ٣٢١ (٢١ مارس)
العقاب: ١٥ أبريل
صيّاد يقبض ثمن تهريب خمسة شباب لإيطاليا ويلقي بهم في عرض البحر ليلقوا حتفُهم غرقاً.
الشباب:
-محمود شعبان ٢٢ سنة
-أحمد سامح ٢٣ سنة
-حسين شلبي ٢١ سنة
-هاني محروس ٢٠ سنة
-هيثم تحسين ٢١ سنة

الجريمة ٤١١ (١١ أبريل)
العقاب: ٣٠ أبريل
عامل المزلقان سيد شعيب ٣٩ سنة، يترك مكان خدمته ليذهب ليقابل الخادمة تهاني فهيم ٣٣ سنة، في المنزل التي تعمل به، حيث يغيب أهل المنزل عنه في هذا الوقت من النهار. علماً بأن كل منهما متزوّج من آخر.
الضحية:

-الطفل مازن السمري ٩ سنوات

الجريمة ٥١٧ (١٧ مايو)
العقاب: ٢٤ مايو
تمكنت الداخلية من إثبات تهمة قتل أربعة أطفال على سنارة النونو بعد القبض عليه، حيث كان يقوم بتعذيبهم حتى يعملوا تحت قيادته في مجال النشل والشحاتة. وهذا بخلاف تهمة الخطف لأكثر من ١٤ طفلاً.
لم يستدل على أسماء الضحايا حيث كانت الجثث قد بدأت في التحلل، ولم تفيد التحقيقات مع المقبوض عليهم في التعرف على أيّاً منهم.

الجريمة ٧٢٩ (٢٩ يوليو)
العقاب: ١٥ سبتمبر
مدرس الدرجة الإعدادية طلعت نجيب ٣٨ سنة، متزوج، اعتاد أن يستغل سذاجة طالباته، وأن يشبع بهم رغباته المريضة أثناء حصص الدروس الخصوصية، حتى حَمَلت منه الطالبة هبة ياسر ١٦ سنة وقامت بالإنتحار خوفاً من الفضيحة.

الجريمة ٩٢١ (٢١ سبتمبر)
العقاب: ١٣ أكتوبر
قتل سائق سيارة النقل حلمي التهامي ٤٩ سنة، وهو تحت

obeikan.com

تأثير المُخدر، عائلة كاملة، حيث تسبب فقدانه السيطرة على السيارة، في خروج سيارة العائلة عن الطريق، وانقلابها عدة مرات ومقتل ركابها.

الضحايا:

-مصطفى محمد ٤٣ سنة

-سهام درويش ٣٥ سنة

-فرح مصطفى ١٢ سنة

-هشام مصطفى ٩ سنوات

الجريمة ١١١٧ (١٧ نوڤمبر)

العقاب: ٢٩ نوڤمبر

حدد الدكتور وسام حجازي ٤٢ سنة، موعد ولادة للسيدّة سِهام ٢٥ سنة، قبل موعد اكتمال نمو رئتا الجنين بإسبوع، حتى يلحق بموعد زفاف أبنته في فرنسا، وأيضاً لأن أجره يزيد عندما تكون الولادة قيصرية، كما إنه شريك في المستشفى وبقاء الجنين داخل الحضّانة لمدة أسبوع يعود عليه بالنفع.

الضحية:

-سما هاشم

العمر: بضعة دقائق

الصفحة التاسعة كان مطبوع بها:

يا من يحكم على دون علم، حاكم من يستحق، فهو أولى بسوطك.

هذا إرثي، لست فخور به، ولكنها الحقيقة. لا أدّعي إني على حق، ولا أظُن إني أستحق مصير أفضل ممن قتلت، فأنا قاتل. ولا أنكر مُتعتي بمشاهدة بريق الحياة يخبو في عيون من قتلت، ولا أعلم يقيناً -بعد- السبب في تلك اللذة، هل هو ميلي للقتل وسفك الدماء وحصاد الأرواح عموماً؟ أم هي لذّة تحقيق العدالة الغائبة؟ لا أعرف، ولن أعرف، لأنني لم أقتل سوى القَتلة. وهذا فقط ما أعرفه يقيناً.

بعد مدة ليست بالقصيرة من الصمت الثقيل، تحركت غادة في محاولة منها لكسر هذا الصمت، وجمعت الأوراق ووضعتها بعناية داخل مظروف كبير اشترته من المكتبة، ونظرت لحسن الذي كانت ملامحه جامدة كالصخر، فلم تتمكن من تخمين ما يدور في باله في تلك اللحظة.

وبعد أن تأكدت أن لا نيّة لديه للحديث، قالت بصوت مبحوح:

-حسن.. الكلام اللي مكتوب ده مالوش غير معنى واحد.

فنظر لها بتساؤل، فأكملت:

-إن مستر مجدي هو القاتل بتاع زمان.. أنا آسفة يا حسن..

obeikan.com

عارفة إنه مش سهل إنك تعرف مين اللي... ولم تكمل جملتها، لتتجنب ذكر مقتل زوجته، حتى لا تؤلمه.
بقيت ملامحه جامدة كما هي، وقال بصوت هادئ:
-مش ملاحظة إن دول ٨ جرايم بس؟؟ وإن جريمة نادية مش موجودة؟
أومات غادة برأسها إيجاباً، وقالت:
-لاحظت.. بس انا اعتقد إني عارفة ليه.
عقد حسن حاجبيه وسأل مستغرباً:
-ليه؟؟
-يوم ال Interview مع مستر مجدي.. هو قال حاجة مهمة جداً أخدت بالي من معناها دالوقت.. ثواني اسمّعها لك. ومدت يدها لحقيبتها وأخرجت المُسجِلة، وبدأت تظبطها على ما أرادت أن يسمعه حسن.

انطلق صوت غادة من المُسجِلة:
«سؤالي لحضرتك هو.. ياترى حضرتك من البعض اللي بيحبه؟ ولا بيكرهه؟ وتصنيف حضرتك أيه للمقال ده.. غير إنه دفاع عن قاتل.. مفيش فيه ذرة إنسانية؟؟

مجدي:
-أولاً انا كتبت المقالة دي بعد جريمة الثامنة.. وارجعي للتاريخ لو مش مصدقة يا سيادة الصحفية.. واضح إنك

obeikan.com

محتاجة تراجعي القضية اللي بتحققي فيها قبل ما تشتغلي عليها.. وواضح كمان إني استعجلت إني سيبتك تشتغليها.. ثانياً هو لما قتل الضحية التاسعة كان تحت تأثير مرض نفسي.. ضعف.. كلنا عندنا نقطة ضعف.. اللي ضعيف قصاد الشهوة للجنس أو للسلطة أو للفلوس.. هو نقطة ضعفها لغرور والنرجسية.. مين فينا ما بيضعفش قصاد شهوات هو ما بيغلطش ولو مرة.. غروره عماه.. دفعه لإرتكاب غلطة واحدة.. ولو تلاحظي إنه بعدها اختفى.. واضح إن السبب كان ندمه على الغلطة دي.. ثالثاً كل اللي قتلهم قبل مقالتي الأخيرة عنه كانوا يستحقوا القتل.. لكن نظامنا الأعرج كان عاجز عن إنه يرجّع الحقوق لأصحابها.. ومحدش كان عنده الشجاعة يجيب حق الناس غيره.

صوت خبطة قوية، ثم مجدي مُجدداً:

-طالما اللي المفروض يجيب حق الناس عاجز سواء عن قلة حيلة أو تواطوء.. ماتزعلوش بقى من اللي ياخد حقه بدراعه.»

أغلقت غادة المُسجلة، وقالت:

-واضح جداً من رد فعله إنه ندمان على جريمته التاسعة.. ومش عايز يعترف بيها.. وبيعتبرها غلطة المفروض نسامحه عليها مقابل خدماته للمجتمع.. وخصوصاً لما قال إن ندمه

عليها هو السبب في إنه يبطل يقتل.. وكمان لو تلاحظ إنه تقريباً قال نفس الكلام اللي مكتوب في الصفحة الأخيرة.

ونظرت لحسن في محاولة لاكتشاف من ملامحه مدى اقتناعه بتحليلها، ولكن ملامحه الجامدة حالت دون ذلك، وبعد دقائق من الصمت، قال بهدوء:

-تحليلك منطقي.. بس انا لازم اسمعه بنفسي منه.

ثم تنهّد بغضب مكتوم، وقال بطريقة من عقد النيّة على فعل شئ، ولن يوقفه عن فعله مخلوق:

-انا قررت أواجهه شخصياً.

اتسعت عينا غادة خوفاً على حسن، من مواجهة من اكتشفت لتوّها إنه قاتل لا يعرف الرحمة، ولكن ملامح حسن كانت في تلك اللحظة لا تُعطي غير انطباعاً واحداً، أن ذلك القاتل هو من عليه أن يخشاه.

obeikan.com

٣٥

قبـل غـروب الأربعـاء ١٨ ديسـمبر سـنة ٢٠١٣

كان مظهـر عصـام ناجـي لا يـدل إلا عـلى أن هـذا الرجـل لم يغـادر مكتبـه منـذ يومـين عـلى الأقـل. والحقيقـة إنـه لم يغـادر مكتبـه منـذ فجـر الأربعـاء بالفعـل، منـذ عاد مـن مـسرح الجريمـة الثانية للسـفاح بعـد عودتـه الغريبـة. كان قميصـه مفتوحـاً لنصف صدره عـلى غـير عادتـه، وكان الإجهـاد واضحـاً عـلى ملامحـه، والهـالات السـوداء تحـت عينـاه تؤكـد إنـه لم يـذق النـوم منـذ فـترة ليسـت بالقصـيرة، وذقنـه كانـت غـير حليقـة بالطبـع.

لم ينتبـه لرنـين هاتفـه في بـادئ الأمـر، بسـبب انغماسـه في قـراءة محـاضر وأقـوال القضيـة التـي هـو بصددهـا. ولكنـه تنبّـه لرنـين الهاتـف فجـأة، كمـن يصحـو مـن نومـه فجـأة دون سـبب. ألتقـط

obeikan.com

الهاتـف وأجـاب دون وعـي، ودون النظـر لإسـم المُتصـل:
-نعم.
فجاءه صوت غادة عثمان منفعلاً:
-انت في مكتبك يا عصام؟؟
قال بحدّة:
-مين معايا؟؟
-غادة معاك يا عصام.
نظـر للهاتـف بتلقائيـة وقـد أدرك إنـه لم يتأكـد مـن المتصـل قبـل أن يـرُد، فأعـاد الهاتـف لأذنـه وقـال مُـبرِراً:
-معلـش يـا غـادة.. مـش شـايف أودامـي اليومـين دول.. اصـبري عليـا شـوية.. وانـا هكلـم...
قاطعته بقولها:
-لا انـا مـش بتصـل علشـان عايـزة معلومـات.. انـا عنـدي معلومـات عايـزة ابلّغـك بيهـا.. ومعايـا حسـن.
عقد عصام حاجبيه وأجاب:
-أيه يا غادة خير؟؟
-مش هينفع في التليفون يا عصام.. انت فين نجيلك؟؟
-في المكتـب.. مسـتنيكي. وأغلـق الخـط ورن جـرس اسـتدعاء حسـين، فجـاءه مهـروِلاً، ولكـن ملامحـه كانـت تحمـل هـمٌّ ثقيـل، لم تتمكـن مشـاغل عصـام مـن ان تُخفيـه عنـه. فقـال عصـام:
-مالك يابني انت كمان؟؟
فقال حسين وهو ينظُر للأرض هرباً من تحديق عصام:

obeikan.com

-ولا حاجة يا عصام بيه.. الحمد لله.
-اقفل الباب وتعالى. فنفّذ حسين، فأشار له عصام بأن يجلس وقال:
-انا مسحول ومش فايق لشُغل العيال ده يا حسين.. أمك تعبت تاني؟؟
نظر له حسين وجاهد دموعه حتى لا تظهر، ولكن كفاحه كان أضعف منها، فظهرت كحبّات الندى داخل مُقلتيه، فأضاف عصام:
-طب قوم أعملي القهوة بتاعتي في كوباية وسيبها على الله.

بعد دقائق دخل مكتبه كلٌ من غادة وحسن بعد ان طرقا الباب، فقام عصام من مكانه ودار حول مكتبه ورحّب بهما، وطلب منهما الجلوس، وقال وهو يجلس خلف مكتبه مُجدداً:
-أول مرة تدخل مكتبي يا حسن.. منوّر.
-منوّر بصاحبه.. انت ماروّحتش من أول امبارح؟؟
قال عصام:
-باين عليا؟؟
-جداً.
دخل حسين وترك قهوة عصام على مكتبه، وسأل:
-البهوات يشربوا حاجة؟؟
طلب حسن وغادة قهوتهما، وانتظرا حتى خرج حسين،

وبـدأت غـادة الحديـث وقالـت:
-انـا وحسـن عندنـا معلومـات مهمـة جـداً بخصـوص القضيـة الـلي بتحقـق فيهـا.
سأل عصام:
-أي قضية بالظبط؟؟ بتاعة تذاكر؟؟ ولا قناوي؟؟
قالت:
-قضايا سفاح الأرقام القديمة.. احنا تقريباً عرفنا مين السفاح.
تـرك عصـام قهوتـه وأعادهـا عـلى المكتـب قبـل ان يرشـف منهـا كـما كان ينـوي، وقـال بإسـتغراب:
-السفاح؟؟ عرفتوا السفاح؟؟!!!
قال حسن مُصحِحاً:
-تقريباً.
قال عصام:
-انا مش فاهم حاجة.. يعني أيه تقريباً؟؟
دخـل حسـين بالقهـوة لغـادة وحسـن، فقالـت غـادة بعـد انصرافـه:
-الموضـوع ابتـدى مـن كام يـوم.. عملـت Interview مـع مسـتر مجـدي قـال فيـه كلام غريـب عـن السـفاح دون وعـي وهـو متعصّـب.. وبعدهـا شـكّيت في ظـرف في الخزنـة الـلي في مكتبـه.. ولمـا فتحنـاه لقينـا فيـه الأوراق دي.

ناولـت عصـام المظـروف، ثـم ضغطـت زر التشـغيل في المُسـجلة

ليسمع عصام المقطع الذي أعادته على حسن قبل ساعات. أنصت عصام جيّداً لما يُقال، ثم فتح المظروف وبدأ يقرأ الأوراق بترتيبها. بعد ما فرغ عصام من قراءة الأوراق، نظر لحسن وغادة، وقال:

-انا مش فاهم.. انتوا وصلتوا للحاجة ازاي؟؟

قالت غادة:

-مش مهم وصلنا لها ازاي.. المهم ان النسخة الأصلية موجودة في خزنة مجدي كارم دلوقتي.

-متأكدة؟؟

-طبعاً يا عصام.. مش هقول حاجة بالخطورة دي الا لو متأكدة طبعاً.

نقل بصره بين غادة وحسن والأوراق أمامه، وقال:

-معقول؟؟ مجدي كارم الصحفي المشهور يكون هو السفاح؟؟

قال حسن الذي بدا هادئاً قليل الكلام:

-مش شايف ان الحكاية منطقية جداً؟؟

-ازاي؟؟

أكمل حسن:

-هو الوحيد اللي كان بيدافع عن السفاح وقت ظهوره.. ومعلّق المقالة اللي اتسببت في طرده وكانت هتتسبب في حبسه على الحيط في مكتبه اللي دافع فيها عن السفاح.. ودافع عن السفاح بضراوة لما غادة هاجمته.. وهو اللي السفاح بعت له معلومات عن اللي بيخطف الأطفال.. وهو

اللي اختار اسمه.. معقول كل ده صدفة؟؟

صمت عصام لدقائق، كان يدرس فيهم الأمر من كل جوانبه، وقال أخيراً:
-الورق ده لوحده مش كفاية.. لازم اعتراف منه.. ويارِيت يا غادة مفيش حاجة من الكلام ده تنزل جرايد خالص.. الورق ده لو اتسرّب هيبقى مجدي ده بطل.. ومش بعيد تنزله مظاهرات تقولِك «Free Magdy» البطل اللي كافح ضد مبارك وفساده.

ثم لفت انتباهه عدم وجود الجريمة التاسعة، فقال وهو ينظر لحسن:
-وبعدين دول ٨ بس!!
أجاب حسن:
-مانا لاحظت.. علشان كده جيت مع غادة. صمت لثانيتين ثم أكمل:
-انا عايز اكون موجود وانت بتواجهه بالكلام ده.

كان عصام يعلم مدى احتياج حسن لمواجهة مجدي، على الأقل حتى يتأكد من أن قاتل زوجته سيدفع الثمن أخيراً. ولهذا لم يرفض طلبه فوراً، ولكنه أيضاً لا يستطيع تنفيذ طلبه بهذه البساطة. بماذا سيُبرر وجود مدني معه أثناء القبض

obeikan.com

عـلى رجـل بقـوة وشـهرة مجـدي كارم، وخاصـة ان القبـض عـلى شـخص بهـذا السـيط والشـهرة لـن يكـون بالأمـر الهـيّن، فبالتأكيـد سـيتم تصويـر الواقعـة، وهنـاك إمكانيـة انهـا ستُذاع عـلى الهـواء أيضـاً.

فقال عصام بعد صمت استمر دقيقة كاملة:

-مش عارف هقدر اعمل كده ولا مش هقدر يا حسن.

قال حسن بتصميم:

-هتقدر.

فنظـر عصـام لغـادة التـي بـدَت واثقـة مـن كلام حسـن، ثـم أعـاد نظـره لحسـن الـذي أكمل:

-لو عملت بالظبط زي ماهقولك.. هتقدر.

obeikan.com

obeikan.com

٣٦

بعد غروب الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

التقط عصام سترته من على الحامل الخشبي في ركن مكتبه، بعد موافقته -بعد إلحاح شديد من غادة- على الخطة الذي وضعها حسن لمواجهة مجدي قبل القبض عليه. كان يعلم جيّداً أن ما يوشِك على القيام به يُعتبر خطأ مهني جسيم، ولكن شعوره بحاجة صديقه لهذه المواجهة سهّل قبوله لارتكاب الخطأ طواعية.

قال عصام لحسن همساً على باب مكتبه حتى لا تصل كلماته لغادة:

-معاك فلوس يا حسن؟؟

قال حسن دون تردُد ولكنه لم يمنع نفسه من الإستغراب:

-اللي انت عايزه.

obeikan.com

فقال عصام وهو يشير برأسه ناحية حسين الجالس في نهاية الممر الضيق:

-حسين أمه تعبانة.. وانا مش...

لم ينتظر حسن ليسمع باقي جملة عصام، أعطاه مفاتيح السيارة وقاطعه قائلاً:

-خلاص فهمتك.. روح أنت وغادة على العربية.. وأنا ثواني وهبقى معاكم.

تابع عصام بنظره حسن وهو يُسلّم بوِدّ على حسين الذي قام من على كُرسيه باحترام زائد وسلّم على حسن وهو يحني رأسه قليلاً للأمام وعيناه تحاول أن تفهم سبب الزيارة، فالطبيعي أن يستدعيه عصام في مكتبه إذا أراد ضيفه منه شيئاً.

وصل حسن للسيارة بعد دقائق من وصول غادة وعصام، واتخذ مكانه خلف عجلة القيادة، وانطلق في صمت في اتجاه منزل مجدي كارم.

بعد ساعة من الصمت الثقيل، وصلت سيارة حسن أمام منزل مجدي كارم في التجمع الخامس. كان بيته مكوّن من طابقين، ذات تصميم عصري، يغلب عليه اللون الأبيض من الخارج. يحيط به سور أسود عالي، وكانت البوابة الحديدية

السـوداء مفتوحـة عـلى مصراعيهـا، والكابينـة المُخصصـة للحـارس خاليـة.

تقدّمـت غـادة وصعـدت الدرجـات السـبع الخارجيـة وخلفهـا يميناً ويسـاراً كلٌّ مـن حسـن وعصـام وكأنهـما حارسـين شـخصيّن. وقفـت لثـواني أمـام البـاب لتلتقـط أنفاسـها. كانـت تعلـم جيّـداً أن بمجـرد ضغطهـا عـلى جـرس البـاب سـتتغيّر حياتهـا -مهنيّـاً عـلى الأقـل- للأبـد، فكأنهـا كانـت تحـاول أن تسـتعد لهـذا التغـيُر بلحظـة مـن الاسـترخاء. احترمـا حسـن وعصـام وقفتهـا بصمـت، وكأنهـا دقيقـة حـداد صامتـة اتفقـوا عـلى وقوفهـا مـع غـادة حِـداداً عـلى علاقتهـا بمجـدي كارم الـذي ظَنّـت أنهـا تعرفـه.

بعـد ثـواني اسـتجمعت شـجاعتها وضغطـت عـلى جـرس البـاب، الـذي أطلـق صوتـاً عاليـاً داخـل المنـزل مُعلنـاً عـن وصـول زائـر غـير متوقـع. مـرّت ثـواني الانتظـار بطيئـة كالزمـن وقـت المِحَـن، وغـادة تجاهـد لتبـدو طبيعيـة لمَـن سـيُجيب نـداء جـرس البـاب.

فتـح مجـدي البـاب مُرتديـاً ملابـس رياضيـة غالبـاً تُسـتخدم كملابـس منـزل لا علاقـة لهـا بالرياضـة. ابتسـم عندمـا رأى غـادة ولكنـه مـا لبـث أن عقـد حاجبيـه عندمـا لاحـظ توتُرهـا التـي جاهـدت لتخفيـه. ثـم نقـل بـصره بينهـا وبـين عصـام وحسـن، وعـاد بنظـره إليهـا مُسـتفسراً دون كلام عـما يحـدث. ابتسـمت

هـي وقالـت بصـوت متوتـر حاولـت عبثـاً أن يبـدو مَرحـاً:
-كنت قريبة قلت اعدّي اشرب معاك قهوة.. ممكن؟؟

تنحـى جانبـاً وأشـار لهـم بالدخـول ولكـن ملامـح الإسـتغراب رفضـت أن تتنحـى عـن وجهـه، فهـو كان واثقـاً مـن أن الزيـارة تحمـل أكـثر مـما قالـت هـي. قادهـم مجـدي للصالـون، ورحّـب بهـم وقـدّم نفسـه وهـو يمـد يـده لعصـام قائـلاً:
-مجدي كارم.. شرّفت بيتي.
فأجاب عصام:
-عصـام ناجـي.. رئيـس مباحـث قسـم الحدايـق.. ورئيـس فريـق البحـث الـلي ماسـك قضيـة السـفاح. قـال كلمـة السـفاح بتـأنّي وهـو ينظـر مبـاشرة في عينـي مجـدي، الـذي لاحـظ كيـف أن طريقـة عصـام غـير ودّيـة في الحقيقـة كـما يجـب أن تكـون في الحـالات العاديـة، ولكنـه تغـاضى عـن تلـك الملاحظـة حتـى لا يسـتبق الأحـداث، فهـو مـازال يجهـل مـا يحـدث تحديـداً، ولكنـه كان واثقـاً أن الزيـارة تحمـل سـبباً غـير سـار. نظـر لحسـن ومـدّ يـده قائـلاً:
-ماتشرفتش بحضرتك.
سـلّم عليـه حسـن بملامـح لم يتبـيّن مجـدي تحديـداً مـا تخفيـه، وقـال:
-حسن الشريف. واكتفى بالإسم.
طلـب مجـدي منهـم الجلـوس، وسـأل مـاذا يُريـد كل منهـم

ليشرب كما تقتضي أصول الضيافة، ولكن غادة طلبت منه أن يجلس قائلة:
-مستر مجدي.. من فضلك أقعد علشان عصام بيه عايزك في موضوع خطير لا يحتمل التأجيل.

جلس مجدي وكَست ملامحه علامات الحيرة، ونظر لعصام تلقائياً، الذي اعتدل في جلسته واقترب بجسده من حافة الكنبة التي يجلس عليها ليبدو وكأنه أسد على وشك الهجوم على فريسته. أخرج من داخل سترته مظروف الأوراق التي تحوي خزينة مكتب مجدي نُسخها الأصلية وألقاها على الطاولة التي تقع في منتصف الغرفة بينهما ولكن أمام مجدي. نظر مجدي للمظروف ثم عاد بنظره لعصام، الذي قال وهو ينظُر لعينيه مباشرة:
-ده الورق اللي احنا جايين هنا بسببه.
ثم أخرج من جيب سترته ورقة مطوية وضعها أمامه هو وقال وهو يشير لها:
-وده إذن النيابة اللي هنفتش بيه مكتبك وبيتك الجميل ده.

عقد مجدي حاجبيه في توتُر ونظر لغادة حتى يتبيّن إن كانت موافقة على ما يُقال، ولكنها راوغت عيناه ونظرت لعصام الذي انتزع من حزامه الكلابشات ووضعها أمامه، ثم أخرج سلاحه الميري وأغلق زر الأمان وسحب طلقة لماسورة السلاح

في تهديد واضح لا تُخطئه عين، وقال وهو يضع السلاح فوق إذن النيابة ويشير له:

-وده سلاحي الميري.. اللي مش هنحتاجه النهاردة علشان أنت مش هتعمل شوشرة.

تنحنح مجدي وقال بصوّت بحّته الصدمة حيث وصلته رسالة التهديد واضحة:

-ممكن أعرف أيه الحكاية؟؟

ردّ عصام بإشارة من يده صوب المظروف الذي ألقاه أمامه منذ ثواني، وقال:

-أنا اللي جاي هنا افهم الحكاية.

مدّ مجدي يده للمظروف وفتحه وسحب الأوراق من داخله. وبمُجرد أن وقعت عيناه على أول ورقة حتى توقف ونظر لضيوفه نظرة تحمل شعور بالدهشة واضح، وقال:

-أنا لسة مش فاهم.

قال عصام:

-واضح انك عارف الورق ده جاي منين.. ده انت حتى ما فكرتش تشوف كل الورق.

قال مجدي:

-واضح انك عارف كل حاجة انت كمان.. ليه إذن النيابة ده مش في أيد قوة بتفتش المكتب والبيت؟؟ ولية الكلابشات دي مش في أيدي؟؟

ابتسم عصام إعجاباً بذكاء مجدي، وقال:

obeikan.com

-غـادة عثـمان عزيـزة عليـا جـداً.. وانـت عزيـز عليهـا جـداً.. طلبـت منـي انـك تاخـد فرصـة تفـسّر بيهـا كل ده.
-وممكن اعرف انا المفروض مُتهم بأيه؟
عصام:
-بقتل على الأقل ٨ أشخاص. وأشار للورق.
أجفل مجدي لثواني ثم نظر لحسن وقال:
-ومين الأستاذ؟؟
قال عصام:
-انـت مـش في موقـف يسـمح لـك تسـأل يـا أسـتاذ مجـدي.. أظـن واضـح.
رد مجدي:
-ماتنسـاش انـك في بيتـي يـا عصـام بيـه.. وأني لحـد اللحظـة دي مـش مُتهـم بحاجـة رسـمي.. عـلى الأقـل مـن حقـي أعـرف بتكلـم أودام مـين.
تكلم حسن لأول مرة منذ دخل بيت مجدي، وقال:
-انـا حسـن الشريـف.. ناديـة مـراتي الضحيـة التاسـعة.. الجريمـة الـلي مـش موجـودة وسـط الـورق ده.
خفـق قلـب مجـدي لثـواني، ثـم نقـل بـصره بـين الثلاثـة وجـوه بتـأنّي، ثـم تنحنـح وبلـع ريقـه وقـال:
-الـسر الـلي هقولـه دلوقـت فضلـت محتفـظ بيـه سـنين.. بـس واضـح أن حتـى الأسرار ليهـا تاريـخ صلاحيـة وبتختـار تكشـف نفسـها بنفسـها بعـده.

obeikan.com

٣٧

ليل الأربعاء ١٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

-الحكايـة مـش زي ماحـد فيكـم شـاكِك خالـص. قالهـا مجـدي ونظـر لغـادة بلـوم واضـح، وأكمـل:

-معقول يا غادة شاكّة أن انا السفاح؟؟ انتي؟؟!!!

قالت غادة بصوّت مبحوح حزين:

-أرجـوك يـا مستر مجـدي وضّح الموقـف الأول وبعديـن اعمـل فيّ الـلي انـت عايـزه.. ارفـدني.. احبسـني.. أي حاجـة مـش هقولـك لأ.. بـس أرجـوك اثبـت لي انـك مـش قاتـل.. علشـان ارتـاح.

ثبّـت مجـدي عينـه عليهـا لثـواني، ثـم أراح ظهـره وتنهّـد بضيـق و ونقـل بـصره بـين ثلاثتهـم، ثـم نظـر لعصـام مبـاشرة وبـدأ يتكلـم بهدوء:

-الظـرف ده يـا عصـام بيـه وصلنـي الجرنـان يـوم القبـض عـلى المشـتبه فيـه الـلي... قطـع كلامـه فجـأة ونظـر لحسـن؛ حيـث

obeikan.com

أدرك أنـه يتحـدث عنـه، فأشـار لـه وقـال:
-الأسـتاذ. سـكت لثـواني لـيرى رد فعـل أيّـاً منهـم، ثـم أكمـل عندمـا لم يتلقـى أي شـئ:
-وموجـود معايـا مـن يومهـا لحـد النهـاردة.. وماعرفـش النسـخ دي وصلـت لكـم إزاي!!
عصام:
-ومابلّغتش الشرطة ليه؟؟
-انـت لـو تعـرف أنـا حصـل فيّ أيـه بعـد مـا كتبـت المقالـة الـلي اتسـببت في رفـدي وتحويـلي للمحكمـة كنـت هتعـرف إجابـة سؤالك.. دي كانـت أصعـب فـترة مَـرّت عـليّ في حيـاتي.. انـا كنـت متحـوّل للتحقيـق في الجرنـان.. وجـالي اسـتدعاء للنيابـة بقائمـة تُهَـم تليـق بإرهـابي.. ولـو الظـرف ده كان ظهـر وقتهـا ماعرفـش كان هيكـون في مصلحتـي ولا إثبـات للتُهـم.
رَفع كتفيه لأعلى وأضاف:
-خبّيته.
عصام بشَك:
-ماخُفتـش يُقـع في أيـد الداخليـة بـأي طريقـة وتـروح فيهـا رسـمي؟؟
-خُفـت طبعـاً.. وعلشـان كـده الظـرف مكانـش معايـا.. كنـت شـايله عـن المحامـي بتاعـي.. وبالمناسـبة.. هـو يعـرف محتوياتـه.. وحـيّ يُـرزق.. ممكـن تسـأله بنفسـك.
خيّـم الصمـت عـلى المـكان لدقيقـة كاملـة، حتـى قطعـت غـادة

الصمـت قائلـة:

-يعني حضرتك فعلاً ماتعرفش أي حاجة عن السفاح ده؟؟

نظر لها مجدي بلوم غاضب ولم يرُد. فقالت بإصرار:

-حضرتـك ماشـوفتش نفسـك دافعـت عنـه ازاي يـوم ال Interview!!

قال بغضب:

-وحضرتـك ماشـوفتيش نفسـك هاجمتينـي ازاي.. برضـه يـوم ال Interview.. انتـي يـا غـادة؟؟ كلامـك كان فيـه اتهـام واضـح اني موافـق عـلى قتـل أبريـاء.. فرقتـي أيـه انتـي عـن الـلي رفـدني والـلي كان هيحبسـني؟؟

-حضرتـك لمـا شرحـت لي تفاصيـل الجريمـة التاسـعة اتحـرق دمـي بصراحـة.. كنـت مُسـتَفَزة جـداً.

قال مجدي مُندفِعاً:

-وتفتكـري أن انـا كـمان مـش محـروق دمـي مـن يومهـا لحـد النهـاردة؟؟ ليـه؟؟ مـش بنـي آدم؟؟ انتـي مـش واخـدة بالـك أني ممكـن اكـون شريـك ولـو بنسـبة ١٪ في الجريمـة دي؟؟ مـش واخـدة بالـك طبعـاً.. محـدش فاهـم.. ومحـدش هيفهـم.

قـال حسـن الـذي كان قليـل الـكلام بصـوت هـادئ لا يتناسـب مـع حِـدة المناقشـة بـين مجـدي وغـادة:

-انا هفهم.. ازاي ممكن تكون شريك في الجريمة؟؟

زفـر مجـدي بضيـق، وعـاد الهـدوء لصوتـه مُجـدداً ولكنـه خـرج حزينـاً يحمـل شـعور واضـح بالذنـب وهـو يقـول:

obeikan.com

-يا سيّد حسن.. انا كنت السبب الرئيسي في شُهرة المجرم ده.. ومش هخبي عليكم انا كنت سعيد بيه في البداية.. كنت فاكره مُختلف.. مش مُجرد قاتل بدم بارد.. اختارت له أسم.. ونشرت خبر مساعدته في القبض على المجرم بتاع الأطفال.. وكنت مهتم بكل جرايمه.. واكتشفت بتحقيقات كنت بعملها خارج شغلي أكتر من حاجة.. عرفت سبب قتله لصاحب معرض السيارات.. وللدكتور.. وكنت متأكد أنه بيجيب حق ضايع.. كنت متحمس له جداً.

صمت لثواني، وأكمل بكل حُزن الدنيا:

-وبسبب الشهرة اللي انا عملتها له فقد هو السيطرة على نفسه لما شَعر إن غيره بدأ يخطف منه الأضواء. قالها وأشار لحسن، وأكمل:

-فارتكب جريمته الأخيرة.. ومن يومها وانا عايش بالذنب.. ومش قادر اسامح نفسي على الذنب ده.. يمكن لو كنت هاجمته زي ما كان بيتطلب منّي كان ارتدع.. يمكن.. الله أعلم.. بس اللي اعرفه عن يقين أني لو كنت هاجمته من أول يوم كنت هبقى مرتاح الضمير الكام سنة اللي فاتوا.

دخلت غرفة الصالون زوجة مجدي تحمل على وجهها ابتسامة صافية، تحوّلت لترحاب شديد عندما رأت غادة:

-كده يا مجدي؟؟ غادة هنا بقالها شوية وماتقوليش؟؟ ازيّك يا بنتي؟؟ منوّرين.

قامت غادة واحتضنتها وقالت:

-الحمد لله يا ماما.. وحشاني والله.
نظرت مدام سامية زوجة مجدي للضيوف وقالت بابتسامة صادقة:
-ساقع؟؟ ولا سُخن؟؟
نظر لها حسن بوِدّ وابتسم وقال:
-اللي غادة هتشرب منه.
وقال عصام وهو يخفي سلاحه خلف سترته، الذي التقطه لحظة دخول زوجة مجدي حتى لا تلاحظ وجوده:
-وانا زيّهم.. شكراً.
نظرت سامية لزوجها وأدركت من ابتسامته المُصطنعة -كأي زوجة مُحِبة عاشرت زوجها لسنوات عِدة- أن عليّها المغادرة فوراً، فغادرت بهدوء.
ساد الغرفة صمت كئيب لدقيقة، ثم قطعه عصام قائلاً:
-المقالة القديمة اللي كتبتها كانت قبل ماتستلم الظرف ده.. صح؟؟
-مظبوط.. بكام يوم.
-وايه اللي كان مأكّد لك أنه مُختلف حتى قبل ما يبعت لك التفاصيل؟
مجدي:
-بعد أكتر من جريمة بدأت اهتم بحكاية السفاح ده.. وبقيت أحاول أحلّ لغز الجريمة مع الشرطة بس بشكل منفصل عنها طبعاً.. زي ما غادة بتحاول تعمل دلوقت في الجرايم الأخيرة..

obeikan.com

وتحقيقي وصلّني للربط بين حوادث بتحصل وبتتقيّد ضد مجهول وجرايم السفاح.. على سبيل المثال: الجريمة الثالثة.
بحث في الأوراق التي أمامه والتقط منها ورقة الجريمة (٣٢١) وأعطاها اعصام. ثم أكمل:
-اكتشفت أن فيه ٥ شباب غرقوا في البحر في نفس اليوم اللي مكتوب على جبهة القتيل.. في نفس المنطقة.. طبعاً مفيش دليل يربط بين الجريمتين.. بس انا كنت واثق أن دي الجريمة اللي بيتعاقب عليها.
مدّ يده لعصام بالورقة التي تحمل تفاصيل الجريمة (١١١٧)، وأكمل:
-الدكتور ده عمل عملية ولادة في التاريخ ده.. والجنين مات بسبب عدم اكتمال الرئة.. مش ممكن تكون صدفة.
صمت لثواني ليُعطي فُرصة لعصام أن يراجع الورق، ثم أكمل:
-ساعتها كنت اتأكدت بالدليل أنه مُختلف.. وده اللي شجّعني أني اكتب المقالة.. علشان كنت عايزه يعرف أن في حد فاهمه وعارف هو بيعمل أيه.. وبعدين حصل اللي حصل للأسف.
قالها ونظر جانباً حتى يتجنب النظر لأيّ منهم. فقالت غادة بصوت ضعيف:
-ولما المقالة دي بتسبب لك كل تأنيب الضمير ده.. والألم ده.. ليه معلّقها على حيطة مكتبك.. وكأنك فخور بيها.
ضحك مجدي ضحكة قصيرة بسُخرية، وقال:

-انا معلّقها أودامي علشان دايماً تفكّرني أني لازم افكّر ألف مرة قبل ما اغلط الغلطة دي تاني.. مش فخور بحاجة.. ده اختيار غلط مش هنكِره.. بس سايبه قُصادي علشان اتعلم منه.

دخلت مدام سامية بالقهوة للجميع، تركتها على الطاولة في المنتصف، وقالت وهي تُغادر مُسرعة:

-خلّصوا شغل براحتكم علشان نجهّز العشاء.

انتظر مجدي حتى أغلقت الباب خلفها وأكمل وهو ينظُر لغادة:

-وده يا غادة اللي خلّاني في أول أيام ثورة يناير امتنع عن تأييدها برغم الهجوم الشديد اللي طالني وقتها.. مع أني كنت واحد من أشدّ مُعارضي مبارك.. بس الغلطة اللي غلطّتها زمان خليتني افكر قبل ماندفع.. ولو تفتكري كلامي ليكي أيامها وانتي منفعلة.. قولتلك هييجي يوم هيبان فيه كل شئ.. ويمكن اطلع غلطان.. لكن مش هندم على موقفي.. «عدم الوقوف مع الحق، أخف وطأة من الوقوف مع الباطل»وده كان عنوان مقالي اللي عمل ضجّة يومها وخسرت بسببه أصدقاء.. لكني مش ندمان عليه.

مدّ حسن يده والتقط فنجان قهوته في إشارة واضحة على استرخاءه وتصديقه لمجدي، فقال عصام بعد أن وصلته رسالة

حسن الصامتة:

-ياريت يا مجدي بيه تعترف انك غلطان في اللي حصل زمان وتكون فعلاً اتعلمت من غلطك.. حد غيرنا مكانش هييجي بشكل وِدّي.

قال مجدي:

-انت تقريباً رفعت عليّ السلاح يا عصام بيه.. ومعاك إذن نيابة بتفتيش بيتي.. وِدّي مين بس؟؟

ابتسم عصام وقال وهو يدفع إذن النيابة بسبابته في اتجاه مجدي:

-ماتنساش أن قبل ماندخُل هنا كان في احتمال وارد انك تكون قاتل.. كان لازم تكون رسالتي واضحة اني مش جاي اهزر.

مدّ مجدي يده وتناول إذن النيابة وفضّها، ليكتشف أنها إعلان عن افتتاح محل جديد قُرب منزله. ضحك على سذاجته، ونظر لعصام وأوما برأسه مُبدياً إعجابه بالخدعة. ثم نظر لغادة وقال:

-ممكن بقى حد يجاوب على سؤالي؟؟ الورق ده وقع في أيدك ازاي؟؟

-يوم ما دخلت مكتبك وكان فاضي.. فتحت الخزنة اشوف علبة السجاير شوفته.

سأل مجدي مُستغرباً:

-بس انا يومها غيبت دقيقة بالظبط.

obeikan.com

قالت غادة في محاولة لتغيير الموضوع، وكأنها تذكرت شيئاً. لتوها:

-بس حضرتك يومها لما دخلت المكتب جريت فتحت الخزنة وكان شكلك بيتطمن على حاجة.

أوما برأسه مؤكداً:

-بالظبط.. علبة السجاير.

خبطت جبهتها وقالت وكأنها تُحدث نفسها:

-وانا اللي فسّرت خوفك أنه على الظرف.

رد مجدي:

-حسابك معايا بعدين.

ثم اعتدل ونظر لحسن وقال:

-يا سيد حسن.. مفيش كلام ممكن يوصف أسفي على خسارتك.. انا من يومها مش بعرف أنام وبالي مرتاح لحد النهاردة.. وعارف أن ده مش كفاية.. ومش هطلب منك تسامحني.

قال حسن وهو يبتسم:

-مش المفروض حد يشيل ذنب غيره.. مش انت اللي قتلت نادية.. ولا ساعدت في ده.. ماتحمّلش نفسك همّ وذنب مش بتاعك.. انا عملت زيّك لفترة بس قدرت اتعامل مع الواقع وارضى بالقدر.. الحمد لله على كل شئ.. وصدقني مفيش حاجة علشان اسامحك عليها.. ولو كانت غلطتك انك صدّقت أن القاتل نواياه طيّبة وانه مُختلف.. فانا كمان

مُذنب زيّك بالظبط.. لأني كنت مقتنع بيه ومتحمس له زيّك بالظبط.. وعلى فكرة؛ قلت كده في التحقيق معايا.. مع أن عمّك الله يرحمه يا عصام نصحني اني ماقولش كده لأنه مش في صالحي بعد ماحس اني برئ.

قال مجدي:

-غريبة الدنيا دي بشكل!!

نظر له ضيوفه بحيرة، فأكمل:

-حاجة حصلت من كام سنة هتكون سبب في أننا نتعشى سوا النهاردة وممكن تكون سبب في اكتر من كده. قالها ونقل بصره بين غادة وحسن، فراوغت غادة نظراته، ولكنها رفعت خُصلة من شعرها خلف أُذنها اليُمنى، فتأكدت شكوك مجدي.

٣٨

يسير الفقير العجوز على كوبري قصر النيل دون أن يلحظ وجوده أحد، وكأنه جُزءا من جماد الكوبري. بالرغم من إنه لا يصمت أبداً، إلا أن أحداً لا يسمعه، ولكن هذا لم يمنعه يوماً من الكلام، وكأن هذا هو ما خُلِق من أجله.

حسن الشريف جالساً في غرفته الخاصة، التي لا يدخلها غيره، يتطلع بثبات للوحته التي أضاف إليها الجريمة الأخيرة التي ارتكبها السفاح، تبدو عليه علامات التفكير العميق.

للقدر تصاريف.. فينا بيتحكم..
يقلب ربيعنا خريف.. وياويل من اتعشم..
وساعات نقول سلّمنا ورضينا بالتكشيرة..
نلاقيه بيضحك لنا.. والفرحة بتقدّم..

يرشف عصام ناجي من قهوته رشفة سريعة وهو يراجع ملف قضية السفاح، يُريح ظهره على كُرسيه وينظُر بضيق

obeikan.com

للـورق أمامـه، وكأنـه يلومـه عـلى ألغـازه. تبـدو عـلى ملامحـه خيبـة أمـل وكأنـه عـلى وشـك الإستسـلام لأمـر واقـع يرفضـه.

مفروض عليّ الاختيار..
وإنّي اغزل برجل حمار..
لو ضاع في يوم مني الأمل..
هيبوخ الجد ويبقى هِزار..

تـشرب غـادة مـن «مـج النسـكافية» الخـاص بهـا، الـذي تحتفـظ بـه منـذ كانـت طفلـة. يحمـل رسـمة طفلـة في ملابـس النـوم رافعـة يداهـا في الهـواء «تتمطّـع»في محاولـة لطـرد النعـس و الكسـل مـن جسـدها. تجلـس نورهـان أمامها عـلى السريـر عاقدة سـاقيّها تحتهـا مثـل غـادة، وتتحـدث لغـادة بحـماس. وبالرغـم مـن أن غـادة كانـت تنظـر لهـا مبـاشرة إلا أنهـا كانـت لا تراهـا حيـث كانـت غارقـة في أفكارهـا التـي كانـت تتخبـط كسـفينة تائهـة وسـط العاصفـة. لحظـات تتخيّـل نفسـها مـع حسـن في مـكان جميـل كالحلـم، ثـم فجـأة يختفـي أمامهـا كالـسراب. منـذ اليـوم الأول الـذي قابلتـه فيـه وهـي لم تتمكـن يومـاً أن تعـرف يقينـاً حقيقـة مشـاعره تجاههـا، وهـل يشـعر نحوهـا بأي شـئ أم لا؟؟ ولا تعـرف أيضـاً كيـف اسـتطاع دون جهـد منـه أن يسـكن روحهـا بهـذا الإسـتقرار؟؟ وهـل سـيأتي يومـاً ويشـعر بمـا تشـعر بـه تجاهـه؟؟

الدنيا رحلة والصديق مطلوب..
يا سلام بقى لو كان صديق محبوب..
صاحب حبيبك قبل ما تملّه..
أصعب ملل.. ملل القلوب..

يشعل مجدي كارم سيجارته وينفث دخانها إلى السماء، ينظر من فوق سطح العمارة التي يوجد بها المكتب الرئيسي لجريدته، يرى وسط البلد كلها تقريباً. ينظر لميدان التحرير ويتذكر أحداث الثورة المصرية، وهي على وشك إتمام عامها الثالث، وكيف كانت ومازالت مثاراً للجدل. يشعر بحجم المسئولية التي يحملها جيله، وخاصة في مجال عمله، وهي توصيل الصورة الحقيقية عما حدث في مصر في تلك الفترة. تنهّد وهو يحدث نفسه صامتاً: «كيف ننقل صورة حقيقية عما حدث ونحن لا نعرف الحقيقة كاملة؟ عندما تكون ممثلاً على مسرح الأحداث، لن تتمكن أبداً من أن تحكم على الحدث ككل. الوحيد القادر على الحُكم هو من لم يشارك، حيث يرى الصورة كاملة... هل ظلمنا الثورة بالمشاركة فيها؟؟ هل كان يجب علينا أن نتفرغ للتوثيق؟؟ هل كان يجب علينا أن نقف موقف المحايد حتى يتثنى لنا الحكم عليها بموضوعية؟؟ هل كانت ثورة أم مؤامرة كما يؤكد البعض الآن؟؟ هل كان النظام فاسد ويستحق أن يثور عليه الشعب؟؟ أم أن فساد هذا النظام هو جزء لا يتجزأ من

فساد الشعب الذي لن يزول بثورة؛ وإنما بسنوات من العمل الجاد المدعوم بالإرادة على مستوى الشعب والدولة على حد سواء؟؟ هل نستحق كشعب نظام أفضل مما سبق؟؟ ومن يتحمل الجزء الأكبر من ذنب الفساد؟؟ الراشي أم المُرتشي؟؟ أم أن كلاهُما فاسد بنفس الدرجة؟؟ هل يجب أن يكون من يقف في مواجهة الفساد قاتلاً مثل سفاح الأرقام؟؟ ولماذا أشعر بالسعادة عندما ينتصر القاتل على القاتل؟؟ أو عندما يقتل القاتل من أفسد؟؟ أليس كلاهما مُخطئ؟؟ أم أن اليأس يمكن أن يتلاعب بالقيَم على نحو لا نشعر به ولكن ندرك تأثيره فجأة؟؟ هل هذا هو ما حدث أثناء الثورة؟؟ هل نستطيع مواجهة الظلم بالعدل؟؟ ومواجهة القتل والفساد بالقانون؟؟ ومواجهة الجهل بالتنوير؟؟ وإن كُنّا لا نستطيع، هل سنستطيع يوماً؟؟ وإن كُنا لا نستطيع سِوا أن نخوض الحرب بقذارة، فلماذا ندّعي الشرف والمثالية والسلمية كما نفعل؟؟ ولماذا ننكر أفعال نعلم يقيناً إنها حدثت؟؟ هل كانت ثورة سلمية كما ندّعي؟؟ إذن فمن حرق كل ما تم حرقه؟؟ وهل كانت ستنجح الثورة دون حرق أو تدمير؟؟ وهل نجحت بهما؟؟ هل رحيل رئيس يعني نجاح الثورة؟؟ هل سأتمكن يوماً من الإجابة على أيّاً من تلك التساؤلات بضمير مُستريح؟؟»

ازاي يكون الصح سايب شعور بالذنب..

وعشان تعيش مرتاح لازم يموت القلب..
مقلوبة يا موازين والمخلصين خاينين..
قول للضمير لو نطق.. اخرس يا إبن الكلب..

obeikan.com

obeikan.com

٣٩

الخميس ٢٦ ديسمبر سنة ٢٠١٣

خرج مجدي كارم مرتدياً حلّة أنيقة دون رابطة عُنق من مصعد العمارة التي يسكنها عصام، ولم يحتاج أكثر من ثانية واحدة ليعرف إلى أين يتجه حيث سمع صوت الأغاني تنطلق من خلف باب الشقة المواجهة للمصعد، نقل هدية عيد ميلاد مَلَك وحيدة عصام ليده اليسرى وضغط الجرس بيمينه.

فتحت مَلَك باب الشقة بوجه سعيد، ما أجمل الطفولة؛ حيث لا شئ يعكِر المزاج، فتلك الطفلة السعيدة بحلول ليلة عيد ميلادها سعادة من امتلك الدنيا، ستتحوّل بتقدم العمر لسيّدة تذكّرها تلك الليلة بالشعرة البيضاء التي ستظهر عما قريب وسط شعرها الأسود الجميل، لتتحوّل تلك السعادة لابتسامة مصطنعة ثم لاكتئاب مؤقت بعد رحيل المدعوّين.

obeikan.com

قـال مجـدي لنفسـه سِرّاً وهـو يُسـلم عليهـا ويناولهـا هديّتهـا «ياليتنـي مـا تمنيـت أن اتقـدم في العمـر عندمـا كنـت في مثـل عمـرك»وكأن عـدم التمنـي كان ليوقـف تقـدم الزمـن.

مال عليها مجدي وسألها بوِد:

-بابا فين يا مَلَك؟؟

فأشـارت للخلـف دون أن تنظـر لـه، حيـث كانـت عيناهـا متعلقـة بتلـك العلبـة المغلقـة التـي ناولهـا إياهـا. رفـع عينـه للداخـل لـيرى عـدد غـير قليـل مـن الأطفـال يتحركـون في كل اتجـاه، منهـم مـن يرقـص ومنهـم مـن يبتسـم ابتسـامة مصطنعـة ليلتقـط صـورة لنفسـه مـع أصدقـاء يُحيطـون بـه. ولمـح بعـض السـيدات يتحدثـن مـع بعضهـن البعـض دون اكـتراث لصـوت الأغـاني العالي. ثـم أخـيراً رأى عصـام قادمـاً نحـوه مرتديـاً قميصـاً أبيـض مفتـوح الأزرار وبنطلـون چينـز وعـلى وجهه ابتسـامة سـعيدة، قـال عصام فاتحـاً ذراعيـه:

-كـده انـا اتأكـدت إنـك مـش زعـلان منـي علشـان زيـارة البيـت.. بجـد تشريفـك النهـاردة فرّحنـي.

-مفيـش زعـل ولا حاجـة.. انـا الـلي متشـكر عـلى العزومـة.. والمـدام بتعتـذر علشـان ماقدرتـش تيجـي.

أغلق عصام الباب وأشار لمجدي ناحية الصالون، وقال:

-خسارة.. كان نفسي تشرفنا.. بس تتعوّض إن شاء الله.

تحـرك مجـدي خلـف عصـام في اتجـاه الصالـون، متفاديـاً العديـد

مـن البالونـات والأطفـال الذيـن يطاردونهـا في سـعادة، واضطـر لرفـع صوتـه ليصـل لعصـام بسـبب الأغـاني التـي تمـلأ المـكان:

-غادة لسة مجاتش؟؟

التفت له عصام وأفسح له الطريق ليتقدمه وقال:

-ولا حسن كمان.. شكلهم جايين سوا.

ثم أكمل وهو يشير للجالسين معه في الصالون تباعاً:

-الأسـتاذ راشـد غريـب.. حمايـا.. شريـف ناجـي.. صديـق عمـري.. هـاني محفـوظ.. مهنـدس وصديـق.

حيّا مجدي كل منهم، وقبل أن يقدمه عصام، قام راشد وقال:

-الأسـتاذ مجـدي كارم شـخصياً؟؟ ماكنتـش اعـرف إنـك تعـرف عصـام!!

مجدي:

-اتشرفـت بمعرفتـه قبـل إسـبوع لحسـن الحـظ.. وماعرفـش إنـه نسـيب رجـل الأعـمال المشـهور راشـد غريـب.. تشرفـت.

راشد:

-الـشرف ليّ يـا مجـدي بيـه.. ده حضرتـك شـخصية وطنيـة نـادرة حقيقـي.

مجدي:

-ده من ذوق سعادتك.

أشار عصام لهم بالجلوس قائلاً:

-اتفضلوا.. تشرب أيه يا استاذ مجدي.. احنا سبقناك.

مجدي:

-ميّة بس.. كتر خيرك.

جاءت ريم راشد أخت رضوى ونظرت لمجدي نظرة لوم واضحة وجلست قبالته وقالت قبل أن يستفسر عن نظرتها:
-أستاذ مجدي كارم المعارض الكبير لمبارك واللي باع الثورة في ثانية.. يادي الهنا يادي الهنا.. ماكنتش اعرف إنك صاحب عصام.
أدرك مجدي بذكاءه أن ريم من الشابات التي تراه خائناً للثورة بعد انتقاده لسلبياتها، وبحكم عمله فقد تعوّد على هذا النوع من السخرية منه، فابتسم وقال وهو ينظر لها:
-ماتشرفتش بحضرتك.. واضح إنك عارفاني.
ريم:
-وهو في حد في مصر مايعرفش حضرتك؟؟
فقال راشد:
-دي بنتي.. ثورجية من النوع اللي دماغه أنشف من الحديد.
قال شريف ناجي:
-شايف يا مجدي بيه؟؟ أدي اللي خدناه من نكسة يناير.. الناس في مكان زي ده بتخوّن بعض. وأشاح بنظره بعيداً ليتفادى نظرة ريم الغاضبة.
فقال مجدي:
-اسمح لي اختلف معاك على تسميتها نكسة.. ماهو ده برضه استفزاز في غير محله.

شريف:
-كل الأرقـام الـلي لا يمكـن تزويرهـا مـش بتقـول غـير إنهـا نكسـة.. سـياحة.. احتياطـي.. جرايـم.. اقتصـاد.. سـوق العمـل.. أمـن قومـي.

أومأ مجدي برأسه متفهماً، وأضاف:
-دي سـلبيات محـدش يقـدر ينكرهـا.. لكـن إغفـال إن تغيـير نظام مبـارك كان ضرورة لمجـرد إن التغيير تـم بطريقـة غلط هـو عـين الظلـم برضـه يـا شريـف بيـه.. نظام مبارك كان فقـد كل شعبية لـه في الشـارع وكل تعاطـف وخاصـة بـين الشـباب.. وده الـلي سـهّل مهمـة إسـقاطه.

ريم:
-دلوقـت حضرتـك بتدافـع عـن الثـورة؟؟ انـا مسـتغربة حضرتـك بصراحـة!!

ابتسم مجدي وقال:
-الغريـب فعـلاً إنـك تفـترضي إن انتقـادي للشـئ هـو هجـوم وتشـويه.. يـا أنسـة ريـم.. الدفـاع عـن الغلـط هـو عـين الغلـط.. انتـي وكل الشـباب الـلي تحمّـس لفكـرة الثـورة غلطتـوا غلطـة عمركـم يـوم مـا اتجريتـوا للدفـاع عـن أخطاءهـا.. فأصبحتـم في الجانـب الغلـط مـن المعادلـة.

ريم:
-المعادلـة مافيهـاش غـير مـع الثـورة أو ضدهـا.. بـلاش تحـاول تقنعنـي بالـكلام الـلي بتكتبـه في مقالاتـك إن في مـكان في النُـص..

لأنـه مفيـش.

مجدي:

-انـا ماقولتـش أبـداً إن في مـكان في النـص.. الحقيقـة إني طـول عمـري كان عنـدي هـدف مـن الوقـوف في وش الفسـاد والظلـم.. وهـو إني اشـوف مـصر أحسـن.. المصيبـة يـا ريـم إني شـايف نـاس كتـير أصبحـت الثـورة عندهـم هـي الهـدف مـش وسـيلة لتحسـين الوضـع.. وبالتـالي لمـا وصـل الحـال للحظـة الـلي تعارضـت فيهـا مصلحـة مـصر مـع مصلحـة الثـورة.. وقفـوا دون وعـي منهـم ضـد مصلحـة مـصر.. مـع إنهـم فاكريـن نفسـهم بيخدمـوا مـصر عـن طريـق الثـورة.

ريم:

-وهــو مصلحــة مــصر مــش مصلحــة الثــورة؟؟ ماهــي الثــورة كانــت علشــان مــصر.

مجدي:

-بــكل تأكيــد.. الخطــر الحقيقــي الــلي كان بيهــدد مــصر قبــل ينايـر كان الفسـاد.. لكـن دلوقـت الخطـر الأول عـلى مـصر هـو أمنهـا القومـي.. الظـروف اتغـيّرت وبالتـالي لازم تتغـيّر الأولويـات.. الثبـات عـلى الموقـف في الظـروف المتغـيّرة هـو عـين الغلـط.. ولا هنبقـى عاملـين زي الراجـل الـلي عايـز يغـيّر سـتاير البيـت.. بـس في وسـط تغيـير السـتاير بـاب الشـقة اتكسـر.. فيقـول انـا طالمـا شـغال في السـتاير لازم اخلصهـا الأول.. ونقعـد مـن غـير بـاب شـوية مـش مشـكلة.. هـو ده الـلي اقصـده بالأولويـات.

ريم:

-وليه ماتعملش الأتنين؟؟

مجدي:

-ماهـو ده الـلي بيحصـل.. شـغالين في الخطـة الـلي المفـروض كانـت تحصـل بعـد ١١ فبرايـر.. بـس ربنـا ينتقـم مـن الـلي منع تنفيذهـا.

ريم:

-يعني انت موافق ييجي راجل عسكري تاني؟؟

مجدي:

-انـا موقفـي ثابـت.. فـين معيـار الحكم عـلى الرئيس؟؟ انا شـخصياً شـايف إن معيـار الكفـاءة هـو الـلي المفـروض نسـتخدمه.. ماهـو مـش كل عسـكري فاسـد ولا كلهـم ملايكـة.. ولا كل مـدني مـلاك.. مانتـي جربتـي المـدني.. والتجربـة الفاشـلة دي تسـببت في وصمّ كل مـن هـو مـدني بالعـار عنـد غالبيـة الشـعب.. ليـه؟؟ علشـان انتـوا فضلتـوا تدافعـوا عـن الثـورة في الصح وفي الغلـط لحـد مـا حفرتـوا قبرهـا.. يـا ريـم الموقـف سـهل وواضـح.. هديلـك مثـال سـهل.. أتوبيـس فيـه ركاب كتـير.. واحـد سـايق بقالـه كتـير.. قـام كام واحـد مـن الـركاب طلبـوا تغيـير السـواق.. وبعـد شـد وجـذب اتغـيّر السـواق فعـلاً.. الجديـد كان هيقـع بالأتوبيـس في الترعـة.. الطبيعـي إن غالبيـة الـركاب يطلبـوا مـن الـلي كان سـايق يرجـع يكمّـل الطريـق.. مـش معنـى كـده إنهـم عبيـد.. معنـى كـده إنكـم فشـلتوا.. وبتكـرروا نفـس الغلطـة تـاني.. عايزيـن تجيبـوا

واحد غير مؤهل تاني يسوق.. ماتتعلموا من الغلط علشان كلنا نستفيد وتجهّزوا واحد شاطر الأول ومتعلم السواقة كويس.. علشان لما تيجي الفرصة يكون على قدر المسئولية.

ريم:

-موت يا حمار على ما تيجي الفرصة.

مجدي:

-وارد إن الفرصة تتأخر.. بس تغيير البلد مش بييجي في يوم وليلة.. ولكن اللي اتسبب في تأخير الفرصة هو انتوا.. وكل ماتعترفوا بده بسرعة.. كل ماهترجعوا تشتغلوا صح بدري.. لو عايزة تعملي تغيير النهاردة وبيان نتيجته بكرة تبقى أنانية.. سامحيني بس هي دي الحقيقة.. لو فعلاً عايزة مصلحة البلد.. تبتدي النهاردة بتغيير بسيط وتأثيره مش هيبان في عمرك.. بس على المدى البعيد.. كل حاجة هتتحسن في وقتها.

شرب كوب الماء أمامه وأكمل:

-يا ريم.. انتي والدولة في فريق واحد.. إيّاكي حد يجُرك وتقفي ضد الدولة.. انتوا بقيتوا عاملين زي الفريق اللي بيموّت لاعيبته بعضهم في التدريب.. ونص نجوم الفريق تتصاب في التدريب وساعة الماتش بيستغربوا لما بيتغلبوا.. انتقدوا الدولة بهدف الإصلاح.. انتقدوا المؤسسة بهدف تقويتها.. مش بهدف إنهاكها وإسقاطها.. وماتغلطوش غلطة يناير تاني.. لأن النتيجة هتكون هي هي أو لا قدر الله أسوء.

تدخل عصام في الحديث قائلاً:

obeikan.com

-على فكرة يا ريم.. دي أول مرة أستاذ مجدي يشرّفني في بيتي.. ابوس أيدك بلاش تبقى أخر مرة.
ضحكت ريم وقالت:
-ده نقاش هادي.. انا مش بعُضّ يا عصام.
مجدي:
-يا عصام.. ريم من أكتر الشباب اللي مختلف معايا أدباً واحتراماً.. انت لو تشوف بيعملوا فيّ أيه ع ال Social Networks هتعرف قصدي.
راشد:
-دي ضريبة إنك تكون مشهور في بلدنا للأسف.
مجدي:
-في كل حتة مش مصر بس.. دي ضريبة الشهرة عموماً.

فتح حسن في تلك اللحظات باب سيارة غادة، التي وجدت مكان مناسب لتترك به السيارة بأعجوبة بقرب العمارة التي يسكنها عصام، وقال:
-مستنيكي بقالي ربع ساعة في الشارع.
اتسعت عيناها وقالت:
-والله ماعرف.. وبعدين بقالي إسبوع مش عارفة أوصلّك.. تستاهل أصلاً.
-حقك عموماً تزعلي.. بس انا كنت شغال في القضية.. وعايزك في حاجة مهمة قبل ما نطلع.

غادرت السيارة، فاقتربت منه رغماً عنها حيث إنه كان يقف بجوار بابها، فنظرت إلى عينيه مباشرة وقالت بهمس:

-عيني.

فقال بجدية لا تتناسب مع توقعاتها:

-انا شاكك في حد.. شبه متأكد إن هو اللي قتل هبة وداليا وتذاكر أو له علاقة بقتلهم على الأقل.

قالت بلهفة:

-بجد؟؟ مين؟؟!!

أشار لأعلى وقال بقلق:

-موجود فوق.

نظرت بتلقائية دون وعي لأعلى، ثم عقدت حاجبيها وقالت مستنكرة:

-فوق فين بالظبط؟؟

-في عيد ميلاد مَلَك يا غادة.. هيكون فوق فين يعني؟؟

-نعم؟؟!!

-يارب يطلع شكّي مش في محله. قالها بضيق.

-مين يا حسن؟؟

أسند ظهره إلى جانب السيارة وقال:

-مين اللي يعرف كل تفاصيل قضية السفاح وله علاقة بالضحايا؟؟ هو ده السؤال اللي كنت بسأله لنفسي من أول يوم.. لحد ماوصلت للإجابة من كام يوم.. ومن ساعتها بفكر في طريقة اتأكد منها ومش لاقي.

صمت لثواني ثم أكمل:
-انتـي عارفـة إن المستشـفيات الـلي كانـت بتشـتغل فيهـا هبـة وداليـا تابعـة للمجموعـة الاسـتثمارية الـلي بيملكهـا رجـل الأعـمال حـازم البـدري؟؟
قالت دون فهم ولكن بتوجُس:
-لا.
-الراجل ده شريك راشد غريب في مشاريع كتير في مصر.
اسـندت غـادة ظهرهـا عـلى السـيارة، كمـن تحـاول منـع انهيـار متوقـع، وقالـت:
-معقول؟؟
-معقول أيه؟؟
-يكون عصام؟؟
هز حسن رأسه نافياً، وقال:
-انـا كنـت شـاكك في ده مـن أول ماعرفـت إن حـازم البـدري يمتلـك مجموعـة المستشـفيات دي وغيرهـا.. لكـن معرفتـي بعصـام أكـدت لي إن مـش هـوّ القاتـل.. لـو هـوّ كنـت هعـرف.. لكـن اكتشـفت إن في حـد تـاني كان عـارف كل تفاصيـل قضايـا السـفاح.. وكـمان تربطـه علاقـة مبـاشرة بحـازم البـدري.. الـلي يملـك المجموعـة الإسـتثمارية الـلي تملـك المستشـفيات الـلي كانـت بتشـتغل فيهـا هبـة وداليـا.. وده لا يمكـن يكـون صدفـة.
قالت غادة بنفاذ صبر:
-ماتقول يا حسن مين؟؟ انا واقفة بالعافية.

-شريف ناجي.
قالت بذهول:
-شريف؟!
أومأ حسن برأسه إيجاباً، ولم يرُد. وبعد دقيقة كاملة من الصمت، تركها حسن لغادة حتى تستوعب الأمر، قال:
-مش عايز حاجة خالص تبان عليكي لما تقابليه.. انا بس حبّيت أحذّرك منه لحد ما اتأكد.
قالت وهي تزفر بحرقة:
-هحاول يا حسن.. هحاول.. بس خليك جنبي أرجوك. قالتها وأمسكت كف يده وضغطت عليه كأنها طفلة خائفة أن تضيع وتتعلق بكف والدها وسط زحام السوق.
فقال حسن وهو يضغط كفّها لطمأنتها:
-لا يمكن اسمح إن حاجة تحصلّك وانا عايش.. لا يمكن.. ماتخافيش وانا جنبك.. أبداً.
قالت بصوت مرتجف:
-حاضر.

فتح عصام باب شقته بلهفة بعد تأكده من «العين السحرية»أن الطارق هو صديقه حسن ومعه غادة، وقال بفرحة:
-أخيراً؟؟ مصر كلها وصلت وانتوا لسة.
قال حسن بابتسامته المعتادة:

obeikan.com

-انا تحت من بدري.. مستني غادة.. ماحبتش اطلع لوحدي.
عصام:
-ليه؟؟ هناكلك؟؟ ادخل ادخل.. وانتي يا غادة.. قالبة الدنيا بمقالاتك.. ومحدش هيعرف يكلمك بعد كده.
ابتسمت ابتسامة متوترة وعيناها تبحث خلف عصام رغماً عنها:
-لا ماتقلقش.. مش هستغنى عنك.. مانت مصدر أساسي برضه.
أغلق عصام باب الشقة وقال:
-على فكرة.. رضوى عايزة تتعرف عليكي.
ولكن غادة لم ترد، حيث كانت قد لمحت شريف وهو يتحدث منفعلاً مع ريم، ولكنه بمجرد أن لمحها هو حتى لمعت عيناه، وابتسم لها ابتسامة بدَت لها مختلفة عما تعرفه عنه من قبل، غالباً بسبب ما قاله لها حسن، فحتى إذا كانت الابتسامة عادية، ستراها هي مختلفة، بسبب ألاعيب العقل، حيث يجعلها تظن أن شريف يعرف ما تخفيه، فتوترت رغماً عنها.

-غادة.. عصام بيكلمك.
أفاقت غادة على صوت حسن، الذي لاحظ توتُرها، فحاول أن يلهيها عنه، فقالت بابتسامة جاهدت لتجعلها طبيعية:
-ياريت يا عصام.. وفين مَلَك علشان تاخد هديّتها؟؟

ترك حسن هديّة مَلَك في يد عصام، وقال:
-وصّل دي لمَلَك.. وروح انت وصّل غادة.. وانا هقعد مع أستاذ مجدي لحد ماتفضى.
-على فكرة يا حسن.. حسين قالي على اللي عملته مع والدته.. معقول يا حسن تعملها العملية كلها على حسابك؟؟
قال حسن بضيق:
-انا كنت قايله مايجيبش سيرة.
-عارف بس انا اللي ضغطت عليه بسؤالي.. ربنا يجازيك خير يا حسن. قالها وابتسم لحسن ثم دار ليعطي مَلَك هديّتها.

عاد عصام لحسن بعد دقائق ليجده يخاطب شريف قائلاً:
-بس مش شايف إن الشرطة كانت مزوّداها شوية قبل ٢٠١١؟؟
-يا حسن بيه الشعب ده واطيماينفعش معاه غير العصاية.. سعادتك محتاج تقضّي وردية واحدة بس في قسم وانت تعرف إن الشعب ده يستاهل ضرب الجزم.. ولا تعالى شرّفني في مكتبي يومين.. تلاقي اللي بيقولك انا لا يمكن اسمح يتعمل برج اتصالات في المنطقة ده بيجيب سرطان.. ياخد قرشين.. وتلاقيه ساكت زي الكلب.. هو ده الشعب اللي عايزه يعيش في ديموقراطية؟؟
ابتسم حسن وقال:
-الموضوع ده يطول فيه الكلام.. ماهو قيادات الشرطة نفسها

ياما تورطت في قضايا فساد مالي.. مالها دي ومال وعي الشعب؟؟ الشعب مهما كان وِحِش فهو ضعيف.. لكن لما يكون جهاز أمني صاحب سلطة ومفتري دي تبقى مصيبة.. ونتيجتها اللي شوفناه في يناير.

تدخّل عصام قائلاً:

-مابلاش شريف يا حسن.. تقريباً هو أكتر واحد في العالم بيكره ثورة يناير.. وشعب مصر كله تقريباً.

قال شريف:

-مش كُلهم.. في ييجي خمسة ولا ستة بحبّهم. قالها وضحك بصوت عالي.

نظر شريف في اتجاه الشرفة بحثاً عن غادة، التي كان ومازال معجباً بها، وكان ينتظر تلك الليلة ليقابلها ويحاول أن يصل لما فشل في الوصول له من قبل، ظَنّاً منه إن حالته المادية كانت السبب، فكان على يقين إنها ستنبهر بعد أن تراه في ثوبه الجديد، حرفيّاً ومجازيّاً، فقد اشترى حلة جديدة يفوق سعرها مرتبها في الجريدة عن شهرين على الأقل لهذه المناسبة.

لمّا لمحها، التقت عينه بعينها لثانية، ثم لاحظ ارتباكها الواضح، وتهرُبها من سلامه الذي احبطته مراوغتها. كان واثقاً مما رأى ولكنه لم يكن واثقاً من السبب، فأرجع غروره في

obeikan.com

نفسه ارتباكها لحالة الخجل التي تنتاب أي فتاة عند لقاء شاب وسيم مثله، فاستأذن من حسن وعصام، وتحرك في اتجاهها بثقة وابتسامة تبدو ساحرة مع حلته الجديدة.
وقف أمامها، ومدّ يده قائلاً:
-أمال لو مكانش بينّا عيش وملح.
ارتبكت بشكل واضح، وابتسمت ابتسامة كانت كفيلة بتأكيد شكوك شريف إنها ليست في حالتها الطبيعية، وقالت:
-ششششش.. شريف.. مش واخدة بالي خالص.. ازيّك؟؟
-مالك يا غادة؟؟ انتي زي ماتكوني شوفتي عفريت!!
ضحكت رضوى زوجة عصام مازحة التي كانت واقفة مع غادة:
-انت فيك من العفريت بصراحة يا شريف بالتسريحة الجديدة دي.
فضحك شريف وجاهدت غادة عبثاً لتبدو ضحكتها طبيعية وقالت:
-فينك يا شريف؟؟ مش بتسأل يعني!!
-انا كلمتك اكتر من مرة.. وبعتلك ع الواتساب.. بس شكل القضية وخداكي من الدنيا.. انا متابع كل تحقيقاتك.. براڤو عليكي بجد.
-القضية؟؟ اه.. دانا مابنامش.. والأرقام كلها ضاعت من عندي.. معلش ممكن ماعرفش إن انت.. ابقى رنّلي وانا هسجل نمرتك.. عن إذنك.

obeikan.com

وسألت رضوى عن مكان الحمام، وتركته وسط شكوك لا ترحم. كان أسلوبها معه يترك انطباع إنها تخشاه، لا يمكن أن يخلط الخوف بالخجل، هي تخشاه، ولكن لماذا؟؟

تلقى هاتف شريف رسالة، فأخرجه الأخير ليقراءها، وما أن ظهر فحواها على الشاشة حتى تغيّرت ملامحه من الحيرة من تصرف غادة معه، لغضب شديد وتوتر وانفعال، ودار برأسه في الشقة وكأنه يبحث عن شئ ما، ولكنه وجد عصام أمامه يقول له:

-ماتيجي يابني تقعد معانا بدل مانت عامل زي التايه في المولد كده.

احتاج شريف لثانيتين حتى يدرك أن عصام يكلّمه، ومثلهم حتى يدرك ما قال له، ثم قال والتوتر يعصف به:

-معلش يا عصام.. مشكلة في الشغل.. لازم انزل حالاً.. سامحني.. يالا سلام. قالها وغادر الشقة دون تأخير.

عاد عصام لحسن الذي لاحظ ما حدث، فقال:

-صاحبك ماله؟؟ شكله في حاجة مضايقاه.

-مش عارف يا حسن والله.. بس فجأة جات له رسالة واضطر ينزل.. ربنا يستر تكون حاجة بسيطة.

-ربنا يستر.

obeikan.com

obeikan.com

٤٠

قبل منتصف ليل الخميس ٢٦ ديسمبر سنة ٢٠١٣

فتح حسن باب سيارة غادة لها لتركبها بعد مغادرتهم سوياً عيد ميلاد مَلَك، نظرت هي له وقالت:

-انا عايزة اتكلم معاك شوية يا حسن.. مش عارفة اتلم عليك بقالي إسبوع.

-بلاش اليومين دول.. هانت.. نخلص بس من القضية اللي في أيدينا وبعدها عندنا العمر كله.

ألقت حقيبتها بغضب على المقعد المجاور لمقعد السائق وقالت بضيق:

-انا مش قادرة أفهَمك يا حسن.. شوية بتكون أحنّ حد في الدنيا.. وشوية بتكون غامض لدرجة بتحسسني كأني ماعرفش انت مين.. خليك براحتك.. سلام. قالتها وركبت السيارة

obeikan.com

وأغلقت بابها بعنف وأدارت المحرك، فانحنى حسن عند النافذة وابتسم ابتسامة من جرحه الكلام ولكنه لم يستاء من قائله، وقال بصوت حنون:
-انا ماطلبتش منك غير شوية وقت أقفل فيه صفحة لازم تتقفل.. ليه بتلوميني وكأن انا اللي اخترت افتحها؟؟ انتي عارفة ظروفي من أول يوم.
صمت لثواني ثم أكمل:
-انا آسف لو ضايقتك بأي شكل.. حقيقي مش قصدي.. خلّي بالِك من نفسك. قالها وسار في اتجاه سيارته.

شعرت غادة بقدر كبير من الإشفاق على حسن بعد جملته الأخيرة، ولكنها لم تنطق، فهي امرأة أولاً وأخيراً، يمكن أن تتفهّم انشغال حبيبها عنها نظراً لظروفه، ولكن مستحيل أن تعترف بذلك، فهي قد تُخطئ بطلب بعض من الاهتمام الزائد في وقت غير مناسب، ولكنها تعتبر هذا الطلب يأتي بدافع الحب، إذن فهو مُبرر، وبالتالي فهو لا يعتبر خطأً في الحقيقة، بل اهتمام زائد يجب مراعاته وتستحق الشكر عليه أيضاً.
زفرت بضيق وهي تُحدث نفسها قائلة:
-براحتك يا حسن.. لما تبقى تقلب الصفحة ابقى كلمني.

قطع أفكارها صوت حشرجة صدر من السيارة، تبعه عدم استجابة السيارة لدواسة البنزين التي ضغطت عليها أكثر

obeikan.com

من مرة بقوة، ثم تباطؤها تمهيداً لتوقف إجباري وشيك. نظرت غادة لمؤشرات السيارة لتكتشف أن مؤشر البنزين يشير لنفاذه من السيارة، استغربت هذا بشدة لأنها توقفت في طريقها من منزلها لمنزل عصام لتملأ السيارة بالبنزين. أوقفت السيارة بجوار السيارات المتراصة على جانب الطريق، وأخرجت هاتفها لتتصل بحسن، ولكنها امرأة، فألقت بالهاتف على المقعد المجاور لها بعنف وكأنه المسئول عن تسرُّب البنزين أو المسئول عن جفاء حسن المزعوم.

بعد دقيقة من الصمت الغاضب، قررت أن تترك السيارة وتوقف سيارة أجرة وتطلب من السائق أن يتولى إحضار القليل من البنزين لسيارتها. التقطت حقيبتها وهاتفها، وغادرت السيارة وتأكدت من إغلاقها، ووقفت وحيدة تنظُر للشارع انتظاراً لمرور سيارة أجرة في تلك الساعة المتأخرة. مرّت الدقائق بطيئة عليها، ومع كل ثانية تمُر كانت تفقد جزءً من قدرتها على مقاومة اتصالها بحسن لطلب المساعدة، وقبل أن تنهار مقاومتها وينتصر ضعفها وقِلة حيلتها على كبرياء المرأة العنيد الذي يسيطر عليها مؤقتاً، توقفت سيارة باهظة الثمن ذات زجاج أسود أمامها، فلم تتبيّن سائقها حتى فتح باب سيارته وغادرها بثقة وبملامح جامدة، لتكتشف إنه شريف ناجي، نزل من سيارته ودار حولها في اتجاه غادة قائلاً:

-البنزين خلص مش كده؟

توترت غادة كما لم تتوتر من قبل، فهي الآن تقف في شارع متوسط الإضاءة، في منتصف الليل، وحيدة، مع قاتل محتمل، بدون أي حماية على الإطلاق، وبدون أن يفحص السيارة أو أن تخبره بأي شئ علِم بنفاذ البنزين من سيارتها، كيف حدث ذلك؟؟ فجأة نسيَت كبرياءها وأخرجت هاتفها لتتصل بحسن، ولكن شريف كان قد وصل لها بالفعل، نظرت له بخوف واضح وقالت بصوت مرتجف:

-انت عرفت منين؟

ابتسم شريف وقال بهدوء:

-واضح إن تنك البنزين مخروم.. البنزين باين في الأرض.

التفتت بتلقائية لتتأكد من كلامه، ولكن قبل أن ترى ما أرادت شعرت بيد شريف اليسرى تحيط برقبتها من الخلف، وسمعت صوت أزيز عالي، تبعه ألم فوق احتمالها انطلق من جانبها الأيمن في شكل تيار كهربائي عنيف اجتاح جسدها كله، الذي انتفض لثانيتين ثم هَمد تماماً. فقدت الوعي بين ذراعي شريف الذي ألقى الصاعق الكهربائي فوق سقف سيارته وفتح شنطتها الخلفية باستخدام «الريموت كنترول»وحمل غادة الفاقدة الوعي ووضعها بحذر داخلها حتى لا تصطدم بحواف السيارة الحديدية، وأغلق عليها باب الشنطة.

٤١

فجر الجمعة ٢٧ ديسمبر سنة ٢٠١٣

بـدأت غـادة تسـتعيد الوعـي تدريجيّاً، ألم شـديد يعتـصر جانبهـا الأيمـن يمنعهـا مـن التركيـز فيـما حولهـا، تسـمع أصـوات حولهـا، ولكنهـا لا تسـتطيع تمييزهـا، أو المـكان حولهـا، وإن كانـت شِـبه متأكـدة إنهـا داخـل سـيارة تتحـرك، صـداع رهيـب احتـل رأسـها يمنعهـا مـن التفكـير، أي حركـة تقـوم بهـا تزيـد مـن ألم جانبهـا الأيمـن وصداعهـا الـذي يفـوق قدرتهـا عـلى الاحتـمال كـما هـو دون زيـادة. بـدأت في اسـتعادة وعيهـا وتذكـرت جدالهـا مـع حسـن، ثـم تعطُـل سـيارتها، ثـم تذكـرت دفعـة واحـدة هجـوم شريـف عليهـا مـن الخلـف، ومـا قالـه لهـا حسـن قبـل عيـد الميـلاد، فأصابهـا ذعـر أقـوى مـن ألمهـا مـما جعلهـا تنتفـض وتفتـح عيناهـا عـلى اتسـاعهما، وتـصرخ بأسـم حسـن.

obeikan.com

وجـدت نفسـها عـلى المقعـد المجـاور لحسـن داخـل سـيارته، وهـو بجانبهـا. وقـف بالسـيارة ومـال نحوهـا ليطمئنهـا إنهـا في الأمـان، لا تعلـم كيـف وصـل لهـا ولا كيـف وصلـت هـي لسيارته ولا أيـن ذهـب شريـف. ولكنهـا لم تسـتطع أن تتفـوّه بـأي شـئ، بمجـرد أن رأت حسـن بجوارهـا أغمضـت عيناهـا وبَكَـت كـما لم تبـكي مـن قبـل، لا تعلـم إن كانـت دمـوع الفـرح بعـد اطمئنانهـا عـلى نفسـها، أم هـي دمـوع بسـبب الألم الـذي يعتـصر جسـدها في مواقـع عِـدة، ولكنهـا كانـت تعلـم أن البـكاء بجـوار مـن تُحِـب سـيُريحها، فبَكَـت.

نظـر لهـا حسـن بإشـفاق شـديد وشـعور بالذنـب، فهـو الـذي سـمح لـكل هـذا أن يحـدث، هـي لا تعـرف بَعـد أن هـو الـذي اسـتخدمها كطُعـم يسـتدرج بـه شريـف لمصيدتـه، ليتأكـد مـن جريمتـه دون أن تعلـم.

ربّـت عـلى كتفهـا لتهـدأ، ولم يحـاول أن يتحـدث معهـا قبـل أن تتوقـف عـن البـكاء ليعـترف لهـا بـكل شـئ. أخـرج هاتفـه واتصل بعصـام، وقـال بمجـرد أن سـمع صوتـه:
-اسـمعني كويـس يـا عصـام عشـان مفيـش وقـت.. شريـف صاحبـك هـو الـلي دبـر أو قتـل داليـا وتذاكـر وقبلهـم واحـدة اسـمها هبـة في المنصـورة.. انـا اتاكـدت...
قاطعه عصام:

-انت بتقول أيه يا حسن؟؟ انت فاهم انت بتقول أيه؟؟
-أيوة فاهم للأسف.. بس هي دي الحقيقة.. انزل دالوقت لصاحبك وواجهه بالحقيقة وهو هيعترف.. شريف خطف غادة في شنطة عربيته ولولا كنت وراها كانت راحت زيّهم.. وسايبه في الشارع الرئيسي عند بيتك جوا شنطة عربيته.. انزل وانت تشوف.
-خطف غادة؟؟ هي فين؟؟
-ماتقلقش عليها.. هي معايا بخير.. بس عايزك تلحق شريف.. ولو اتحرك هقولك.. انزل بس وانا هفهمك بعدين.
-حاضر يا حسن.. سلام.

سمعت غادة مكالمة حسن لعصام، وتمكنت دهشتها من أن تُنسيها ماحدث معها وحتى الألم الذي يجتاح جسدها دون رحمة، واعتدلت لحسن وقالت بصوت ضعيف:
-انت اتأكدت ازاي إن شريف هو اللي قتل يا حسن؟؟
نظر لها حسن لثواني، ثم نظر أمامه ليتابع الطريق وقال:
-انا هحكيلك كل حاجة.

بدأ كل شئ عندما عَلِم حسن من عصام أن له صديق شاركه معظم أوقاته، وخاصة جلساته مع عمه للتحدث بخصوص قضية السفاح، فبدأ يبحث خلف الشخص الثاني الذي يعرف كل تفاصيل قضية السفاح القديمة ومن ثَم يستطيع تكرارها

obeikan.com

كـما حدثـت، ليقتـل دون أن يثـير الشـكوك حولـه، لأن كل الأنظـار ستتجه حتـماً في اتجـاه القاتـل القديـم. بعـد يومـين مـن البحـث توصـل حسـن لمعلومـات تؤكـد أن حـازم البـدري يملُـك المجموعـة الاسـتثمارية التـي تملُـك المستشـفيات التـي عملـت بهـا كل مـن هبـة وداليـا. وبمـا أن حـازم البـدري هـو رئيـس شريـف في العمـل، بـدأت تتضح العلاقـة بـين كل الأطـراف لحسـن، وإن كان لا يعلـم سـبب الجرائـم، ولكنـه كان يحتـاج للحصـول عـلى دليـل يؤكـد لـه ولعصـام أن شريـف صديـق عمـره هـو نفسـه القاتـل الـذي يبحـث عنـه، وهـي مُهمـة ليسـت باليسـيرة.

قـرر أن يتعقـب شريـف لمـدة خمسـة أيـام، فثبّـت جهـاز تعقُّـب في سـيارة شريـف ليعلـم كل تحركاتـه، ولكنـه لم يتوصـل لمـا يثـير الشـكوك أو ينفيهـا، فقـرر أن يلجـأ لحيلـة تمكّنـه مـن كشـف شريـف لـه هـو شـخصياً عـلى الأقـل ثـم بعدهـا يحـاول إقنـاع عصـام بـأي طريقـة. فاشـترى حسـن رقـم محمـول جديـد، وحفظ هـذا الرقـم عـلى هاتفـه المحمـول بأسـم غـادة عثـمان، وأبلـغ غـادة بشـكوكه قبـل عيـد الميـلاد مبـاشرة حتـى تبـدو لشريـف مرتبكـة، برغـم تأكيـده عليهـا ألا تُبـدي أي توتـر أو قلـق مـن ناحيـة شريـف، ولكنـه كان يعلـم إنهـا لـن تسـتطيع وسـيظهر عليهـا، وقـد كان. ثـم اسـتخدم هـذا الرقـم أثنـاء عيـد ميـلاد مَلَـك في الدقائـق التـي اسـتأذنت فيهـا غـادة لتذهـب للحـمام وأرسـل منـه رسـالة لرقـم شريـف، قـال فيهـا:

(هبة وداليا بيسلّموا عليك ياشريف بيه)

تعمد عدم ذِكر إسم تذاكر لأنه الإسم الوحيد الذي ظهر في الجرائد ولكن داليا كانت قد ذُكِرت بحروفها الأولى فقط، ولم تذكر هبة مطلقاً، وهذا حتى يتأكد من خلال رد فعل شريف من مدى معرفته بالقضية، حيث إنه إذا كان لا يعلم أي شئ عن القضية سوى ما قرأه في الجرائد لن تثيره الرسالة، ووارد أن يعتبرها كأن لم تكُن. ولكن جاء رد فعل شريف ليثبت لحسن إنه من دبّر أو نفذ الجرائم كلها، حين غادر شريف عيد الميلاد على عجل وكانت ملامحه تبدو وكأنه في أعلى درجات الغضب والتوتر. وبالطبع عندما بحث شريف عن رقم الهاتف في البرنامج الذي يعطيك اسم صاحب أي رقم تكتبه فيه وجد أن الهاتف مُسجل بإسم غادة عثمان، فقام شريف عندما غادر عيد الميلاد بتخريب سيارة غادة حتى لا تبتعد بها، وحتى يتمكن من اصطيادها أثناء طريق عودتها بعد نزولها من عند عصام ليستجوبها ويتأكد أولاً من أن أحداً سواها لا يعلم ما توصلت له من معلومات عن تورطه في الجريمة. ولكن حسن كان متابعاً لموقع سيارة شريف من خلال جهاز التعقب الذي ثبّته في سيارته ويتابعه عبر هاتفه الذكي، فعلِم أن شريف مازال في الشارع الرئيسي بجوار بيت عصام منتظراً نزول غادة، فتتبعها حسن ليبقى قريباً.

وعندما وضعها شريف داخل شنطة سيارته، قام حسن بصعق شريف في رقبته من الخلف باستخدام الصاعق الذي تركه على سقف سيارته، ووضعه مكان غادة بعد فقدانه الوعي، دون أن يعرف شريف من هاجمه، ورحل وغادة معه داخل سيارته.

لم تستطع غادة أن تصدق أن يستخدمها حسن كطُعم يستدرج به قاتل لمصدية أعدّها دون تحذيرها على الأقل من الخطر الذي هي بصدده، صمتت بعد أن فرغ من شرح خطته لدقيقتين ثم قالت بهدوء غريب:
-مبروك يا سيادة المُحقق حسن.. حلّيت القضية وقفلت الصفحة.. ممكن توصّلني البيت من فضلك؟؟
قال حسن دون أن ينظر لها:
-حاضر.

وبعد دقائق وقف حسن عند باب العمارة التي تسكنها غادة فغادرت هي السيارة وأغلقت الباب خلفها دون أن تقول أي شئ، اعتصر الألم قلبه، والندم أيضاً، هو يعلم إنه أخطأ، لم يحاول الدفاع عن نفسه لأنه يعلم إن الوقت غير مناسب، وربما تسامحه بعد أيام وربما لا، ولن يلومها وقتها، لأن هو نفسه لا يعلم إن كان سيسامح نفسه عما عرّضها له أم لا.

obeikan.com

٤٢

فجر الجمعة ٢٧ ديسمبر سنة ٢٠١٣

غـادر عصـام عمارتـه وهـو يتصـل بحسـن، وقـف بجـوار سـيارته ينتظـر رد حسـن عليـه، وقـال بمجـرد أن سـمع صوتـه:

-انا تحت البيت عندي اتحرك ازاي؟؟

-اطلــع عــلى الشــارع الرئيــسي هتلاقــي عربيــة غــادة واقفــة قاطعـة بنزيـن.. ومـش هتلاقـي عربيـة شريـف واضـح إنـه فـاق وعـرف يطلـع مـن الشـنطة واتحـرك عـلى مـصر الجديـدة.. هـو سـاكن في مـصر الجديـدة؟؟

كان عصـام قـد تحـرك بسـيارته بالفعـل تنفيـذاً لتعليـمات حسـن، ومـرّ بجـوار سـيارة غـادة التـي تقـف عـلى جانـب الطريـق كـما قـال حسـن، وقـال:

-اه سـاكن هنـاك.. شـقته الجديـدة.. انـا عارفهـا هـروح عـلى

هنـاك.. بـس ممكـن تفهمنـي أيـه الـلي بيحصـل؟؟
شرح لـه حسـن باختصـار حيلتـه التـي نجـح مـن خلالهـا في إيقـاع شريـف والتأكـد مـن أن لـه علاقـة بجرائـم القتـل، وبعـد أن فـرغ مـن شرحـه قـال عصـام بصـوت مصـدوم:
-سلام انت دلوقت يا حسن. وأنهى الاتصال.

تأكـد عصـام مـن وجـود سـيارة شريـف في الشـارع الـذي انتقـل ليسـكن بـه حديثـاً، اسـتقل المصعـد، وضغـط الـدور الذي يسـكنه شريـف، أخـرج سـلاحه المـيري وتأكـد مـن تلقيمـه بخزينـة الرصـاص، ولكنـه تـرك رز الأمـان في وضعـه، يتمنـى ألا يضطـر لاسـتخدام السـلاح، ولكـن مـا قالـه حسـن خطـيراً جـداً، لا يمكـن أن يصدّقـه، ولكـن في نفـس الوقـت لا يمكـن أن يكـذب حسـن ويخـترع قصـة مثـل هـذه.

وقـف عصـام خـارج بـاب شـقة شريـف صديـق عمـره، وشـعر وكأن دقـات قلبـه كافيـة لإعـلان وصولـه بـدون الحاجـة لأن يـدق البـاب، كان يتنفـس بصعوبـة، يشـعر بلهيـب يخـرج مـن جسـده يـكاد يحـرق ملابسـه، يتصبـب عرقـاً برغـم الـبرودة، لا يذكـر موقـف مـرّ عليـه في حياتـه كلهـا أصعـب مـن هـذا. اسـتجمع شـجاعته أخـيراً وضغـط الجـرس معلنـاً عـن وصولـه، بعـد ثـواني لمـح مـن خـلال العـين السـحرية ظِـل شـخص حجـب عنهـا الضـوء، فقـال بصـوت جامـد:

-انا عصام يا شريف.. افتح يابني ماتقلقنيش عليك.
فتحت ميار الباب وسألت:
-في حاجـة مهمـة أقـدر ابلغهـا لشريـف علشـان هـو تعبـان ونايـم؟؟
قال عصام وهو يدفع الباب بخشونة:
-نايـم أيـه بـس؟؟ ده كان لسـة معايـا مـن نـص سـاعة.. هـو فـين؟؟
دفـع عصـام جسـده ودخـل الشـقة وأغلـق بابهـا خلفـه وقـال بحـزم مـن لـن يقبـل نقـاش:
-اندهـي لشريـف وياريـت تسـيبينا لوحدنـا كـمان.. قوليلـه صاحبـك عصـام.
قبل أن تتمكن من الرد سمعت صوت شريف من خلفها:
-خـلاص يـا ميـار.. انـزلي انتـي.. انـا كويـس.. ده عصـام صاحبـي مـش حـد غريـب.
قالت وهي تلتقط حقيبتها من خلف باب الشقة:
-حاضر. قالتها ونظرت لعصام بشكٍّ واضح وثم غادرت.
وقـف كل منهـما يحـاول أن يخـترق عقـل الآخـر ليعلـم فيـما يفكـر ومـاذا يخفـي، وبعـد ثـواني قـال شريـف:
-ما تقعد يا عصام.. ولا اقولك يا عصام بيه؟؟
-من إمتى بتقولي كده؟؟
-مـش جـاي تقبـض عـليّ؟؟ صحيـح.. هـو انـت الـلي حبسـتني في شـنطة العربيـة؟؟

قال عصام بنفاذ صبر:
-انا مش جاي أجاوب على أسئلة.. قولي إن اللي وصلني غلط وكدب يا شريف وانا هصدّقك انت.. انت ليك علاقة بجرايم السفاح دي يا شريف؟؟

لم يرُد شريف، ولكن ملامحه نطقت بدلاً منه، نطقت بالغضب والذنب والندم. انهار عصام على أقرب مقعد له وأمسك رأسه بكفّيه كمن لا يعرف كيف يتصرف، كان يتمنى أن ينكر صديقه كل هذه الاتهامات، وأن يعنّفه بل ويسبّه بأفظع الألفاظ لمجرد اتهامه بالقتل، كان يتمنى حتى أن يؤجل المواجهة لوقت آخر حتى يستعد، وكأن الزمن كله كافياً ليستعد للقبض على صديق عمره. بعد دقائق من الصمت جلس شريف على المقعد المواجه لمقعد عصام، وقال:
-الناس دي كانت ميّتة ميّتة يا عصام.. انا كل اللي عملته إني استفدت من الموقف.

تسارعت أنفاس عصام وخفق قلبه مع بداية اعتراف شريف بجريمته أمامه، مازال في حالة إنكار، مازال غير مُستعداً، ولن يكون. أكمل شريف:
-انا ماتولدتش في عيلة متنغنغة زيّك يا عصام.. حاول ماتحكمش على ظروفي من وجهة نظرك.. فرصة وجت لحد

عنـدي اكـون زي مـا طـول عمـري بحلـم.. وعـلى فكـرة انـت كـده كـده مـش هتعـرف تلمـس المجـرم الحقيقـي.. مـش هتطـول غـيري.. غلبـان بيجـري ورا غلبـان.. والغيـلان بتتفـرج وبتسـتفيد.

سـلّط عصـام نظرتـه عـلى شريـف غـير مُصدِّقـاً، ولكـن شريـف كان عنـده المزيـد:

-ومـش هتسـتفيد حاجـة لمـا تقبـض عـليّ.. حتـى لـو اعترفـت عـلى حـازم البـدري.. تفتكـر حـد هيعـرف يلمسـه؟؟ انـت أكـتر حـد عـارف إن الـلي زي ده فـوق القانـون.. في البلـد دي الفلـوس هـي القانـون.. هـي الحمايـة.. انـا مـش هقولـك تعمـل أيـه.. بـس بحمّلـك المسـئولية.. لـو عايـز تقبـض عـلى القاتـل.. انـا قصـادك أهـو.. لـو عايـز تقبـض عـلى المجـرم الحقيقـي.. مـش هتعـرف.. يبقـى مـن الظلـم إنـك تقبـض عـليّ لأنـك هتعيـش عمـرك كلـه حاسـس بالذنـب.

مايـزال عصـام غـير قـادراً عـلى التحـدث، حـازم البـدري؟؟ هـل قـال حـازم البـدري؟؟ هـل حـازم البـدري صديـق حـماه هـو مـن دفـع شريـف للقتـل؟؟ ولكـن شريـف يعـرف مـاذا يريـد عصـام أن يسـأل وكأنـه يسـتطيع أن يسـمع صـوت أفـكاره، فأجـاب:

-حـازم البـدري طلبهـا منـي صراحـة.. عايـز يخلـص مـن بنتـين وهيدخلنـي جنتـه عـلى الأرض.. وقالهـا لي زي مـا بقولهـا لـك كـده.. البنتـين دول ماتـوا مـن اللحظـة الـلي قـرروا يبتـزّوا فيهـا

حـازم البـدري.. السـؤال يـا شريـف بيـه.. عايـز تطلع مـن الحكاية دي كسـبان؟؟ ولا خـسران؟؟ وافقـت.. وطبعـاً حـازم البـدري كان عـارف إن واحـد بخـبرتي يقـدر ينفـذ الجرايـم مـن غـير مايتمسـك.
صمـت لثـواني ليلتقـط أنفاسـه، وأكمـل وكأنـه كان ينتظـر لحظـة اعترافـه ليسـتريح فهـو يعـترف حتـى دون أن يسـأل عصـام:
-قتلـت هبـة في النيـل بعـد مـا أخـدت منهـا الأوراق الـلي كانـت معاهـا الـلي هـدّدت بيها حـازم وبيّنـت الحادثـة إنها غرقـت.. دي كانـت الأصعـب علشـان أول مـرة.. بـس بعـد كـده الحكايـة بقـت أسـهل.. خصوصـاً بعـد مـا اسـتلمت الشـقة والعربيـة.. وبعدهـا فكّـرت في السـفاح الـلي اختفـى.. قتلـت داليـا وبعديـن قتلـت البلطجـي ولبّسـتها لـه.. أخـدت منـه علبـة سـجايره وهـو مـش داري بعـد مـا وعدتـه بشُـغلانة فيهـا قرشـين حلويـن ورميتهـا في شـقتها.. الحكايـة كانـت سـهلة ولا يمكـن تتكشـف.. ماعرفـش انـت كشـفتها ازاي!!
قال عصام بصوت مرتجف:
-وقناوي؟؟
قال شريف غاضباً:
-ده كـمان زعـلان عليـه؟؟ ده تاجـر مخـدرات يـا عصـام.. المفروض تشـكرني إني خلّصتـك منـه.. مـش تزعـل عليه!!
-انـا مـش زعـلان عـلى حـد غـيرك.. انـا كنـت بسـأل انـت الـلي قتلتـه ولا مـش انـت.. وقتلتـه ليـه طالمـا مالـوش دعـوة بيـك ولا بحـازم؟؟

-قتلته عشان اكمّل التمثيلية بتاعة السفاح اللي رجع يقتل.. هو يعرفني من ساعة ما كان شغال معايا مرشد.. كان سهل إني ادخل بيته وأخلّص عليه.

-وطبعاً كل التواريخ اللي على راس اللي قتلتهم مالهاش أساس.

أومأ شريف برأسه، وقال:

-علشان الداخلية تتوه في متاهات وماتوصلش لحاجة.. فتزهق.. بس انت طلعت زي ما عمك الله يرحمه قال.. «بكرة الداخلية كلها تتكلم عنك»فاكر؟؟ وابتسم بمرارة.

أطبق عليهم الصمت، ثقيلاً مشحوناً مشوباً بالترقب والتخبط، يكاد كل منهما أن يسمع دقات قلب الآخر معلنة عن طلب القلب للراحة، وقت مستقطع، ليهدأ قليلاً قبل مواصلة السباق.

قطع شريف الصمت وقال:

-ها يا عصام بيه؟؟ نويت على أيه؟؟

تنهّد عصام بحرقة، وحاول جاهداً أن يخرج صوته حازماً قاطعاً، وقال:

-انت قاتل يا شريف.. لازم اقبض عليك.. مش هسامح نفسي أبداً لو ماعملتش ده.

نظر شريف للأرض خجلاً ولم يعترض، وكأنه استراح عندما عَلِم بقُرب نهايته، ولكن عصام أكمل:

-بس في نفس الوقت.. زي مانت قلت.. مش هسامح نفسي لو قبضت عليك وسيبت المجرم الحقيقي.. انت قُلت إنك

أخدت الورق اللي هبة كانت بتهدد بيه حازم البدري.. فين الورق ده؟
أدرك شريف ما يسعى خلفه عصام فقال بصوت خائف:
-بلاش يا عصام.. الراجل ده مش هيغلب فيك.. انت حشرة في نظره.. انا اتعاملت معاه وعارف.
-انا مش هعمل حاجة.. انت اللي هتعمل.. هتاخد كل الأدلة وتروح للنائب العام.. وتعترف مقابل صفقة تخفف عنك الحكم.. وربنا أكيد هيسامحك لو توبت بجد.. وكلنا في الداخلية هنكون في ضهرك.. لسة في فرصة يا شريف.. وحتى لو مفيش فرصة وهتتعدم.. اعمل لأخرتك يا أخي.

بكى شريف ونزلت دموعه لتغرق وجهه، بكى لأنه فقد احترام أكثر شخص أحبّه في الدنيا، أخوه الذي عاش عمره كله يحترمه. بكى لأن برغم اعترافه بجرائم قتل متعددة، إلا أن عصام لم يتخلّى عنه، لأنه صديق بحق، رجل بحق. بكى لأنه ضعف أمام وعد بالجنة من الشيطان، الذي لا يملك إلا النار. بكى لأنه رأى نفسه بعيون صديقه في تلك اللحظة، ولم تفلح الحلة الجديدة في تغطيته، بل رأى نفسه عارياً أمام نفسه.

لم يتمكن عصام من التحكم في نفسه أكثر من ذلك، فبكى هو الآخر، بكى على صديق خطفه منه الشيطان في لحظة

ضعف. بكى ندماً لأنه من سلّم صديق عمره للشيطان. بكى لإضطراره القبض على شريف، ولأنه لن يستطيع أن يحتفل معه بحلّ القضية، فهو لم يحقق أي نجاح في حياته إلا واحتفل به مع صديقه، الأن هو مُطالب بتحقيق النجاح على حساب صديقه.

قام عصام من مكانه ووضع يده على كتف صديقه، فقام شريف واحتضن عصام وكأنه يودّعه، وكأنها المرة الأخيرة التي سيراه بها، ثم قال عصام:

-يالا بينا يا شريف نجيب الورق.. ومش هتبات هنا النهاردة.. هنطبق سوا.. والصبح بدري هنروح النائب العام.. وانا معاك مش هسيبك ثانية.

نظر شريف بكل ضعف الدنيا في عيني عصام وقال بصوت خافت يغلبه البكاء:

-توعدني يا عصام تنتقم من حازم البدري واللي زيّه؟؟

سقطت دموع عصام من جديد بعد أن كانت توقفت، وقال وقلبه يخفِق:

-أوعدك يا صاحبي.

بعد دقائق غادر عصام وشريف العمارة، كان شريف في المقدمة، نظر خلفه لعصام وقال:

-هجيب سجايري من العر...

ولكن في تلك اللحظات توقفت دراجة بخارية تحمل شخصان مُلثّمان أمام العمارة مباشرة، يحمل أحدهم بندقية آلية، رفع فوّهتها في اتجاه الصديقيان وأطلق الرصاص بكل سخاء، لمح عصام البندقية قبل الضرب بثانية واحدة، ولكنه لم يتمكن من دفع صديقه بعيداً عن مرمي النيران التي سبقت كل شئ، اندفع جسد شريف في اتجاه عصام، ودمائه في الاتجاه المقابل، سقط عصام على ظهره وفوقه جسد شريف دون روحه، تأكد عصام من هذا عندما لمح بريق الحياة يغادر عيناه، ونظرته متعلقة بعصام تُحمله مسئولية الانتقام لدماءه.

نزل حامل السلاح من على الدراجة ومر بين السيارات المتراصة على جانب الطريق ليتأكد من مقتل كل من عصام وشريف. تمكن عصام في تلك اللحظة من استعادة توازنه، سحب سلاحه الميري، ودفع جسد شريف جانباً، وفي اللحظة التي رفع فيها القاتل سلاحه ليقتله ضغط عصام الزناد ليكتشف أن زر الأمان يمنع انطلاق رصاصته التي تمنى ألا تكون رصاصته الأخيرة، ولكنه أدرك متأخراً أن وقته في هذه الحياة انتهى، تذكر إبنته مَلَك وفرحتها بحفلة عيد ميلادها، وتذكرها وهي تقفز فرحاً عندما رأت هديّتها التي فاجئها بها، وتذكر قلق رضوى وهي تودّعه قبل أن ينزل من البيت عندما لمحت توتره بعد مكالمة حسن، تذكر عمه الشهيد،

obeikan.com

وتذكر عندما تمنى أن يموت شهيداً مثله، فابتسم عندما أدرك أن الله عز وجل قد منّ عليه بنعمة الشهادة.

ولكنه في تلك اللحظة وقبل انطلاق رصاصات الغدر، رأى مشهداً لن ينساه طوال حياته؛ رأى سيارة حسن تندفع بكل قوة لتصطدم بالدراجة البخارية وتقتل سائقها بينها وبين السيارة التي تقف أمام العمارة، ثم تدفع تلك السيارة لتصدم جسد حامل السلاح، الذي فقد توازنه وسقط أرضاً لثانيتين، كانتا كافيتان لعصام لأن يعدل وضع زر الأمان ويطلق الرصاص على قاتل صديق عمره ليقتله قبل أن يستعيد توازنه.

obeikan.com

obeikan.com

٤٣

السبت ٢٨ ديسمبر سنة ٢٠١٣

يجلس حسن في النادي في مكانه الذي اعتاد الجلوس فيه، يشرب قهوته في صمت حزين، لم يكن توقع أن يشعر بكل هذا الحزن بعد القبض على القاتل الذي انتحل شخصية قاتل زوجته ليفلت من العقاب، ولكن بعد أن رأى كيف أن مقتل شريف صديق عصام أثّر في الأخير، وبعد أن رأى الألم والحزن والقهر في عين صديقه عصام، شعر بالألم لصديقه، وتمنى لو كان تغاضى عن القضية ولم يحاول من البداية أن يطارد القاتل.

غريبة هي الدنيا، كان حسن منذ مقتل زوجته يعيش دون أن يملك أي شيئا ليخسره، وتعمد أن يبتعد عن الناس وألا يكوّن أي صداقات حتى لا يشعر بألم الفراق مرة أخرى، ولكن الدنيا

obeikan.com

لم تـرضى، واسـتدرجته مـرة أخـرى، وكأنهـا سـاحرة أعـادت الحيـاة قـصراً لجثـة همـدت وذهبـت روحهـا للجنـة، فـلا الـروح طلبـت العـودة، ولا تسـتطيع الرفـض. عـاد حسـن ليشـعر نحـو عصـام بحـب الصديـق، عـاد ليشـعر نحـو غـادة بمشـاعر ظنّهـا تركتـه بـلا طريـق للعـودة، عـاد يقلـق، ويخـاف، ويسـهر، ويضحـك، عـادت روحـه، وهاهـو الآن يشـعر بـألم الفـراق مجـدداً.

لا يعلـم إن كانـت غـادة عـلى اسـتعداد أن تقبـل اعتـذاره الـذي لم يقدمـه بعـد أم لا، ولا يعلـم إن كان عصـام سـيعود كـما كان قبـل مقتـل صديـق عمـره أم لا، لا يعلـم متـى ينتهـي هـذا الألم الناتـج عـن حالـة انتظـار البـلاء. ياليتهـم يجيبـوه عـلى أسـئلته، حتـى يرتـاح ولـو قليـلاً، ياليتـه يسـتطيع أن يعجـل بالعـذاب بـدلاً مـن انتظـاره.

لم يصـدق نفسـه في بدايـة الأمـر عندمـا جلسـت بجـواره غـادة وهـي تنظـر لـه بلـوم واضـح وبقايـا الغضـب ماتـزال تظهـر عـلى ملامحهـا، ولكنهـا هنـا. نظـر لهـا في صمـت لثـواني، حتـى تأكـد مـن وجودهـا بجـواره، وقبـل أن يتحـدث سـبقته قائلـة:
-يعنـي عامـل مصيبـة.. وبقالـك يومـين مختفـي.. وحصـل الـلي حصـل مـع عصـام.. وكـمان قافـل تليفونـك؟؟

ابتسـم لهـا ابتسـامة عذبـة أجبرتهـا عـلى الابتسـام، ولكنهـا

أشاحت بوجهها بعيداً حتى لا تعطيه ما يريد كاملاً، ليس بعد، لابد من أن يعتذر أولاً، ثم ترفض الأعتذار ثانياً، ثم يعتذر مجدداً، ثم تقبل اعتذاره على مضض. كان يكفيه وجودها، فها هو أول أسئلته يُجاب بالإجابة التي يتمناها، حتى لو اضطر للاعتذار ألف مرة فلن يمِل، قال بصوت غلبه الارتياح لعودتها:

-تليفوني من ساعة الحادثة وهو ساعات بيقفل لوحده أو الشبكة بتقع.

تذكرت الحادثة بعد أن كانت قد نسيتها عندما رأته، فقالت بلهفة :

-صحيح أيه حكاية الحادثة دي؟؟ مافهمتش من رضوى غير إنك أنقذت عصام.. مقالهاش غير كده.. ومش عارفة اتلمّ عليه من ساعتها.

-انا بلّغت عصام بموضوع شريف.. وكان معايا على التليفون جهاز تتبع عربية شريف.. روحت وراه علشان اكون مع عصام بس ماكنتش اعرف البيت.. سمعت ضرب نار.. ولما قرّبت شفت اتنين هيقتلوا عصام.. دخلت فيهم بالعربية.. قتلت واحد والتاني عصام قتله.. بس كانوا قتلوا شريف.

قالت بحزن شديد:

-تفتكر مين اللي عمل كده؟؟

-أكيد حازم البدري.. شريف اعترف لعصام إن البنات اللي اتقتلوا كان معاهم ورق عليه.. وشريف كان معاه نسخة من

الـورق ده.. ولمـا شريـف اتكشـف كان لازم يخلـص منـه قبـل مـا يعـترف.
-بس حازم عرف منين إن شريف اتكشف؟؟
-سـألت عصـام امبـارح.. قـال أكيـد البنـت الـلي كانـت عنـد شريـف في البيـت سـمعتهم مـن ورا البـاب وبلّغـت عنـه.. اتاريها كانـت بتراقـب شريـف مـش بـس مصاحبـاه.
جـاء عـم عِفـت بقهـوة غـادة، كعادتـه دون أن تطلبهـا، شـكرته وقالـت لحسـن بعـد أن غـادر:
-تعرف حاجة عن عصام؟؟ رضوى كلمتني وقلقانة عليه.
عقد حاجبيه وسأل:
-ماله؟؟ كنت معاه امبارح في الدفن.
-كلمتنـي الصبـح قالـت إنـه قـرأ مقالـة في جرنـان «حكايـة اليوم»الصبـح.. نـزل بعدهـا وقالهـا ماتقلقيـش عـليّ.. تليفونـه مقفـول.. وفي القسـم قالولهـا جـه دقايـق وخـرج.
انتقلت عدوى القلق لملامح حسن، قال:
-وأيه اللي في المقال يضايق؟؟
زفرت غادة بضيق وقالت:
-الجرنـان ده بتـاع حـازم البـدري.. الصحفـي كاتـب تحقيـق نـص صفحـة عـن الحادثـة.. وبيقـول إنهـا عمليـة إرهابيـة.. اسـتهداف ضابطـين شرطـة.. ومطلّـع شريـف البطـل الشـهيد.. وعصـام هكـذا بـس مـش شـهيد.. وكـمان حـد مـن القنـاة الفضائيـة بتاعـة حـازم البـدري اتصـل بعصـام علشـان يطلـع معاهـم عـلى الهـواء يحـكي

عـن بطولـة شريـف.. لعبـة قـذرة بيلعبهـا علشـان يبعـد الشـك عنـه.. ويتأكـد لـو كان عصام عـارف حاجـة.

تملّـك الغضـب مـن حسـن، وشـعر بمـا شـعر بـه عصـام عندمـا قـرأ هـذا الكـذب في التحقيـق. ألهـذه الدرجـة تمكّـن الفسـاد في الدولـة، لدرجـة تسـمح للمجـرم الحقيقـي أن يجعـل مـن القاتـل بطـلاً؟ موقـف عصـام لا يُحسـد عليـه، حيـث إنـه حتـى يقـول الحقيقـة لابـد مـن أن يشـوّه صـورة صديـق عمـره الـذي تحـوّل لبطـل بفعـل الإعـلام الموجـه.

سـأل حسـن نفسـه، مـاذا سـيفعل لـو كان في موقـف عصـام؟؟ ولكنـه عجـز عـن الوصـول لإجابـة تريحـه. مـن الممكـن أن يسـعى خلـف حـازم البـدري ويبحـث عـن الأوراق التـي تدينـه والتـي كانـت بحـوزة شريـف، ولكنـه لا يأمـن عـلى حياتـه، فقـد أعلـن حـازم صراحـة الحـرب عـلى كل مـن يُفكـر في أن يمثـل أي تهديـد عـلى بقـاءه. وفي نفـس الوقـت لا يريـد عصـام أن يشـوّه الصـورة الجميلـة التـي رسـمها الإعـلام لصديقـه، مراعـاة لمشـاعر أهلـة عـلى الأقـل. موقـف أصعـب مـن أن يوصـف بـكلام.
قـام حسـن بعـد دقيقتـان مـن التفكـير وتـرك حسـاب القهـوة عـلى المائـدة وغـادر مـع غـادة مسرعـاً.

بعـد عِـدة سـاعات كان حسـن يقـف بسـيارته في سـاحة انتظـار

Obeikan.com

عبد المنعم رياض، حيث اعتاد عصام أن يترك سيارته عندما يأتي لتقضية وقته على كوبري قصر النيل، ارتاح قليلاً عندما وجد سيارة عصام، فتأكد أن توقعه كان في محله. اتصل بغادة وهو في طريقه سيراً للكوبري حيث سيجد عصام:

-انا لقيت عصام يا غادة.. لسة مقابلتوش بس لقيته.. طمّني رضوى.. وانا هوصّله البيت بنفسي.

-طب خلي بالك من نفسك ومنه يا حسن.. محدش ضامن ممكن يحصل أيه.

-ماتخافيش.. سلام.

وصل حسن للمكان الذي اعتاد أن يجد فيه عصام، ليجده واقفاً في مواجة النيل لا يتحرك، وكأنه قُدَّ من حجر، اقترب منه حسن دون أن يتكلم احتراماً لصمته، لاحظ عصام وقوف حسن بجانبه دون أن يحتاج لينظر إليه، شعر به، وكأنه توأمه الذي وُلِد متصلاً به اتصالاً خفي. لم يتحدث أيّاً منهم لدقائق، ولكن كان كل منهم يشعر بالآخر وبمعاناته.

عِلم حسن من حسين في قسم الحدائق عندما ذهب إلى هناك ليسأل عن صديقه إنه ذهب لمكتبه وجمع أشياءه وغادر دون أن يتحدث مع أحد، فأدرك حسن أن عصام قرر أن يستقيل من الداخلية، برغم تمسّكه بعمله بها في أصعب الأوقات التي مرّت على البلد والوزارة، ولكنه يتخلى اليوم

عنها. لذلك كان يشعر حسن بمدى معاناة وألم صديقه، فقد فقَد عزيزين في وقت قصير للغاية، أحدهما فقده قصراً للشيطان، والآخر طواعية وهو عمله، ويعلم جيداً أن قرار عصام يمتد لما هو أكثر من مجرد استقالته، ولكنه لن يسأل، فهذا وقت الدعم، وليس المراجعة والتصحيح، فها هو يقف بجوار صديقه ليعلن دون كلام عن دعمه المطلق له.

مرّ خلفهم الحكيم الذي لا يصمت، ولأول مرة يقف ويعتدل ويرفع رأسه قليلاً لينظر لعصام، الذي دار عندما سمع صوته وكأنه كان ينتظره، قال الحكيم بصوت حزين:

الهَم لابس وِش.. ومداري بيه وِشك..
حملك تقيل معلش.. وجرحك غويط مفتوح..
لو حد قال الحق.. والعدل هنا مسموح..
صدقني يابني لا.. كداب وبيغشّك.

صمت لثواني مدّ يده فيها وربّت على كتف عصام الذي ابتسم في مرارة، وكأنه يشكر الحكيم دون كلام على مواساته. أكمل الحكيم طريقه، وكعادته استمر في كلامه الذي لا يسمعه أحد في الغالب:

للعدل ألف طريق.. احنا اللي بنكسّل..
وولا وجعنا غريق.. بس احنا بنمثّل..
نشوف الظلم ونسيبه.. طالما ع الغلبان..

ونزعل لما يركبنا.. ورجله تتدلدل..

وكأن كلامه قد مَس جرح عصام فأطلق تنهيدة ألم طويلة مصحوبة بكلمة أه واهنة بالكاد سمعها حسن، الذي اعتدل ليواجه عصام، ونظر له بكل حزن الدنيا. قال عصام وهو مايزال ينظر للحكيم الذي يبتعد:

-للعدل ألف طريق.. احنا اللي بنكسّل.

ثم نظر لحسن وقال بصوت ضعيف:

-انت عرفت منين إنه شريف يا حسن؟؟

-يوم ما اتكلمنا عن غادة عرفت منك إن شريف كان معاك خطوة بخطوة مع عمك.. وده يخليه عارف كل تفاصيل قضايا القاتل.. ولما قربت منه اكتشفت إن حازم البدري رئيسه هو صاحب المستشفيات اللي بتشتغل فيها هبة وداليا.. ودي لا يمكن تكون صدفة.. المعلومة الوحيدة اللي كانت نقصاني هي ليه عمل كده ولصالح مين.. لحد ماعترف لك بكل شئ.

-وليه ما تصورتش إنه يكون سفاح الأرقام الحقيقي؟؟

فكر حسن لثواني وكأنه متردد ثم قال:

-من لحظة ماسمعت عن عودة القاتل وانا مش مقتنع.. سفاح مين اللي يعتزل سنين ويرجع يقتل تاني فجأة؟؟

اعتدل عصام ليواجه حسن وقال بصوت كله تصميم:

-انا استقلت يا حسن.. ومش هسكت.. بس مش هينفع اشتغل في البلد دي بالقانون طالما المجرمين فوق القانون.. اللي

عايـز يخلـص مـن المجرمـين لازم يشـتغل بـرة حـدود القانـون.
-مش شايف إنك استعجلت شوية؟؟ خد وقتك وفكّر قبل...
قاطعه عصام وقال:
-انـا مـش طفـل بسـعى ورا انتقـام سـاذج.. انـا وعـدت شريـف إني أخـد حقـه مـن الـلي غـواه.. شريـف غلـط وهـو بـين أيديـن ربنـا.. هيحاسـبه عـلى كل حاجـة عملهـا.. بـس انـا عـليّ وعـد وهنفـذه.. ومـش هقـدر أنفـذه بالقانـون.. يبقـى لازمتهـا أيـه الشـغلانة؟؟
-يعني هتقتله يا عصام وتبقى قاتل انت كمان؟؟
-بالرغـم مـن إنـه يسـتحق القتـل.. لكـن انـا مـش قاتـل ومـش هكـون.. بـس مـش هسـيبه.
قال حسن وهو يستند بجانبه على سور الكوبري:
-بتفكر في أيه؟؟
-لا يـا حسـن.. مـش عايـزك معايـا.. المواجهـة دي خطـيرة وانـا متحمـل مسـئوليتها لوحـدي.. كفايـة الـلي عملتـه عشـاني لحـد كـده.. انـا مفيـش في عمـري وقـت كفايـة علشـان أردلـك جمايلـك.. مـش عايـز اعرضـك للخطـر.
ابتسم حسن بسخرية:
-تبقـى عبيـط لـو فاكـر إني هسـيبك لوحـدك.. ماتضيّعـش وقـت.. بتفكـر في أيـه؟؟
ابتسـم عصـام لصديقـه ابتسـامة حملـت كل شـكر الدنيـا. ثـم نظـر للأُفـق وقـال وكأنـه يُشـهِد عـلى نفسـه النيـل والسـماء:

obeikan.com

-مش هرتاح إلا لما اشوف حازم البدري في السجن واعمل منه عبرة لكل شيطان فاكر إن الدنيا مافيهاش حد يقدر عليه.

-يبقى نوصل للورق اللي كان مع شريف وساعتها هنشوف نعمل بيه أيه.. طالما مستعد يقتل مرة واتنين وتلاتة علشان الورق ده مايطلعش.. يبقى اللي في الورق ده بيهدد بقاءه هو شخصياً.

هزّ عصام رأسه بمرارة وقال:

-للأسف شريف مقاليش فين الورق ده.

-يبقى تدوّر انت على الورق اللي كان مع شريف.. وانا ادوّر ورا حازم البدري نفسه يمكن أوصل للسر.. بس حالياً لازم ننيّم حازم البدري علشان نتقّي شرّه مؤقتاً.

-ازاي؟؟

-إنك تطلع في البرنامج وتحكي بطولات صاحبك وتقنع حازم إن شريف ماعترفش بحاجة وانت بتقبض عليه وأن زيارتك كانت مجرد اشتباه.. وبكده يبقى اشترينا شوية وقت.

Obeikan.com

٤٤

الخميس ٢ يناير سنة ٢٠١٤

يخرج حازم البدري من ڤيلته في التجمع الخامس الساعة الثامنة صباحاً كعادته، يركب سيارته ويغلق بابها خلفه، يلقي الصباح على سائقه الشخصي، الذي يرُد التحيه بأدب ووجه بشوش، ويتحرك بالسيارة في اتجاه مكتبه، قاطعاً ذات الطريق الذي يقطعه يوميّاً.

عند الدوران الذي يدور حوله السائق يوميّاً تصطدم شاحنة نقل كبيرة بسيارة حازم البدري بقوة من الخلف، وقبل أن يستوعب السائق أو حازم البدري ما حدث، ينزل ملثّمان من الشاحنة وهما سائق النقل ورفيقه -الذي لم يكن سوى كربونة- وفي يد كل منهما سيف طويل، يتجه كربونة كما هو محدد مسبقاً ناحية حازم البدري، ويتجه سائق النقل

obeikan.com

-الـذي لم يكـن سـوى عصـام ناجـي شـخصياً- في اتجـاه سـائق حـازم الشـخصي. يفتـح كربونـة البـاب المجـاور لحـازم، وينتشـله مـن السـيارة بـكل قـوة ويخنقـه بقـوة ويـصرخ:
-العربيـة دي عليهـا اقسـاط يابـن الجزمـة.. هتدفـع ولا نخلّـص عليـك؟؟ قالهـا وخبّـط بسـيفه بقـوة عـلى سـقف السـيارة ليثـير هلـع حـازم البـدري، وقـد نجـح تمامـاً، حيـث فقـد حـازم البـدري السـيطرة عـلى أعصابـه في تلـك اللحظـة وصرخ كالطفـل:
-هديلك اللي انت عايزه يا مجنون.. اللي انت عايزه.

كان في تلـك اللحظـات عصـام قـد صعـق السـائق الشـخصي لحـازم ففقـد الوعـي مؤقتـاً، وفتـح البـاب الخلفي للسـيارة.

نظـر كربونـة لعصـام فأشـار لـه بانتهـاء المهمـة بنجـاح، فدفـع حـازم البـدري بـكل قـوة داخـل السـيارة، وأشـار لعصـام الـذي ألقـى لـه الصاعـق، ثـم صعـق بـه حـازم البـدري في جانبـه لثـواني حتـى تأكـد مـن فقدانـه الوعـي تمامـاً، ولحـق بعصـام الـذي أخـذ حقيبـة حـازم البـدري الشـخصية وركـب الشـاحنة وغـادروا المـكان وسـط ذهـول المـارة، الذيـن لم يفهمـوا شـيئاً مـما حـدث.

٤٥

ليل الخميس ٢ يناير سنة ٢٠١٤

يفتح عصام باب شقته لحسن الذي يُسلّم عليه بفخر وسعادة، وكأنه جندي عائد لتوه من تنفيذ مهمة خطيرة خلف خطوط العدو. ناول حسن اسطوانة مدمجة لعصام وقال:

-ال CD دي تودّي حازم البدري وكام راجل معاه في ستين داهية.. براڤو عليك.

قال عصام وهو يغلق الباب خلف حسن:

-براڤو عليّ أيه بس؟؟ دانت طلعت كارثة يا حسن.

دخل حسن وسلّم على غادة التي كانت بانتظاره بناءً على طلبه، وسلّم على رضوى، وجلس.

قال عصام وهي يضع جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به على الطاولة أمامه:

-التليفون أخد وقت طويل؟؟

obeikan.com

رد حسن:
-٧ دقايق تقريباً.. والمحضر عرفت عنه حاجة؟؟
-اتقيّد ضد مجهول.. سرقة بالإكراه.
قالت غادة بلهفة:
-مش ناويين تفهّموني أيه اللي بيحصل؟ بدل مانا قاعدة زي الاطرش في الزفة كده؟؟
قال حسن بسعادة:
-حازم البدري.. قدرنا نوصل لكل اللي يوديه في داهية مدى الحياة على الأقل.. تجارة في الأعضاء واختبارات لعقاقير أجنبية على أبرياء مُعدمين.. ومخدرات.. وبلطجة.. ماسابش مصيبة ماعملهاش.
اتسعت عيناها بلهفة وقالت:
-معقول؟؟ أوعى تقولوا إن انتوا اللي سرقتوا شنطته الصبح؟؟ دي حكايته مغرقة المواقع والصُحُف.
ضحك عصام وقال:
-أحلى حاجة إن كل الأخبار بتتكلم عن الشنطة.. ومحدش عارف الخطة العبقرية اللي حطّها الداهية اللي قصادك ده.
وأشار على حسن.
نظرت غادة لحسن وسألت:
-خطة أيه؟؟ يعني مش انتوا اللي سرقتوا الشنطة؟؟
حسن:
-احنا اللي سرقنا الشنطة.. بس كنا متأكدين إن الشنطة مش

obeikan.com

هيكـون فيهـا حاجـة تدينـه.. محـدش بيشـيل ورق يسـجنه معـاه اليومـين دول.. سرقـة الشـنطة كانـت بهـدف تحويـل نظـر كل النـاس عـن الهـدف الحقيقـي.
عقدت حاجبيها وهي تنصت له، فأكمل:
-الهـدف الحقيقـي كان تليفـون حـازم البـدري.. ال Smart Phones دلوقتـي بقـت عاملـة زي الصنـدوق الأسـود.. فيهـا كل حاجـة.. لأنهـا سـهلة الاسـتخدام وفي نفـس الوقـت لـو حصلـت مشـكلة سـهل جـداً تمسـحي كل بياناتهـا في ثـواني.
-يعني سرقتوا تليفونه؟؟ سألت رضوى.
فأكمل:
-لا طبعـاً.. احنـا ماكنـاش عايزينـه يشُـك في إن العمليـة ليهـا علاقة بغـير سرقـة الشـنطة.. كل الـلي عملنـا إننـا لقينـا Hacker عنـده برنامـج يقـدر ينقـل كل البيانـات والإيميـلات وسـجل المكالمـات والرسـايل والصـور وكـروت الائتـمان مـن تليفـون لأي تليفـون تـاني زيّـه بالظبـط.. بـس العمليـة دي تحتـم قبـول التليفـون المنسـوخ للربـط بالتليفـون التـاني الـلي عليـه الڤـيروس.. وده كان الهـدف.. في الوقـت الـلي كان كربونـة بيهـدد فيـه حـازم.. عصـام صعـق السـواق وفتـح البـاب الخلفـي وأخـد تليفـون حـازم الـلي وقـع منـه لحظـة الحادثـة سـمح بقبـول الاتصـال.. والربـط تـم بـين تليفـون حـازم وتليفـون زيّـه بالظبـط مـع حسـن.. الـلي كان واقـف في الشـارع عنـد الـدوران مـن قبـل الحادثـة ووسـط النـاس بيتفـرج عـلى الحادثـة بعـد مـا حصلـت والتليفـون في جيبـه..

obeikan.com

وبعد ما عصام وكربونة مشيوا.. حسن فضل واقف كمشاهد زيّه زي كل الناس لحد ما تأكد من نقل كل بيانات التليفون الأول للتاني.

الانبهار كان سيد الموقف، لم تستطع رضوى الكلام أو التعليق، وقالت غادة وملامح السعادة والفخر والإعجاب والحب تملأ ملامحها لحسن:
-انت المفروض تشتغل حاجة تقدر تطلّع فيها إمكانياتك دي.. بجد انت خسارة تكون مش بتشتغل.
قال عصام:
-هوّ ده اللي انا طلبتكم عشانه النهاردة.. اعملي لنا حاجة نشربها يا رضوى من فضلك.
أكمل عصام كلامه وهو يغلق جهازه المحمول بعد التأكد من سلامة الاسطوانة وخطورة المعلومات التي تحويها، وبعد ذهاب رضوى للمطبخ:
-انا عرضت على حسن إننا نشتغل كده فعلاً.. وهو طلب وقت يفكر.. والنهاردة يا غادة هو قالي إنه هيبلّغنا بقراره النهائي بس طلب إنك تكوني موجودة معانا.. وانا كمان كنت عايزكم في موضوع مهم.. بس نسمع حسن الأول.
انهى جملته وحوّل نظره صوب حسن، وكذا فعلت غادة.
اعتدل حسن في جلسته وقال:
-شوفي يا غادة.. عصام بيفكر يفتح مكتب محاماه يكون

واجهة لتحقيق العدالة الغايبة.. باختصار هنحارب كل ظالم استغل ماله أو ثغرة في القانون علشان يهرب من العدالة.

سألت غادة بتوجُس:

-هتحاربوه ازاي يعني؟؟ مش فاهمة!

-زي ما عملنا مع حازم البدري كده.. هنلعب معاه خارج نطاق القانون ونفضحه.. ماتخافيش مش هنقتل ولا هنرتكب جرايم.. كل الحكاية إننا هنستغل إمكانياتنا ضد الفاسدين.. ونستغل ميزة إن محدش يعرف احنا مين ولا هيشُك فينا.

-وانتوا الاتنين هتقدروا تعملوا ده لوحدكم؟؟

قال عصام:

-لا طبعاً.. علشان كده بنسألك.. هتكون زي جماعة سريّة ومش هنضم غير اللي واثقين فيه جداً.. ممكن نستعين بحد يعمل لنا خدمة وياخذ مقابل زي كربونة النهاردة مثلاً.. أيه رأيك؟؟

قالت غادة دون تردد:

-ودي فيها رأي؟؟ معاكم طبعاً.. بس لازم نخلّي بالنا كويس من اللي بنعمله.

قال حسن باسماً:

-علشان كده انتي موجودة.. علشان تلحقي اللي يتهوّر مننا.

ضحكت غادة وقالت:

-يعني انا شغلتي ال Safety Manager

قال عصام باسماً:

-حاجة زي كده.
قال حسن بصوت متوتر:
-انا موافق.. ومفيش حاجة في الدنيا ممكن اكون عايزها اكتر من إني اكون جزء من المشروع ده.
صمت لثواني وكأنه يزِن كلامه الذي سيقوله لأخر مرة ثم قال بعد أن حسم أمره بصوت مرتعش:
-انا مخبي عليكم سِر كبير.. ومش هقدر بعد النهاردة أفضل مخبيه.. ومش عارف رد فِعلكم ممكن يكون أيه بعد ما تعرفوه.. لكن مش هقدر أشوفك يا عصام بتأتمني على حياتك.. وانتي يا غادة بتسلميني قلبك وانا مخبي عنكم حاجة زي كده.
قالت غادة بصوت مرتعش بعد انتقال عدوى التوتر لها من حسن :
-في أيه يا حسن؟؟ ماتقول في أيه؟؟ قلقتني.
نظر لها حسن لثواني وابتلع ريقه الجاف، ثم نظر لعصام وكأنه يحاول أن يتنبأ برد فِعل كل منهم قبل أن يقول، ثم قال:
-انا عدِت عليّ في حياتي فترة صعبة جداً.. كان اللي بيحركني فيها مشاعر الكُره والغضب والانتقام.. مش فخور بأي شئ عملته.. بالعكس انا ندمان عليه.. لكن دي حاجة انا ارتكبتها ومش هقدر امسحها.. ياريت اقدر امسحها وكأني مارتكبتهاش.. بس مش هقدر.

obeikan.com

صمـت مُجـدداً وكأن الـكلام يـأبى أن يعينـه عـلى اعترافـه، نظـر لغـادة فكانـت صامتـة تراقبـه بعيـون يملأهـا الخـوف، نظراتهـا لم تسـاعده عـلى الـكلام بـل العكـس، فـإن كانـت خائفـة كل هـذا الخـوف قبـل أن تعـرف مـا يريـد أن يقـول، فكيـف سـتكون بعـد أن تعـرف.

اعتدل عصام وقال:

-هـو ده الموضـوع الـلي انـا كنـت عايزكـم فيـه.. لـو تفتكـر يـا حسـن أول يـوم اتقابلنـا كان ليّ في ذمتـك سـؤال تجاوبنـي عليـه بصراحـة أيّاً كان.. كنـت نـاوي اسـأله النهـاردة.. بـس انـت سـبقتني وجاوبـت قبـل مـا اسـأله.. أو بمعنـى أدق حاولـت تجـاوب.

نقلـت غـادة نظرهـا بـين عصـام وحسـن دون فهـم، وثبّـت حسـن نظـره عـلى عصـام، هـل حقـاً يعلـم مـاذا أريـد أن أقـول؟

أكمل عصام بثقة أكدتها نظرة حسن المتوجسة:

-الموضـوع أخـد منـي وقـت عـلى مـا ربـط كل الخيـوط ببعـض.. بـس كنـت مسـتني انـت الـلي تقـول.. كنـت عايـز اتأكـد مـن ثقتـك فيّ واثبـت لنفـسي إنـك جديـر بالثقـة.

غادة بحِدة:

-ممكن حد فيكم يفهمني في أيه؟؟

ونقلـت نظرهـا بـين حسـن الـذي راوغـه بالنظـر لـلأرض، وعصـام الـذي أكمـل:

-أول حاجـة إنـك مـرة يـا حسـن حاولـت تقنعنـي اتعامـل مـع

قضيــة داليــا وتذاكــر كأنهــا أي قضيــة تانيــة.. كنــت بتحــاول توجّهنـي للطريـق الصـح برغـم إني طلبـت منـك عـدم المسـاعدة في القضيــة.. كنــت بتحــاول تخلينــي اشــوف القضيــة بعيــد عــن قصــة عــودة ســفاح الأرقــام.. بــس انــا مافهمتــش ده منــك.

التقط نفسه ثم أكمل:

-تــاني حاجــة إنــك مشــيت في القضيــة مــن أول يــوم وكأنــك متأكــد مــن عــدم عــودة ســفاح الأرقــام.. وده الــلي خــلاك تحقــق في قضيــة داليــا.. عــلى عكــس الداخليــة الــلي افترضــت إن قضيــة داليـا مقفولـة وفضلـت تـدوّر عـلى شـبح القاتـل الـلي في الحقيقـة مــش موجــود.. وده الــلي خــلاك تحِــل القضيــة قبــل الداخليــة.. وده لأنــك عــارف ومتأكــد إن ســفاح الأرقــام مــش هــو الــلي قتــل تذاكــر مــن أول يــوم.

توقـف عـن الـكلام لثـواني نظـر فيهـا لحسـن ليتأكـد مـن صِـدق تحليلــه، وقــد كان لــه مــا أراد.

قالت غادة:

-انا مش فاهمة حاجة.

أكمل عصام وكأنه لم يسمعها:

-أخــر ضحايــا القاتــل كانــت ناديــة يــا غــادة.. اجمعــي كل الــلي قلتــه ده مــع بعــض هتوصــلي لحقيقــة واحــدة لا تقبــل التشــكيك.. واعتقــد إن ده الــسِر الــلي حســن كان هيقولــه وماقــدرش.

قالت غادة والخوف يملأ كيانها:

-حقيقة أيه؟؟

هَمّ حسن أن يُجيب ولكن عصام سبقه قائلاً:
-إن حسن دَوّر على اللي قتل مراته بعد ما عمي أفرج عنه.. ووصل لمعلومات ماتوفرتش لعمّي.. وعِرف مين القاتل...
صمت لثواني ثم أكمل:
-وقتله.

هنا رفع حسن رأسه في دهشة في اتجاه عصام، الذي كان وجهه يحمل ابتسامة المُنتصر. نقل حسن نظره لغادة التي كانت تبادله نظرة تساؤل واضحة، وقالت بصوت مبحوح:
-انت قتلت يا حسن.
نظر حسن للأرض هرباً من نظرات حبيبته، وقال بصوت يملأه الشعور بالذنب:
-مش فخور باللي عملته.. ومش بقول مُبررات.. لكن دفاعي الوحيد هو إني لم اقتل إلا اللي يستحق القتل لكن القانون كان أضعف من إنه يقتص منه.
صمت لثواني ثم رفع رأسه وتنهّد بقوة وقال:
-النهاردة انتوا عرفتوا عنّي اخطر سِر كنت مخبيه.. اللي منكم مستعد يقبل حسن في حياته وهو عارف إنه ارتكب الغلط ده وندم عليه يكلمني.. واللي مش هيقدر يسامحني مش هلومه على أي شئ.. بعتذر له على كل دقيقة خبيت فيها عليه حقيقتي.
قالها حسن وقام ليغادر المكان، فقام عصام واعترض طريقه

وابتسم قائلاً:

-انا عارف الحكاية دي بقالي إسبوع.. وكنت عايزك انت اللي تصارحني عشان نفتح صفحة جديدة.. كان ممكن اسيبك تمشي له انا اللي واجهتك.. لكن بمصارحتك ليّ أثبت إنك فعلاً صادق معايا.. وده يكفيني.. ده غير إن انا مديون لك بحياتي بالفعل.

ملأت الدموع مُقلتي حسن ولم يستطع الرَد، ولكنه أومأ برأسه لعصام شاكِراً، الذي أكمل:

-السؤال اللي ليّ عندك محتاج إجابته حالاً.. انت متأكد إن اللي قتلته هو القاتل؟؟

صمت حسن لثواني ثم قال موجِهاً كلامه لكل من عصام وغادة:

-زي ما قلتلك يا عصام.. اللي قتلته قاتل بدم بارد هِرب من العدالة.. وربنا يشهد على كلامي.

-يبقى انا مسامحك يا حسن بس ليّ شرط واحد.

قال حسن:

-من غير ما تقول يا عصام.. أوعدك إن ده لا يمكن يتكرر.. انا ندمت على تصرفي ده وفعلاً اتغيّرت حتى قبل ما يبقى في حياتي صديق يخاف عليّ.. وحبي...

قطع كلامه في تلك اللحظة عندما نظر لغادة، التي رواغت نظرته لها وأشاحت بوجهها إلي الجهة الأخرى، فلم يكمل

obeikan.com

كلمـة «حبيبة»لأنـه في تلـك اللحظـة شـعر إنـه خسرهـا، فهـي لا تبـدو عـلى اسـتعداد لمسـامحته، أو لتبـدأ علاقـة مـع قاتـل، حتـى لـو كانـت تحبـه.

نظـر حسـن لعصـام الـذي كان صامتـاً، فسـلّم عليـه وغادر الشـقة تـاركاً وراءه صمـت لا يتخللـه سـوى صـوت بـكاء غادة.

obeikan.com

obeikan.com

٤٦

ليل الخميس ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٣

تعبر رؤى الشريف الطريق وهي تضحك بعد عودتها من الكوافير استعداداً لليلة رأس السنة الميلادية. يراها شقيقها الأكبر حسن وهي تسير على الرصيف؛ جميلة، بريئة، تتحرك كالفراشة. الليلة كلها تبدو كأُمنية جميلة تتحقق. يقف خلف النافذة يشاهدها، مبتسماً. وفجأة بدأت السماء تمطر بغزارة، وكأن كان للسماء سدّاً وانكسر لتوّه. انقبض قلبه، شعر وكأنه دون قصد، حسَد الليلة فأفسدها.

خافت رؤى أن تُفسِد الأمطار شعرها، فقررت أن تعبر الطريق بسرعة. نزلت من على الرصيف مُسرعة، أسرعت الخُطى لتعبر الطريق قبل السيارة القادمة، ولكنها أدركت خطورة ما تفعله، فتملّكها الرعب، وقررت العودة للرصيف.

obeikan.com

ولكـن تصرُفهـا كان كفيـل بخـروج سـائق السـيارة غـير الواعـي -بسـبب مـا تجرعـه مـن خَمـر احتفـالاً بالسـنة الجديـدة- عـن ثباتـه، فحـاول أن يتفاداهـا، ولكـن اسـتجابته البطيئـة، والأسـفلت المُبتـل، لم يسـاعِداه، فلـم يسـتطع السـيطرة عـلى نفسـه أو السـيارة، فاتجـه مباشرة لـرؤى قبـل أن تصـل للرصيـف، اصطـدم بهـا وطـار جسـدها في الهـواء، تحـت سـمع وبـصر حسـن الـذي شـعر وكأن روحهـا تغـادر جسـده هـو. وقفـت السـيارة وخيّـم الصمـت عـلى الموقـف كلـه، ثـواني كانـت ثقيلـة كالكابـوس. نـزل شـابين في قمـة الشـحوب، مـن أثـر المخـدرات والخمـر، وأخـيراً الحادثـة.

تحـرك الأخ أخـيراً في محاولـة إنقـاذ أختـه الوحيـدة والتـي لم يتبقـى لـه مـن أهلـه سـواها مـن المـوت، ولكـن مـا رآه كان أكـثر مـما يمكـن لأعصابـه أن تحتمـل، فانهـار في مكانـه، بجـوار النافـذة، غيبوبـة مؤقتـة أصابتـه ولم يفيـق منهـا إلا بعـد دفـن أختـه. فلـم تحرمـه الحادثـة مـن أختـه فحسـب، ولكنهـا حرمتـه أيضـاً مـن الـوداع الأخـير.

٤٧

ليل الخميس ٢ يناير سنة ٢٠١٤

يدخـل حسـن مكتـب مجـدي كارم بعـد سـماح لـه مجـدي بالدخـول، يـدور مجـدي حـول مكتبـه ويُسـلّم عـلى حسـن بـوِدّ، ويطلـب منـه الجلـوس. يـدور حسـن ببصره في المكتـب، وتتوقـف عينـه عنـد المقالـة التـي كادت أن تتسـبب في دخـول مجـدي السـجن، وقـف حسـن أمامهـا لثـواني يتأملهـا وكأنـه يسـترجع ذكريـات بعيـدة، حتـى قـال مجـدي:

-تشرب أيه يا حسن بيه؟؟

-كتّر خيرك.. ولا حاجة.

جلـس حسـن أمـام مكتـب مجـدي الـذي جلـس أمامـه، ولم يجلـس خلـف مكتبـه، قـال حسـن:

-حضرتـك كنـت طـول عمـرك الصحفـي المفضـل بالنسـبة لي.. ومازلـت.

obeikan.com

-الله يخليك.. يارب افضل عن حُسن ظنّك.

-أكيد إن شاء الله.

صمت حسن لثواني، كان التساؤل خلالها بادياً على ملامح مجدي عن سبب الزيارة المُتأخرة، فقال حسن:

-انا جاي النهاردة علشان أريّح بالك وضميرك من همّ انت شايله بالغلط.. ومالكش ذنب فيه.

-خير؟؟ وعقد حاجبيه.

-يوم ما كنّا عندك في البيت قلت إنك شايل ذنب مقتل نادية وحاسس إنك ممكن تكون ساعدت القاتل على جريمته.. ده مش صحيح.

ظهر الاهتمام على ملامح مجدي، وقال:

-وأيه اللي مخليك متأكد كده؟؟

لم يجيبه حسن وكأنه لا يريد أن يقاطع استرساله أي شئ، وأكمل:

-ده غير إن وقوفك في صف السفاح من أول ظهوره مُبرر ومنطقي.

صمت لثواني لم يُعلِق فيهم مجدي، فأكمل حسن:

-فاطمة.. فاطمة كارم أخت سعادتك كانت واحدة من ضحايا انهيار عقار في إمبابة يوم ١٧ فبراير ٢٠٠٥.. وصاحب المعرض في الدور الأرضي هو كان الضحية التانية للسفاح.. طبيعي تميل ناحية تأييده بعد ما حقق عدالة غايبة.

ظهر التأثُر على ملامح مجدي وعقد حاجبيه وقال:

obeikan.com

-وانت عرفت منين كل ده؟؟
-انا عارف كل حاجة تخص السفاح.. سيبني احكيلك من الأول.. الحكاية بدأت من يوم ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٣.
تسارعت أنفاس حسن وهو يتذكر ليلة مقتل أخته الوحيدة، وأكمل:
-الليلة دي اتقتلت فيها أختي في حادثة سير.. والقاتل هرب.. بعدها فقدت كل هدف في الحياة.. خاصة إن نادية كانت مش بتخلّف.. وكانت رؤى تعتبر بنتنا اللي كنا عايشين عشانها.. بعدها بفترة قصيرة نادية اكتشفت إن عندها سرطان في الرئة.. حاولت الانتحار مرتين ولكنها فشلت لأني كنت دايماً جنبها.. ولكن بعد ماتقبض عليّ نادية انتحرت علشان تحميني من السجن.. وزوّرت مسرح الجريمة ليبدو إنه من فعل السفاح.. بس محدش أخد باله من التفاصيل الصغيرة اللي كانت مختلفة عن السفاح.. وده معناه إن السفاح زي ما حضرتك كنت فاكره.. ماقتلش أبرياء.
صمت حسن في محاولة منه لمنع دموعه التي كانت تجاهد لتسقط، فاستغل مجدي صمته وسأله بصوت متأثر:
-وانت ليه مش شاكك إن السفاح اللي قتلها؟؟
نظر له حسن نظرة طويلة وكأنه يعيد التفكير لأخر مرة في قرار اتخذه، ثم نطق بلهجة حاسمة:
-لأن نادية ليها محاولتين انتحار بعد معرفتها بمرضها.. ولأن التاريخ اللي كان على راسها كان تاريخ أول يوم قابلتها فيه

obeikan.com

وده محدش غيرنا يعرفه.. وأخيراً لأن السفاح...
صمت لثواني ليمنع ارتجاف صوته بسبب التوتر، وأكمل بنفس الصوت بعدما فشلت محاولات السيطرة على توتره:
-لأن السفاح يومها كان مقبوض عليه في الحجز.. وأُطلق سراحه بعد انتحارها.

نظر له مجدي دون فهم لثواني، ثم استوعب فجأة ما يعنيه حسن، فتسارعت أنفاسه وتضاربت المشاعر بداخله. ها هو يجلس وجهاً لوجه مع سفاح الأرقام الذي تمنى كثيراً أن يقابله، لم يتوقع أبداً أن تتحقق أمنية لقاءه به، ولهذا لم يستعد لها. لا يعرف ماذا يقول، المعلومات التي تحصّل عليها لتوّه أكبر من قدرته على الإستيعاب.
قال مجدي بصوت مرتجف:
-انت يا حسن؟؟
أومأ حسن برأسه إيجاباً وقال بصوت هادئ، وكأن اعترافه لأحد بحقيقة ما قام به قد أراحه من همّ ثقيل كان يحمله وحده لمدة طويلة:
-كنت راكن عربيتي في ليلة شتاء مستني نادية تنزل من عند صاحبتها.. يوم ١١ يناير سنة ٢٠٠٥ من البرد والمطر مكانش ممكن حد يلاحظ إني جوّا العربية.. حصلت قصادي حادثة ماتت فيها بنت أكبر من رؤى بحاجة بسيطة.. كان بقالي سنتين فاقد الأمل في الحياة وبدّعي قبولي للأمر الواقع..

obeikan.com

والحقيقة إن غضبي كان فوق حد الاحتمال.. كل اللي شفته لحظتها هو رؤي بتتقتل قصادي تاني.. قررت يومها إني هنتقم من قاتل البنت بنفسي.. مش هقدمه للعدالة وابقى تحت رحمة محامي يشكك في نظري وظروف الرؤية.. تتبعته وراقبته وقتلته وكتبت على راسه يومها تاريخ جريمته علشان سألني بعمل كده ليه.. بس الغضب والكره جوايا كانوا أقوى مني.. كنت بكره الدنيا كلها.. بعد فترة حصل انهيار العقار في إمبابة ولقيتها فرصة اطلّع فيها غضبي.

كان حسن يتحدث بصوت وملامح يتملكهما الغضب، صوت أنفاسه يكاد يطغى على صوته المبحوح من فرط التأثُر، لا يعلو صوته ولكنه كان غاضب بشدّة، وكأنه كان يستحضر مشاعره في تلك الفترة وليست مجرد الذكريات، ومجدي كان مذهولاً مما يسمع.

-الحقيقة إن بعد الجريمة التانية الموضوع بقى أسهل كتير.. مابقتش خايف ولا أيدي بتترعش.. وكأن كان بيموت فيّ جزء مع كل شخص بقتله.. مش هدّعي الفضيلة ولا البراءة.. انا قاتل.. هقف بين أيدين ربنا وهيحاسبني.. وكان جزء مني بيستمتع بقتل الخونة دول.. لكن دفاعي الوحيد إني ماقتلتش إلا اللي يستحق القتل.. ولكن بعد غلطتي الوحيدة وهي قتل شخص قريب من بيتي وبعد خناقة بيني وبينه بكام يوم.. برغم إني قتلته علشان سبب تاني خالص غير الخناقة

لكـن اتقبـض عـلىّ.. خذلـت ناديـة.. ماكنتـش موجـود جنبهـا وقـت ضعفهـا فانتحـرت علشـان تنقـذني مـن تهمـة هـي نفسـها ماتعرفـش إنهـا حقيقيـة.
صمت لثواني وظهر شبح ابتسامة ساخرة على فمه:
-غريبة الدنيا صحيح.

صمت حسن وتنهّد وكأنه يستريح بعد اعترافه، ثم قال:
-حاولـت اعـترف لعصـام وغـادة لكـن عصـام توقـع إني قتلـت السـفاح وانـا سـكت كأن كلامـه صـح.. وسـامحني.. لسـة ماعرفش غـادة هتسـامحني ولا مـش هتقـدر.. كنـت محتـاج اعـترف لهـا عشـان تبقـى عارفـة هـي بتتعامـل مـع مـين.. أو كنـت مـين.. لكن ضعفـت.. عشـان كـده جيـت هنـا.. طالمـا مـش قـادر اعـترف لهـا غـير بنُـص الحقيقـة بـس.. جيـت لـك لأنـك زي والدهـا.. لـو غادة بنتـك هـترضى إنهـا تكـون معايـا بعـد الـلي سـمعته منـي؟؟ انـا معـترف بجرائمـي.. وبالفعـل عاقبـت نفـسي سـنين عليهـا.. لكـن كل الـلي بطلبـه اطـلاق سراح بشـهادة حُسـن سـير لأني شـايف نفـسي اسـتحقّها.

لم يتوقـع مجـدي السـؤال، فأجفـل عنـد سـماعه، ولكـن جديّـة حسـن وملامحـه المُصِرة عـلى الحصـول عـلى إجابـة أجبرتـه عـلى الـرد، فقـال:
-ليه انا يا حسن؟؟

-أولاً انـت الشـخص الوحيـد الـلي عـارف عنـي كل شـئ في الحقيقـة مـن زمـان وده سـهّل مهمـة الاعـتراف.. ثانيـاً وانـت الشـخص الوحيـد الـلي بيخـاف عـلى غـادة ومـش هيجاملنـي عـلى حسـابها.
-محتـاج الأول اعـرف.. ليـه بطّلـت تقتـل؟؟ برغـم إن الفسـاد والظلـم بيزيـد؟؟
قال حسن بصوت مُتعب ومُثقل بالهَمّ:
-مـوت ناديـة كـسرني يـا أسـتاذ مجـدي.. انـا بعـد رؤى مكانـش في حيـاتي غـير ناديـة.. بعـد انتحارهـا وعجـزي عـن حمايتهـا مـن نفسـها فقـدت كل رغبـة في الحيـاة.. وسـألت نفـسي أيـه فايـدة تحقيـق عدالـة لغـيري وانـا مـش قـادر احمـي بيتـي مـن الظلـم ومـن نفـسي؟؟ انتحـار ناديـة فتّـح عينـي عـلى حقيقـة إن كل شـخص اتخلـق في الدنيـا مسـئول عـن نفسـه.. ومـش مُهِمتـه إنـه يغـيّر النـاس.. ولـو حاولـت تشـغل نفسـك بغـيرك هينتهـي بيـك المطـاف بإنـك مـش هتعـدل حـال غـيرك.. ومـش هتلاقـي نفسـك.. لأنـك شـغلت نفسـك عـن دورك الحقيقـي في الدنيـا وهـو نفسـك.. لـو تقـدر تعمـل الاتنـين سـوا يبقـى كويـس.. بـس ده مسـتحيل حـد يقـدر يعملـه لوحـده.. ده الـلي وصلتلـه بعـد التجربـة الصعبـة الـلي مريـت بيهـا.. لـو فعـلاً عايز تحسّـن الوضع السـئ.. ماتعملـش انـت الغلـط.. ولـو حاولـت تمنـع غـيرك عـن الغلـط ماينفعـش تمنعـه بغلـط اكـبر منـه.. غلـط الغـير عمـره مـا كان مُـبرر لغلطـك.

صمت حسن لثواني ثم أكمل:

-كل جزء مات فيّ مع حد قتلته رجع يشعر بالحياة من جديد بعد ظهور عصام وغادة في حياتي.. ويومها تأكدت إني ظلمت نفسي مرة يوم ما سمحت لمشاعر الانتقام والكُره والغضب تتحكم فيّ.. وتاني لما حبست نفسي في شرنقة عذاب مغلقة وكأني رجل اتدفن وهو عايش.. ولا عارف يموت وولا قادر يخرج من قبره.. وأخدت عهد على نفسي إني لا يمكن اعمل كده في نفسي ولا في اللي يهمني أمرهم تاني أبداً.. وبدعي كل يوم ربنا يسامحني على اللي عملته.. ويسامح نادية.

سقطت دموع حسن في صمت مؤلم، ولم يحاول أن يداريها، في الحقيقة؛ حسن كان يشعر بدموعه تقوم بعمل المُطهِر للجرح، مؤلمة ولكنها ضرورية، كان يشعر بروحه تغتسل بدموع ندمه، بعد اعترافه شعر أخيراً ولأول مرة منذ سنوات عديدة بالحرية، بخروجه من قبر اختاره ولكن لم يعد يحتمل البقاء فيه بعد اليوم، هل هذا يعني شفاءه من تلك المشاعر السيئة؟ هو لا يعلم يقيناً، ولكنه يعلم إنه لن يعود له أبداً، فقد تعلم من تجربته.

صمت مجدي لدقيقة كاملة كان ينظر خلالها لحسن، وكأنه يتخلله بنظراته، الصحفي داخله كان يجيد التفريق

بـين الحقيقـة والكـذب، بـين الصِـدق والادعـاء، فـكان يُسـخِر كل خبراتـه لكشـف سـتر حسـن في تلـك اللحظـة، لأن إجابتـه سـيتحدد عليهـا مصير غـادة التـي يعتبرهـا إبنتـه، قـال بعدهـا:

-ربنـا وحـده الـلي بيحاسـب ويغفـر.. بـس انـا مصدّقـك يـا حسـن.. والسـبب إنـك كان ممكـن تـداري.. بـس جيـت النهـاردة عشـان خايـف عـلى غـادة مـن نفسـك وطلبـت شـهادة حـد مـن طرفهـا.. وده حـب مـش سـهل يتكـرر.. انـا شـخصياً موافـق.. لكـن موضـوع غـادة ده محتـاج منـي شـوية تفكـير.

شـعر حسـن بالسـعادة لأنـه أخـيراً وبعـد سـنوات مـن الوِحـدة اسـتطاع أن يخـرج مـن شرنقـة القتـل، وأن يسـتعيد احترامـه لنفسـه مـن خـلال قبـول الآخريـن لـه. هاهـو يعـترف بـكل مـا اقترفـه مـن جرائـم لشـخص هـو يحترمـه منـذ سـنوات، ويقبـل توبتـه بـل ويقبـل أن يكـون طرفـاً في علاقـة مـع شـخصية عزيـزة عليـه، وهـذا لا يعنـي سـوى إنـه أصبـح رجـلاً شريفـاً عـلى الأقـل في نظـر رجـل يثـق في نزاهتـه وحكمـه ولـن يجاملـه. اسـتعاد حسـن في تلـك اللحظـة بالتحديـد شـعوره بالدنيـا بشـكل كامـل، بـدون أقنعـة تحجـب عـن الآخريـن جـزء منـه وتؤرقـه، شـعر وكأن مجـدي في تلـك اللحظـة وقّـع شـهادة حيـاة عليهـا اسـمه، لتلغـي تأثـير شـهادة الوفـاة التـي اسـتخرجها لنفسـه يـوم دفـن زوجتـه.

قال مجدي بعد احترامه لصمت حسن لثواني:
-واسمح لي انتهز الفرصة واشكرك على انتقامك من قاتل فاطمة.. اللي انت عملته كان غلط ولا يمكن اشجعك عليه.. ولكن يوم قراءتي لخبر مقتل المهدي بردت نار كانت ممكن تحوّلني لأكون قاتل.. انت ممكن تكون ارتكبت جرائم.. لكنك في نفس الوقت أنقذت ناس كتير من طاقة كره وانتقام وغضب كانت ممكن تحرقهم.. شكراً يا حسن.. بس ده لا يمكن يتكرر تاني.. توعدني؟
هز حسن رأسه شاكراً لمجدي وقال:
-أوعدك.. وبكرة هتسمع أخبار جديدة عن المجرم الحقيقي ورا مقتل هبة وداليا وتذاكر وقناوي.. أول عملية نشتغل عليها انا وعصام في الانتقام من الفاسدين والمجرمين بس من غير قتل.
-شوّقتني.. مين؟؟
ابتسم حسن وقام ومدّ يده ليُسلّم على مجدي وقال:
-خلّيها مفاجئة.
دار حسن واتجه ناحية الباب ولكن مجدي سأله:
-عندي كام سؤال محتاج عنهم إجابة.
اعتدل حسن ليواجهه وقال:
-اتفضل.. دي أخر مرة هكون فيها القاتل بتاع زمان.. بعد ماخرج من الباب ده مش هيبقى في فرصة تسأل عن أي شئ يخصه.

-اتفقنا.. انت ازاي فتحت الخزنة وصوّرت الورق اللي في الظرف؟؟

ابتسم حسن وقال:

-والسؤال التاني؟؟

-ليه لما انت عارف إني برئ.. جيت مع عصام وغادة يقبضوا عليّ ؟ ؟

قال حسن:

-غادة كانت مصدومة بعد الInterview.. وحاولت ابعد تفكيرها عنك.. ولكن بعد حكاية الظرف كانت شِبه متأكدة إن انت القاتل أو على الأقل على علاقة به.. وخصوصاً إنك اتحاكمت بسبب نفس القضية قبل كده.. وطبعاً كانت ناوية تبلّغ عنك.. ووقتها موقفك كان هيكون وحش لما يلاقوا الظرف ده في الخزنة.. كنت هتطلع منها لكن دي كانت هتكون تاني مرة يتقبض عليك بتهمة مساعدة أو بتهمة القاتل.. وطبعاً الموقف كان هيكون صعب جداً لشخصية عامة زيّك.. ففكرت ازاي امنع الفضيحة وفي نفس الوقت أريّح غادة.. فأقنعتها نسمع منك الأول وعلشان تطمّن عرضت عصام ييجي معانا.

ابتسم مجدي وقال:

-فتحت الخزنة ازاي بقى؟؟

ضحك حسن وقال:

-السؤال التالت؟؟

-ليه بعتلي الظرف زمان؟؟

obeikan.com

تنهد حسن وقال:

-لو سألتني السؤال ده قبل النهاردة كنت هقول عشان عايز الناس تعرف إني مش مجرد قاتل زي ما هما فاكرين.. لكن بعد لقاءنا النهاردة عرفت السبب الحقيقي؛ هو إني كنت محتاج اعترف بشكل أو بآخر.. كنت محتاج اتكلم مع حد يعرف عني كل شئ.. ودي كانت طريقتي في الاعتراف.. وانت كنت انسب شخص احكيله عن نفسي.

ابتسم مجدي وهمّ بقول شئ ما، ولكن أكمل حسن:

-بخصوص الخزنة بقى؛ انا ولا فتحت خزنة ولا دخلت مكتبك من أساسه يومها.. انت نسيت إن انا اللي باعتلك الظرف ده؟؟ وعندي نسخة من كل اللي عندك؟؟ كل اللي عملته إني صوّرت منهم نسخ قبل ما أجي مع غادة واتمشيت شوية في الدور ورجعت قلتلها إني خلّصت.

ابتسم مجدي وهَزّ رأسه متفهماً، ثم مدّ يده وصافح حسن بوِد وقال له:

-متشكر على صراحتك.. واستنى مني تليفون بخصوص موضوع غادة.. سامحني بس ده مستقبل بنتي.

يغادر حسن المكتب بعد أن يُسلم على مجدي الذي لم يستطع منع نفسه من الضحك على خدعة حسن البسيطة والعبقرية. جلس مجدي كارم أمام مكتبه في مواجهة المقالة المُعلقة على الحائط يُفكِر، وكأنه يتحدث معها حديثاً صامتاً.

obeikan.com

لقد تأكد إنه برئ مما كان يتصوّر إنه فعل، تأكد إنه لم يساعد أو يُشجِع قاتل على قتل أبرياء، بل تأكد أن القاتل لم يقتل أبرياء من الأساس. شَعر وكأن وقت رفع المقالة عن الحائط قد حان؛ تلك المقالة كانت هنا لتذكيره بخطأ تأكد اليوم إنه لم يرتكبه، فلا معنى لوجودها أمامه بعد اليوم.

قام من مكانه وتوجه للحائط، مدّ يده والتقط الإطار الذي يُحيط بمقالته بكل حذر، وكأنه يحمل طفل رضيع، نظر للمقالة وملامحه تحمل ابتسامة حزينة تليق بلحظات الوداع، ودار ليضعها داخل الخزينة، ولكن قبل أن يخطو خطوة واحدة في اتجاه الخزينة، دار وأعادها لمكانها.

نظر لها مجدي وكأنها صديق عائد بعد غيبة، وظهرت علامات السعادة على ملامحه من جديد. في الحقيقة تلك المقالة لم تكُن هنا لمُجرد تذكيره بخطأ، ولكنها جزء منه، جزء كان يخجل منه قبل الليلة، وأصبح فخور به، بعدما تأكد من إنه كان على حق عندما ظَنّ أن القاتل، لم يكُن مُجرد قاتل.

عاد إلي مكتبه وهو يفكر فيما حدث، لماذا لم يُبقي حسن ليتحدث معه أكثر، فهو طالما كان يعتبر القاتل صديقه الذي لم يقابله، تلك العلاقة التي نشأت بينهما في مقالات مجدي

وعلى جِباه ضحايا حسن لم تكُن مُجرد علاقة مُحقِق وقاتل بالنسبة لمجدي، وزيارة حسن اليوم لمجدي تُشير إلى إنها على نفس القدر من الأهمية بالنسبة لحسن أيضاً. ولهذا السبب وافق مجدي على الفكير في ارتباط حسن بغادة لو قبلت أن تسامحه، مجدي أراد أن يكون حسن قريباً منه لأنه يعتبره صديق غائب وعاد لتوّه، ويعتبر نفسه مديناً له لأنه انتقم لأخته، ولأنه صادق في توبته. ابتسم مجدي في تلك اللحظة وتمنى أن تسامح غادة هذا الرجل الذي تحمّل الكثير ومازال يحمل الخير بداخله.

obeikan.com

٤٨

فجر الجمعة ٣ يناير سنة ٢٠١٤

يسير حسن بمفرده على كوبري قصر النيل، يكاد لا يرى سوى النيل، غارقاً في أفكاره المتخبطة، وكأنه على وشك الموت حيث مرّ شريط حياته كله تقريباً أمام عينه. تذكر رؤى أخته الوحيدة، ونادية، حتى تذكر بعض ذكريات الطفولة. وقف حيث اعتاد أن يقف مع صديقه عصام الذي يشعر وكأن النيل حزين على غيابه الليلة، ولكنه في تلك الليلة كان يريد أن يختلي بالنيل، وكأنه لا يريد أن يعترف بحبه لغادة أمام صديقه.

نظر حسن للنيل وملامحه تستنطقه، هل ستسامحه غادة وتقبله؟ وهل إذا قبلته يستطيع هو الحفاظ عليها؟ أم سينتهي بها الأمر مثل نادية؟ مازال يعتبر نفسه مسئولاً

obeikan.com

عـن سـوء تصرُفهـا -ناديـة- بشـكل أو بآخـر. يخـشى ألا تسـامحه غــادة، فهــو لا يســتطيع تحمــل ألم الفــراق للمــرة الثانيــة، وفي نفـس الوقـت يخـشى عليهـا مـن نفسـه.

قـال لـه صديقـه عصـام في نفـس المـكان يومـاً أن الحيـاة مؤلمـة ولكـن لحظاتهـا الجميلـة تسـتحق المجازفـة، وقـد جـازف حسـن ووقـع في الحـب، برغـم إنـه أراد ألا يعشـق وحـدث هـذا رغـماً عنـه ولكنـه حـدث في النهايـة، فلـماذا إذن بـدأت العلاقـة بـالألم؟؟ أيـن تلـك اللحظـات السـعيدة التـي نتحمـل مـن أجلهـا ألم الفراق المتوقـع لاحقـاً؟؟ لا أحـد يعيـش أبـداً، هـذا يعلمـه حسـن يقينـاً، ولكنـه أراد أن يشـعر بعـودة الـروح لجسـده ولـو للحظـات قبـل أن تغـادره مـرة ثانيـة، ولكـن أن يشـعر بـألم خـروج الـروح منـه دون أن يعيـش لـذة عوّدتهـا أولاً، فهـذا هـو الظلـم بعينـه.

آن الأوان ترتاح يا ضهري يا مَحني..
وطالما ديني اندفع واجب تسامحني..
حُسن سيري شفيع.. والحق مش هيضيع..
كل اللي طالبه انا مِنك تريَّحني.

أراد حسـن عنـد سـماعه صـوت عـم حكيـم أن يـدور ليُسـلّم عليـه، ولكـن كلماتـه اخترقـت كل خطـوط الدفـاع التـي يحيـط بهـا مشـاعره منـذ زمـن، فسـقطت دموعـه في خيانـة مشـينة

لـكل محـاولات التماسـك. شـعر حسـن في تلـك اللحظـات أن عـم حكيـم كان يخاطبـه هـو وحـده.

للدنيا لعبة مُحكمة.. واحنا قواشيطها..
الخطة دي بقى مُلزِمة.. وولا مين يلخبطها..
ومهما حاولت تحيد بعيد عنها..
هتفوق تلاقي نفسك.. ماشي في سِكّتها.

صـدق عـم حكيـم في كلامـه، فبرغـم كل محـاولات حسـن ألا يشـعر بـالألم مُجـدداً، وحالـة العُزلـة التـي أجـبر نفسـه عليهـا، اسـتطاعت الدنيـا رغـم أنفـه أن تنتزعـه انتزاعـاً مـن شرنقتـه وتُلقـي بـه في طريـق عصـام وغـادة حتـى يتذكـر كيـف تبـدو الحيـاة وكيـف تـؤلم تجربتهـا.

دار حسـن في تلـك اللحظـة متجاهـلاً دموعـه التـي كانـت لاتـزال تبلـل وجهـه، نظـر حولـه بحثـاً عـن عـم حكيـم، فلـم يجـده. شَـك حسـن في نفسـه لثـواني، هـل سـمع صـوت عـم حكيـم منـذ ثـواني حقـاً؟ أم لا؟ أم أنـه مَـرّ منـذ دقائـق عديـدة ولكـن حسـن لم يشـعر بالوقـت الـذي قضـاه يبـكي رغـماً عنـه حتـى ابتعـد؟ نظـر حسـن في كل الاتجاهـات ولكنـه لم يلمـح أي أثـر لعـم حكيـم.

خطـى خطـوات قصـيرة في اتجـاه دار الأوبـرا وسـأل بائـع

obeikan.com

جالس هنا يدخن في استمتاع واضح على أنغام أغنية مليئة بالإسفاف، ولكنه أنكر رؤيته لرجل بتلك المواصفات الليلة، ولما استوضح حسن منه أكد الرجل عدم رؤيته لعم حكيم أبداً بالرغم من وجوده كل ليلة في نفس المكان منذ أكثر من عام ونصف.

obeikan.com

٤٩

صباح السبت ٤ يناير سنة ٢٠١٤

استيقظ حسن مبكراً وفتح مواقع الانترنت والأخبار ليجد فضائح حازم البدري «على كل لسان»، بداية من بلاغات عديدة للنائب العام، وحتى صفحات مستخدمي الانترنت العاديين على مواقع التواصل الاجتماعي. كانت ضربة قاضية لفاسد ظَنّ أن ملياراته كفيلة بتحويله لإله يقول للشئ كُن فيكون.

كانت نهاية حازم البدري هي الخطوة الأولى لمشروع لا يهدف للربح بقدر ما يهدف للعدالة، سيجمع حسن وعصام، تمنى حسن في تلك اللحظات أن يقابل غادة ليحتفل معها بنجاح أول عملية انتقامية -لا تتضمن قتل المجرم- يقوم بها مع عصام. لم تستطيع الأخبار والصور، بل وصورة القبض على حازم البدري شخصياً التي انتشرت لتوّها على مواقع الانترنت

obeikan.com

في أن تدخـل البهجـة لقلـب حسـن الـذي فقـد حبيبـه.

دخـل حسـن الغرفـة الصغـيرة التـي لا يدخلهـا سـواه، وقـف أمـام اللوحـة التـي بقيـت عـلى حالهـا لثـمان سـنوات حتـى أضـاف لهـا جريمـة داليـا وتذاكـر، بقـى صامتـاً ينظـر لهـا وكأنـه يـودع صديـق عزيـز قبـل هِجـرة لـن يعـود منهـا، ثـم دار ليلتقـط قطعـة قـماش مـن عـلى المكتـب الصغـير واتجـه للوحـة وبـدأ يمحـي كل مـا تحملـه، انتـزع الصـور الباهتـة بفعـل الزمـن، ولم يتوقـف حتـى عـادت اللوحـة بيضـاء وكأنهـا جديـدة، وقـف يشـاهد اللوحـة، تبـدو تمامـاً مثـل الصفحـة التـي انتـوى أن يفتحهـا في حياتـه بدايـة مـن اليـوم، تمنـى لـو كان يسـتطيع مسـح أفعالـه السـيئة كـما فعـل لتـوّه مـع اللوحـة، ولكنـه كان يـدرك أن مسـح أفعالـه ليـس ببسـاطة مسـح اللوحـة، فالأفعـال التـي ارتكبهـا لا يمحيهـا سـوى أفعـال أقـوى منهـا عـلى الطريـق الصحيـح، وقـد عقـد العـزم عـلى أن يفعـل. شـعر حسـن براحـة وهـدوء وسـكينة وكأنـه بالفعـل تمكـن مـن مسـح أخطـاءه مـع الكلـمات التـي مسـحها مـن عـلى اللوحـة، وأدرك أن اليـوم هـو بالفعـل أول يـوم في حياتـه الجديـدة، ولكـن لم ينقصـه سـوى وجـود غـادة إلى جـواره لتعينـه عـلى رحلتـه التـي لا يريـد أن يكملهـا بدونهـا، وليكتمـل بهـا؛ فمهـما شـعر بالسـعادة أو الفخـر أو النجـاح فلـن يكتمـل حسـن بدونهـا أبـداً.

كان حسـن غارقـاً في أفـكاره، عندمـا قطعهـا صـوت رنـين هاتفـه ليعلـن عـن اتصـال مجـدي بـه، رد بصـوت غلبـه الحـزن:
-أيوة يا أستاذ مجدي.. مبروك.
-تسلم أيديكم بجد.. مالك صوتك متضايق ليه؟؟
-لا أبداً مفيش.. انا مبسوط والله.
-مـش بايـن إنـك مبسـوط.. عمومـاً انـا فكـرت في موضـوع غـادة.. سـامحني يـا حسـن الوحيـد الـلي مـن حقـه ياخـد القـرار ده؛ هـو غـادة شـخصياً.. لازم تصارحهـا بـكل حاجـة عشـان هـي الـلي تقـرر.. دي حياتهـا.
هـزّ حسـن رأسـه بـأسى، فهـو كان يحـاول تجنُـب مصارحـة غـادة، ولكنـه الآن مُضطـر أن يصارحهـا.
دق جـرس البـاب مقاطعـاً المكالمـة، فاعتـذر لمجـدي -الـذي كان يتحـرك بسـيارته في تلـك الثانيـة مـن أمـام منـزل حسـن بعـد أن أوصـل غـادة بنفسـه- قائـلاً:
-طب ثواني افتح الباب وهجيلك.
ترك الهاتف على الطاولة وذهب ليفتح الباب، فقال مجدي:
-لا مـش هتيجـي. قالهـا وابتسـم وأنهـى الاتصـال لثقتـه أن حسـن لـن يتذكـر أن يعـود لهاتفـه بعـد أن يفتـح البـاب.

فتـح حسـن البـاب ليجـد غـادة في انتظـاره، برغـم دموعهـا والإجهـاد الواضـح بسـبب السـهر، ابتسـمت عندمـا رأتـه.

تمت بحمد اللّه

obeikan.com

obeikan.com